جامعة الجزائر –2–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقتها بالممالك المسيحية

(635–897هـ /1238–1492م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

من إعداد الطالب :

أحمد جميات

إشراف الأستاذة:

د– سامية أبوعمران

السنة الجامعية: 1432– 1433هـ / 2011– 2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الجزائر -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقتها بالممالك المسيحية

(635-897هـ /1238-1492م)

مذكرة مُقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط

قائمة أعضاء الجنة المناقشة:

-د . عبد العزيز بوكنة ..... رئيس اللجنة

-د . سامية أبو عمران ..... مُقرر

-د . عبد الحميد خالدي ..... عضو

من إعداد الطالب: أحمد جميات

إشراف الأستاذة: د-سامية أبو عمران

السنة الجامعية: 1432-1433هـ / 2011-2012

إهداء:

إلى الذين ضاع حقهم

ليكون هذا العمل:

نــورة

و محمد الصديق

و مولود قاسم

كلمة شكر وعرفان

اللهم إني أحمدك وأشكرك حتى ترضى، لما أنعمت به عليّ، مما لا يُعدُّ ولا يُحصى. والصَّلاةُ والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيّنا محمد صلى اللهم عليه، وسلم تسليما كثيرا، وعلى آله وصَحْبِه البَرَرَةِ الكرام. أما بعد:

فإنه أرى لزامًا عليّ، أنْ أتقدّم بالشُكْرِ أجْزلِه، والوفاءِ أخْلَصِه، إلى كلّ أساتذتي الكرام وبخاصة الذين عبقُوني بعلْمِهِم، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ". وعليه فَحَرِيٌّ بي أن أتوجه بجزيل الشكر والعرفان، إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة سامية أبو عمران لإشرافها على هذا العمل، حيث كان لتوجيهاتها ونصائحها أبلغُ الأثرِ في هذا البحث، كما أتوجه بالعرفان كلِّه، لصاحب مشروع أوربا في العصور الوسطى، الأستاذ الدكتور عبد العزيز بوكنة، فكلنا نُجِلُّ له الاحترام والتقدير، كما يطيب لي أن أشكر أستاذي الكريم الدكتور عبد الحميد خالدي، وأدْعُو الله أنْ يُبَارِكَ لهمْ في عِلْمِهِمْ وصِحَّتِهِمْ ويَمُدَّهُمْ بطول العمر.

كما أتوجه بجزيل الشكر إلى كل من قدم لي المساعدة ولو بكلمة طيبة.

المقـــدّمة

1- أهمية الموضوع وإشكاليته:

منذ هزيمة العقاب تغيرت موازين القوى لصالح الممالك المسيحية، فتوالت المدن الأندلسية تسقط تباعا في يد المسيحيين ومنها المدينة التالدة قرطبة، بَيد أن الظروف شاءت أن تكون غرناطة التي وضع أسسها ابن زيري(*) بديلا لها، بعد أن توافدت عليها جموع غفيرة من أهالي المدن الأندلسية، مما هيأ الفرصة لرجل تسميه أغلب المصادر بابن الأحمر(**) أن يُركن ملكه في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة الإيبيرية، حيث جبال البشرات وشلر جعلت منها قلعة حصينة يصعب اختراقها.

ومع استكمال تقسيم الأندلس من طرف الممالك المسيحية،انصرفت أراغون إلى بناء مملكتها جهة البحر المتوسط، ونهجت البرتغال طريقا منفصلا عن كل منهما بينما بقي الجزء الجنوبي يدفع الجزية بحكم خضوعه لمملكة قشتالة ومحصورا بشكل أساسي في مملكة بني الأحمر ومفتوحا على كل الاحتمالات، مما جعل سياستها تتبدل وتتغير حسب الظروف، فتارة تتقرب من أراغون ضد قشتالة، وتارة أخرى تحاول إرضاء كل منهما، وأغلب الأحيان تمد يدها إلى دولة بني مرين، وعلى العموم تعتمد على مقدراتها ولا تثق في كل الأطراف.

من هذا المنطلق جاء بحثنا "مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقتها بالممالك المسيحية ليدرس تلك العلاقة، سواء كانت هذه العلاقة سياسية، أم عسكرية، أم حضارية، حيث كانت تلك الأرض ميدانا رحبا تصارعت فيه العقيدتان.ومن هنا كانت أهمية الموضوع

(*) مؤسس هذه الدولة هو حبوس بن ماكسن بن زيري الصنهاجي، وذلك سنة (41هـ/1019م)، ويرجع أصلهم إلى زيري بن مناد، الذي كان من أعظم أمراء البربر بأفريقية، وهو أول من ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط.انظر :أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية، 1425هـ/2005م،ص227؛ مريم قاسم الطويل: **مملكة غرناطة في عهد بني زيري**، مكتبة الوحدة، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1414هـ/1994م، ص76-79.

(**) ابن الأحمر :يرجع اسم بني الأحمر إلى شقرة فيهم، ومن الطريف أن بني الأحمر اتخذوا من هذا اللون شعارا لهم في لون أعلامهم وقصورهم وقبابهم بل وفي الورق الذي يكتبون عليه رسائلهم.انظر : أحمد مختار العبادي: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية،2000م، ص 231. ومن هنا نرى أنه ليس هناك تشابه بين اسم الحمراء واسم بني الأحمر، فاسم الحمراء يرجع إلى لون تربتها، وهناك من يعتقد بأن هذا القصر أنشأ في الليل، في ضوء مائل إلى الحمرة. أنظر:

Arthur de Grandeffe, **Nouveau guide en Espagne**,Imprimerie et librairie centrales des chemins de fer, Paris,1864,p 298.

مقتصرة على إشكالية أساسية:" الإسلام والمسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية من خلال العلاقة بين الممالك المسيحية والدولة الإسلامية"، وتعتبر مملكة بني الأحمر إحدى روافد هذه الإشكالية المحورية، التي ابتنت عليها مجموعة من الإشكاليات الفرعية منها: ما مدى صحة رأي المؤرخين الأجانب، أن الملك القشتالي فرناندو الثالث هو المؤسس الحقيقي لمملكة بني الأحمر؟ وهل كان دعم سلاطين بني مرين مجديا لهم؟ وما سر تأجيل إنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس إلى القرن الخامس عشر؟ وما هي العوامل التي ساعدتها على الثبات لمدة قرنين ونصف من الزمن في وجه الممالك المسيحية؟ وما مدى مساهمة المسلمين في تكوين الفكر الاسباني والبرتغالي خاصة فيما يصبون إليه فيما ما وراء البحار؟

ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة، التي جاءت لتوضح تلك الحقبة الأخيرة من الوجود الإسلامي في الأندلس؛حيث أصبحت تلك المملكة مركز ثقل النشاط الحضاري والفكري،حتى أصبح يقال في الأمثال الإسبانية: "من لم ير غرناطة لم ير في حياته شيئا"[1]. وهذا هو الدافع الذي ولد لي الرغبة لدراسة تلك الفترة من تاريخ الأندلس، التي تعتبر بحق مادة خصبة، بعد أن تشعبت فيها الأفكار والمشارب والرؤى، واتخذت كل مدرسة منهجا ومسلكا، لتبيان صحة دعواها بما يظهر أنها الحقيقة، وهذا ليس فقط في المدرستين الإسلامية والإستشراقية، بل لمست مداه يتجلى في ما يسمى بالمدرسة المراكشية،وخاصة في المرحلة التي اندثر فيها ملك الموحدين وظهرت فيها أربع دول: بنو الأحمر في الأندلس ــ بنو مرين في المغرب الأقصى . بنو حفص في المغرب الأدنى ــ بنو عبد الواد في المغرب الأوسط.

ونظرا لشح المصادر العربية في الفترة الأخيرة من تاريخ الأندلس، فإن معظم الدراسات اتجهت بشكل مكثف إلى البدايات الأولى لقيام الدولة الإسلامية في الأندلس، خلافا للدراسات الأوربية التي ركزت على الأيام الأخيرة لسقوط غرناطة ومأساة الموريسكيين. وما يكسب الدراسة أهمية حسب ما يبدو أنها أحاطت بكل الجوانب التي مرت بها مملكة بني الأحمر.

وبالرغم من وجود كم هائل من الدراسات المحكمة التي تعرضت لبعض الجوانب من خلال بعض الملتقيات الفكرية والمجلات الشهرية، إلا أنه لم يتسن لي الإطلاع إلا على النزر القليل

---

(1) والمثل بالاسبانية:"Quien no ha visto a Granada No ha visto a nada" أنظر: Arthur de Grandeffe, Op.Cit,p296.

من الأعمال التي أراد أصحابها أن يفتحوا الشهية لدراسات أكثر تعمقا، وبخاصة منها في جانب العلاقات مع الممالك المسيحية، ومن أهم الأعمال نذكر:

- يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر.
- أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر.
- محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين.

ولما كان من الأمور المسلم بها أن ميدان البحث التاريخي يستقطب المنهج الوصفي لما لـه من أهمية في وصف الأحدث التاريخية، إلا أنني غالبا ما أميل إلى المنهج التحليلي والمقارن،وهذا لنقد الروايات وتمحيص الآراء، مع اللجوء أحيانا أخرى إلى المنهج الاستقرائي للخروج بنتيجة مرجوة من البحث.

ولإرساء تصور شامل لهذا الموضوع، ارتأيت أن اقسمه إلى مقدمة وأربعة فصول، وأنهيته بخاتمة ضمنتها أبرز النتائج التي توصلت إليها، بناء على محتويات فصول البحث، الذي تطرقت في فصله الأول إلى: "أوضاع مملكة بني الأحمر" وحاولت أن أوضح ثلاثة عناصر ساعدتها على الثبات في وجه الممالك المسيحية، منها: ظروف نشأتها، وأسباب ثباتها، والعوامل التي ساعدتها على الثبات،حيث بدأت بإعطاء توضيح موجز عن ظروف قيامها، وكيف أستطاع ابن الأحمر أن يوطد أركان مملكته في بقعة جغرافية تطرقت إلى وصفها، فذكرت مرجها وجبالها وأنهارها، وأهمية الموقع في الدفاع عن حياضها، والسبب الذي دعا بني زيري إلى اختيارها،ثم تعرضت إلى أسباب ثباتها،فذكرت ملوكها الأوائل وحنكتهم،و العلماء ودورهم في شحذ الهمم،وخاصة منهم الشعراء والخطباء والفقهاء والوعاظ،كما تعرضت إلى عناصر جيشها،فذكرت أهمية التحصينات والسلاح والبحرية. ثم انتقلت إلى الجوانب الحضارية، ومنها الجانب الذي تحدثت فيه عن موضة اللباس، والنظافة، والمرأة، أما الجانب العلمي فتكلمت فيه عن العلماء، والشعراء، وبناء المدارس والمستشفيات، ثم درست أوضاعها الاقتصادية، فتحدثت عن عملتها، وتناولت إنتاجها الزراعي والصناعي.

وفي الفصل الثاني عرجت عن أحوال الممالك المسيحية، حيث أعطيت نبذة موجزة عن نشأتها إلى أن توافق وجودها مع مملكة بني الأحمر، وظهور ثلاث ممالك مسيحية وهي:قشتالة، وأراغون، والبرتغال، كما رأيت أن أقتصر عن العوامل التي ساعدتها في التفوق على غيرها، وأهمها: العامل الديني الذي يعتبر بحق المحرض الأساسي لإنهاء الوجود

الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية،حيث ركزت على دور الكنسية ورجال الدين، ودورهم في إذكاء الحروب الصليبية ضد المسلمين،بكل الوسائل . كالمعجزات . كما تطرقت إلى الوسائل التي استعملتها ومنها: الهيئات الدينية،التي أنشأتها لتكون دعما لها في حروبها، كفرسان القنطرة، والداوية، وقلعة رباح، إذ لاحظت أن هذه الهيئات كانت تعيش من أجل الحرب والدعوة إلى الصليب،أكثر مما تعيش للعزلة والعبادة، ربما هذا ما جعلها تتفوق عن غيرها.

وعالجت في الفصل الثالث العلاقات العسكرية بين مملكة بني الأحمر والممالك المسيحية، وبدأت بمملكة قشتالة لأنها الأهم في هذه العلاقة، لما لها من بقعة جغرافية ممتدة على طول حدودها، فتعرضت لعوامل الضعف والقوة التي تحكمت في تلك العلاقة، وما تجلى عنها من معارك وحروب، وسلام ومصالحة بين المملكتين، حيث يظهر الصراع المسيحي الإسلامي في أغلب الأحيان، والمصلحة المشتركة أحيانا أخرى، مما جعل أطرافا ذات صلة بهما تتداخل وتتشابك في هذه العلاقة، بالتحالف تارة، وبالدعم تارة أخرى، كما هو الحال في مملكة أراغون ،والبرتغال، وبني مرين.

وخصصت الفصل الرابع، للتأثيرات الحضارية بين الأندلس الإسلامية والممالك المسيحية، فبدأت بالعناصر التي لها الفضل الكبير في نقل هذه التأثيرات، كاليهود، والمستعربين والمدجنين، ومن خلالهم تعرضت إلى عدد من الجوانب، ومنها الجانب الذي تفوقت به الحضارة الإسلامية عن غيرها، والذي تجلت معانيه في القيم الأخلاقية؛ كروح التسامح ،وكل شيء له علاقة بالإنسان؛ كالأكل والملبس، والطرب والموسيقى، وبناء العمارة وزخرفة القصور، كما تعرضت إلى الجانب الذي بني عليه الأوربيون حضارتهم كالأدب، والطب، والرياضيات، والكيمياء، والفلسفة التي بفضلها تحرروا من قيد الكنيسة وجادلوا بها المسلمين، دون أن أغفل الجانب الاقتصادي الممثل في الزراعة والصناعة، اللتين من خلالهما نقل الورق والحرير، والأرحية والطواحين، وصناعة المدفع ، وهذا الأخير يعتبر أخطر صناعة نقلها الأوربيون عن مملكة بني الأحمر.

2. عرض لأهم المصادر والمراجع:

عندما كان البحث التاريخي يحتاج حسب رأي ابن خلدون إلى: مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحُسن نظر وتثبُت، يُفضيان بصاحبهما إلى الحق ويُنكبان به المزلات والمغالط..."[1].
فقد اعتمدت في البحث على الكثير من المصادر والمراجع،ومجموعة من الدراسات المحكمة،نُشرت في دوريات علمية مختلفة.

أ . المصادر:

ويأتي في مقدمة هذه المصادر كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب– قسم الموحدين– لأبي العباس أحمد بن عِذاري المراكشي، كان حيا سنة(712هـ /1312م)، لأنه مميز عن غيره بمعايشة ظهور مملكة بني الأحمر، منذ بدايتها وصراعها مع الممالك المسيحية، ويظهر من خلال كتاباته أنه غير منحاز، بل أكثر من ذلك نراه مشمئزا من تصرفات ابن الأحمر،وخاصة بعد أن عقد هدنة مع ملك قشتالة، كما أنه مميز عن غيره، بإسناد الروايات إلى أصحابها، والتعليق عليها.

خلافا لكتاب المُغرب في حلى المغرب، لصاحبه ابن سعيد المغربي (ت685هـ/ 1286م) الذي يعتبر كتابه متعدد المزايا(تاريخ عام . رحلات . تراجم)، وتكمن أهميته أنه عاش بدايات نشأة مملكة بني الأحمر، وكان مستبشرا بها وبشيخها الغالب بالله، كما أنني استعنت به من خلال موسوعة نفح الطيب، حيث يقول عن نفسه:" إن علمي رواية وليس بعلم دراية، فخذوا عني ما نقلت"[2]، وقد نقلت غليه كل ما ورثته مملكة بني الأحمر،من حياة اجتماعية وعلمية واقتصادية.

كما يعد كتاب المُعجب في تلخيص أخبار المغرب لصاحبه عبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1250م)، من المصادر المهمة؛ لأنه عايش الأعوام الأخيرة لملك الموحدين، وعمل كاتبا لبعض ولاتهم، ومما جعل روايته تمتاز بالموضوعية أنه كتب مؤلَّفه في مدينة بغداد بعيدا عن نفوذهم،كما أنه لم ينقل على الآخرين بل أعتمد على نفسه من خلال قوله:" سمعت... نُقل

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق،خليل شحادة وسهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1412هـ/2001م،**المقدمة**،ج1،ص13.

(2) أبو العباس أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق،إحسان عباس،دار صادر،بيروت،1408هـ/1988م،مج2،ص155.

إلـي... ولا أدري صـحة ذلـك..."، ولهذا أفادني فـي الحيـاة الاجتماعيـة، وفـي قيـام مملكـة بنـي الأحمر وعلاقتها بالممالك المسيحية.

ويعتبر كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـن ذوي الـسلطان الأكبـر، لـصاحبه عبـد الـرحمن بـن خلـدون(ت808هـ/1405م) مـن أهـم المصادر التي أعتمد عليها البحث، لأنه كتب تاريخه بعد أن تنقل في البلاد الإسلامية وعاش في كنف سلاطينها،و كان شاهد عيان لأحداث ذلك العصر،فقد سافر إلى الأندلس في عام (765هـ/1363م) في مهمة رسمية تتعلق بالعلاقات بين بني مرين ومملكة قشتالة، مما جعل لمصدره قيمة تاريخية فريدة من نوعها ، وبخاصة في العلاقات بين مملكة بني الأحمر والممالك المسيحية، فكنت أرجع إليه في أحايين كثيرة ، لما له من دراية في علم الاجتماع.

ومن الذين استفدت من مؤلفاتهم كثيرا، لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ /1375م)، لأن فنونـه ومزاياه لـم تقتصر علـى مملكـة بنـي الأحمر، بـل أمتد تأثيرها إلـى المغرب الإسـلامي، وأكثر من ذلك أثر حتى في الممالك المسيحية، مثل قشتالة، وأراغون ، ومتحف الأسكوريال يشهد على ذلك،حيث العديد من المراسلات بالقشتالية والعربية، ورغم أن ميله لبني الأحمر يظهر في العديد من التصورات، ربما هذا راجع أنه منهم واليهم، والدليل انه لم يتعرض لقصيدة أبي البقاء الرُندي، لكنني من خلال مجلدات الإحاطة يبدو بأنـه نزيـه وصـادق فـي ترجمتـه للعديد مـن الأشـخاص، فـي أربعـة مجلدات،حققها عبـد الله عنـان، ويعتبـر المجلد الأول أهـم الأجزاء، إذ لـم يجد الباحث كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية،لأن المجلد الأول ذكر فيه موقع مدينة غرناطة، وأوصاف سكانها، وطرق معيشتهم، ومن تداول عليها، ثم تطرق إلى ذكر رجالاتها، وعلمائها، ومشايخها، وصلحائها، وكل من وفد عليها، ولهذا أعتبرها موسوعة، لأنـه كما قيل: قدم هذا العمل حبا في غرناطة، ولهذا خدمني كما خدم غرناطة.

بالإضافة إلى كتابه أعمال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، أو ما يسمى .بتاريخ إسبانية الإسلامية. من أفضل المصادر التي أفادتني في العلاقات العسكرية والسياسية، حيث عالجها بدقة وموضوعية، لأنـه مؤلفه كتبـه فـي المغرب بـين سنتي(774 . 776هـ/1362 .1374 م)، بعيدا عن تأثير بنـي الأحمر، كما استفدت منـه فـي نشأة الممالك المسيحية التي نقلها عن يوسف بن وقار الطليطلي.

ومن الكتب المكملة لمجلدات الإحاطة، نجد كتابه الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، الذي ألفه بالمغرب سنة(774هـ/1372م)، وأراد من خلاله أن يعيد النظر في تقدير الأشخاص الذين تنكروا له مثل القاضي النباهي، وتلميذه ابن زمرك، ولهذا أفادني في دور العلماء والحياة العلمية.

ومن الكتب التي دعمت بها كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس، لصاحبه أبي العباس أحمد بن أبي زرع (حي اوائل ق8هـ/ 14م) لأنه كان شاهد عيان عن قيام الدولة المرينية، وقد استفدت منه في قيام مملكة بني الأحمر، وعلاقتها بالممالك المسيحية ودور بني مرين في هذه العلاقة.

كما عدت في أحايين كثيرة إلى كتاب الاستقصا لأخبار الدول المغرب الأقصى، لمؤلفه أبي العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م)، وخاصة(الجزء الثاني، والثالث، والرابع)، ويعتبر الجزء الثالث أهم الأجزاء، لأنه مختصر في الدولة المرينية، وتعود أهمية الكتاب أنه اعتمد على مصادر أصلية، كابن خلدون، كما يعتبر أول مؤرخ استعان بالمصادر الأوربية، مثل كتاب تاريخ المغرب للإسباني مانويل كاستيلانوس، كما أعتبره مؤرخا عصريا لأنه يتناول الأحداث بالتحليل والنقد،مع إبداء الرأي في الكثير منها،ولهذا أفادني في العلاقات العسكرية بين مملكة بني الأحمر وجيرانها المسيحيين، ودور بني مرين في هذه العلاقة.

هذا ويعتبر كتاب نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر،لمؤلف مجهول (حي897 / 1492م) من أهمها على الإطلاق، لأنه أرخ في وقت شحت فيه المصادر الإسلامية، ويظهر من خلال كلامه أنه عايش تلك المرحلة وكان شاهد عيان وخاض الحروب،مما أعطى لهذه الوثيقة قيمة تاريخية، وقد استفدت منها كثيرا، وخاصة في الأعوام الأخيرة لسقوط مملكة بني الأحمر.

كما تعتبر كتب الجغرافيا والرحلات من أهم الكتب التي تخدم البحث، وبخاصة إذا جاءت متتالية في تواريخ الزيارات، ومن أهم الرحلات التي توافقت مع وجود مملكة بني الأحمر، رحلة ابن فضل الله العمري، ورحلة ابن بطوطة، ثم جاءت رحلتان، بعد أن سقطت تلك المملكة، وهي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير للغساني، ورحلة الغزال المسماة: نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد.

ومن أهمها رحلة ابن فضل الله العمري(ت749هـ/1348م) المسماة: الممالك الإسلامية، ومنها مملكة الأندلس التي زارها سنة738هـ/1337م، فوصفها وصفا شاملا،لا يمكن لأي باحث أن يستغني عنه، ولهذا جاءت الاستفادة عديدة ومتنوعة.

بينما جاءت في سنة(751هـ/1377م) رحلة ابن بطوطة المسماة: "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" وكأنها زيارة رسمية تتبع لدولة معينة، ربما هذا ما جعل السلطان أبو الحجاج يوسف يرفض استقباله مدعيا المرض، هذا وقد أفادني في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، والعلاقات مع الممالك المسيحية.

ومن الرحلات المتأخرة رحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد الغساني الأندلسي (ت1119هـ/1707م)، وميزتها أنها جاءت في مهمة دبلوماسية للبلاط الاسباني، من اجل استرجاع المخطوطات وإطلاق سراح الأسرى، وأستغل وجوده ليدون مشاهدته وانطباعاته عن الحياة الاسبانية، وأما الرحلة الثانية المسماة: نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، لأحمد بن المهدي الغزال، تختلف عن الرحلة الأولى أن التعليمات أعطيت له، بأن يقيد مشاهداته ويصف مدنها، ومنه جاءت فائدة الرحلة.

ومن كتب الجغرافيا التي أفادتني كثيرا، نذكر كتاب القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس – مقتبس من كتاب نزهة المشتاق– لأبي عبد الله الشريف الإدريسي (ت 560هـ1165م) ورغم أن الكتاب يرجع إلى فترة سابقة،إلا أنه مفيد للدراسات الأندلسية، وذلك لكونه يهتم بالتفاصيل الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية، ومن خلال كتاباته يظهر بأنه يستقي معلوماته بنفسه.

ويتعاصر معه صاحب كتاب الجغرافية، لأبي عبد الله الزهري(ت بعد541هـ /1154م)الذي يشبهه في طريقة سرد الحقائق، و يختلف عنه أنه من مدينة المرية،كما ينتمي إلى عائلة بني زهر المعروفة بالعلم، وتظهر أندلسيته من خلال صيغة المتكلم قائلا:"شاهدت...زرت...بحثت... وجدت..." وبالتالي أعانني كثيرا في تقديم الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وخاصة في مدينة المرية.

كما يعتبر كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، لصاحبه أبو عبد الله عبد المنعم الصنهاجي الحميري(ت727هـ/1375م) من أهم الكتب الجغرافية، لأنه يقدم مادته ويقرنها بالتاريخ، كما يظهر أنه مطلع على تفاصيل كل مدينة من مدن الأندلس، مما جعلني التجئ إليه في أحايين كثيرة.

ومن كتب التراجم التي اعتمدتها نذكر كتاب تاريخ قضاة الأندلس، وسماه "المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، لمؤلفه أبو الحسن التباهي المالكي(حي أواخر ق8هـ/14م)، لأنه كان من رجال الدولة وأعيانها المرموقين في المملكة، ويعتبر كتابه هذا مكملا للإحاطة، ولهذا أفادني في دور العلماء وجهادهم والتعريف بهم.

كما يعتبر كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج،لمؤلفه أبو العباس أحمد بابا بن احمد بن عمر الصنهاجي (ت1036هـ/1627م)، المعروف بالتنبكتي، من أفضل كتب التراجم المتأخرة، لأنه اعتمد على العديد من مؤلفات المتقدمين، وقارن وصحح معلوماتهم، كما اعتمد على الرواية الشفاهية وخاصة الشيوخ المعاصرين، مما جعل هذا الكتاب مصدرا مهما مكملا للإحاطة والمرقبا العليا ولهذا أفادني كثيرا.

ومن الموساعات التي جمعت العديد من المعلومات نذكر أهمها وهو كتاب:" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" لأحمد المقّري(ت1041هـ/1631م)،الذي ألفه بطلب من تلامذته،بعد أن تكلم عنه في مجالسه كثيرا،وقد جاء الكتاب على شكل موسوعة، نصفها الأول تاريخ عام عن الأندلس، ونصفها الثاني تعريف بمآثر ابن الخطيب، رغم أن العديد من المؤرخين المحدثين يعيبون عليه سوء التنظيم في سرد المعلومات، إلا أنهم يعتبرونه مصدرا أساسيا لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس، وقد استفدت منه كثيرا لأنه جمع العديد من المصادر المفقودة، وبخاصة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية وصراع مملكة بني الأحمر مع مملكة قشتالة في أيامها الأخيرة.

كما تعد موسوعته الثانية المسماة" أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض" مكملة لنفح الطيب ولم يقتصر كلامه عن القاضي عياض،بل تناول أحداثا مهمة في تاريخ الأندلس، وخاصة مملكة بني الأحمر، وقد استفدت من الجزء الأول كثيرا في جميع النواحي.

ومن الكتب المتعددة الجوانب، نجد كتاب:" جنة الرضا في التسليم لِما قدر الله وقضى" لمؤلفه أبو يحي محمد بن عاصم الغرناطي(ت852هـ/1452م)، وقد جاء هذا الكتاب في مرحلة زمنية ندُرت فيها المصادر الإسلامية، ليقدم لنا معلومات قيمة مختفية في ثنايا أجزاءه، كما أنه لمح بطريقة غير مباشرة إلى الوضع السيئ الذي كانت تعيشه مملكة بني الأحمر في

أواخر عمرها ، ويظهر أنه كان غير قادر على كشف الحقائق وإيرادها، وهذا راجع ربما إلى قصة لسان الدين بن الخطيب التي بقيت راسخة في الأذهان.

كما عدت إلى نوازل أبي العباس أحمد بن يحي(ت914هـ/1508م)، المعروف بالونشريسي وموسوعته الفقهية المسماة" المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل الأندلس والمغرب" وخاصة الجزء الثاني، والفتوى التي قدمها إلى مدجني الأندلس.

ومن كتب السياسة نذكر أهمها وهو كتاب:" الشهب اللامعة في السياسة النافعة" لأبي القاسم بن رضوان المالقي (ت783هـ/1381م)، الذي كان من القضاة العدول في مالقة، وعندما لم ير الحق، ورأى أن المدن والقلاع الإسلامية تتهاوى في يد المسيحيين رحل إلى المغرب، ليجبينا بكتابه هذا، ويوضح أسباب ضعفنا، وقد استفدت منه في أسباب انهزام المسلمين، في العديد من المعارك.

ب – المراجع العربية الحديثة:

كما عني البحث كباقي البحوث الأخرى بمجموعة من المراجع العربية، والتي أصحابها متخصصون في التاريخ الأندلسي،ومنهم : عبد الله عنان، وأحمد مختار العبادي، وسالم عبد العزيز، وقد ساعدهم على ذلك زيارتهم إلى إسبانيا، مما جعلهم يستغلون الفرصة ويطلعون على مخطوطات الأسكوريال،وينشئون صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد.

ومن أهم المراجع: " دولة الإسلام في الأندلس" لمحمد عبد الله عنان، الذي تناول تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط مملكة بني الأحمر ومأساة الموريسكيين، وقد عدت إليه كثيرا خاصة في العلاقات العسكرية والسياسية، ودور البابوية والفرسان، حيث يتميز بكثرة الروايات ووفرة المعلومات،لأنه اطلع على العديد من الوثائق الإسلامية والمسيحية، كما يعتبر كتابه:" الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال" من أهم المراجع التي أفادتني كثيرا، لأنه يحمل في طياته معلومات شاهدها أثناء زيارته إلى الأندلس،وخاصة الآثار التي مازالت باقية إلى الآن في كل مدن شبه الجزيرة الإيبيرية.

ومن المراجع التي عدت إليها ،تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، لمؤلفيه السيد عبد العزيز سالم،وأحمد مختار العبادي، حيث أفادني هذا الكتاب في العلاقات العسكرية وخاصة في الصراع الدائر على مضيق جبل طارق.

كما تعد موسوعة التاريخ الدبلوماسي من أقدم العصور إلى اليوم،لمؤلفه عبد الهادي التازي، من الكتب التي أفادتني في العلاقات بين الممالك المسيحية، والدول الإسلامية، وخاصة المجلد السابع الخاص بعهد المرينيين والوطاسيين،لأنه اعتمد على أرشيف أراغون، رغم أنه أراد من كتابتها أن يبرر مواقف واتجاهات دولة بني مرين،مما جعلني أبحث عن حقائق أخرى تدحض أقواله.

ج . المراجع المعربة:

ومن المراجع المترجمة عن لغتها الأصلية، والتي عدت إليها كتاب :" تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين" للمؤرخ الألماني يوسف أشباخ، الذي أفادني كثيرا، وخاصة في الأيام الأولى لظهور مملكة بني الأحمر ودور البابوية والهيئات الدينية.

كما استعنت بكتاب" سقوط غرناطة"(*) للأمريكي واشنطن إيرفينغ، الذي نال شهرة عالمية وترجم إلى العديد من اللغات، ورغم أنه يحسب على الرواية المسيحية إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه اعتمد على رواية القسيس "انطونيو أغابيد" الذي كان معاصرا للأحداث، والعديد من المخطوطات التي وجدها في مكتبة الاسكوريال، كما اعتمد على الطبيعة الجغرافية والآثار الباقية،التي لاحظها في مدة عمله كسفير للولايات المتحدة الأمريكية، وكان متأثرا أحيانا بأطلال قصر الحمراء،وكتابه الحمراء يشهد على ذلك.

د . الدوريات:

ومن أهمها صحيفة معهد الدراسات المصرية بمدريد، التي استفدت منها كثيرا في جميع نواحي البحث وهي عبارة عن دراسات وتحليلات للعديد من المؤرخين نذكر منهم:" وثيقة أندلسية قشتالية" لمحمد عبد الله عنان، و" بنو سراج وزراء بني نصر، بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية" لسحر السيد عبد العزيز سالم،و" الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الاسبانية" لشوقي ضيف، و" اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام" لرامون منندث بيدال.

(*) هناك العديد من الترجمات لهذا الكتاب، ومنها ترجمة هاني يحي نصري، ولقد رجعت إلى ترجمة إسماعيل العربي، لأنه امتاز عن غيره أنه محص ترجمته بالاعتماد على مصادر ومراجع مهمة، منها كوندي، وبروسكت، رغم انه يخطئ حين ينسب نبذة العصر لابن الخطيب أنظر:واشنطن إيرفينغ: سقوط غرناطة. آخر الممالك المسيحية ـ ترجمة: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1988م،ص439.

هـ . المراجع الأجنبية

هذا وقد حتمت الدراسة بأن استعين ببعض المطبوعات باللغة الأجنبية،ومن أهمها كتاب(A History of Spain) ل شارل شابمان(Charles Chapman) الذي يعتبر كتابا متنوع المزايا فقد أفادني كثيرا في جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

كما استعنت بكتاب(Dominion Of the Arabes in Spain) للمؤرخ جونثان فوستر (Jonathan Foster)، في العلاقات بين مملكة قشتالة و مملكة بني الأحمر.كما يعتبر كتاب(Ferdinand and Isabella the Cathlic) للمؤرخ وليام بروسكت(William prescott) من أهم الكتب التي أفادتني كثيرا وخاصة في الأيام الأخيرة، لسقوط مملكة بني الأحمر.

غير أنني وكباقي الباحثين واجهتني صعوبات، ومنها الترجمة إلى العربية، وخاصة أن تاريخ الأندلس يمتاز عن غيره بالعديد من الدراسات باللغات المختلفة،كالانجليزية والفرنسية، والإسبانية، بالإضافة إلى شح المعلومات في المصادر الإسلامية في الفترة الأخيرة من حكم بني الأحمر، مما جعلني أتيه في مصدر المعلومات.

كما لا يسعني في ختام هذه المقدمة، إلا أن أرفع خالص شكري وامتناني للأستاذة المشرفة: الدكتورة سامية أبوعمران على توجيهاتها ونصائحها السديدة، التي أعانتني على إنجاز المذكرة.

وأخيرا أسأله تعالى العفو عما زل به القلم أو سها ،إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وليس لي في ما قدمت إلا فضل الجمع والترتيب ، فإن كنت قد أصَبْتُ الغرض أو قاربت، فقد بلغْتُ من عمليْ المراد، وإن طاش سهمي، فقد يشفع لي الاجتهاد. ولم يغب عن ذهني قول العماد الأصفهاني صاحب كتاب الخريدة:" **إني رأيت أنه لا يكتبُ إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زِيْدَ كذا لكان يُسْتحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النَّقص على جملة البشر**".

الفصل الأول

أوضاع مملكة بني الأحمر

أولا- ظروف نشأتها:

1- قيامها

2- الإطار الجغرافي

ثانيا- أسباب ثباتها:

1- دور ملوكها

2- جهود العلماء

3- عناصر الجيش

ثالثا- الجوانب الحضارية:

1- الحياة الاجتماعية

2- الحياة العلمية

3- الحياة الاقتصادية

أولا . ظروف نشأتها:

1. قيامها

يعود قيام مملكة بني الأحمر، إلى الثورات التي اهتز لها عرش الموحدين(*) بعد هزيمتهم في معركة العِقاب(**)، بقيادة الخليفة أبي عبد الله محمد الناصر لدين الله، أمام القوي المسيحية بقيادة ملك قشتالة (Castille) الفونسو الثامن (AlfonsoVIII)(553 – 611هـ/1158–1214م)، في الثامن من شهر صفر609هـ /10جويلية1212م.

ويقول لسان الدين بن الخطيب:" وكان على المسلمين الهزيمة الكبرى،المنسوبة إلى العِقاب، ولم تستقل الأندلس بعدها العثرة، ولم يعد بعدهم إلى الأندلس أحد من الموحدين"[1].

ويعزى عبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1250م) أسباب الهزيمة إلى تأخر رواتب الجند، مما جعلهم يتهاونون في التصدي للعدو بسيوفهم ورماحهم[2]، ويؤكد عبد المنعم الحميري(ت727هـ /1327م) ذلك بقوله:" وخرج إليه الناصر من إشبيلية، في العشرين من محرم سنة 609 هـ، بحشود لا غرض لها في الغزو [3]، أما صاحب الذخيرة السنية فيعزيها؛ إلى الغرور وشدة الإعجاب[4].

مما جعل عبد الرحمن بن خلدون، يبرر بقوله:"فخشي أهل الأندلس على أنفسهم فثاروا على الموحدين" [5]. وبينما كان سلطان الموحدين يهتز في المغرب، وينهار في الأندلس، ظهر

(*) الموحدون: معناه؛ التوحيد الخالص، مع صفاء العقيدة، والفهم النقي لها،وأطلقوا على أنفسهم " الموحدون"، ويرفضون كل ما يسئ إلى عقيدة التوحيد.أنظر: عبد الرحمن الحجي : **التاريخ الأندلسي**، ط2، دار القلم، دمشق، 2008م ،ص490.

(**) العقاب :(موقعة العقاب بكسر العين) جمع عقبة، (Las novas de tolosa) والتي تسمى الموردال (Batalla del moradal)، وهو اسم المعبر الجبلي' في جبال الشارات(Sierra Morena) ، الذي يؤدي إلى سهل الأندلس،حيث العواصم قرطبة، وأشبيلية، وقادس. أنظر:أحمد مختار العبادي: **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس** ،ص228 .

(1) **تاريخ إسبانية الإسلامية** .كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . ط 2، تحقيق، ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت،1995م، ص270.

(2) **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،تحقيق،خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،1419هـ/1998م ص229.

(3) **الروض المعطار في خبر الأقطار**ـ صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق، ليفي بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت 1408هـ/1998م،ص137.

(4) أبو الحسن علي بن أبي زرع الفاسي(حي أوائل ق8هـ/1300م): **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق، دار المنصور،دار المنصور، الرباط، 1392هـ/ 1972م، ص46.

(5) **العبر**، ج 6، ص 321.

ثائر بموضع يعرف بالصخور(penascales) –موضع في مرسية– في آخر رجب سنة625هـ/ أواخر جوان 1228م[1].

وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي[2]، ويقول عنه ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م)"وكان عاميا جاهلا، مشؤوما على الأندلس، كأنما عقوبة لأهلها؛فيه زويت محاسنها، وطوي بساطها،ونثر ملكها"[3]، ويضيف لسان الدين بن الخطيب؛ بأنه لم ينصر له جيش، ولا وفق له رأي [4]، وقد ساعده انتشار الشائعات والتنبوئات بأن المنقذ، اسمه: محمد بن يوسف، حيث قيل: أن بعض المنجمين، كان يقول لبعض أمراء بني عبد المؤمن، سيظهر عليكم شخص اسمه: محمد بن يوسف[5]، وكان الناس يستشعرون ذلك ويترقبون ظهوره.

وينفرد ابن عِذراي في ذكر سبب نجاحه، حيث يقول:" وذلك أن سبب في ابتداء ظهور ونجاح أموره، في رجب625هـ، هو القائد الغشني "[6]، [*]. وأعلن أنه يعتزم تحرير الأندلس من الموحدين والمسيحيين، فأطاعته معظم بلادها ورؤسائها وأنجادها[7]، وأجتمع أهل إشبيلية في 2 ذي الحجة 626هـ / 22 اكتوبر 1229م وخلعوا طاعة الموحدية، والتزموا بطاعة الدولة الهودية[8] ، فشاع ذكره، وتلقب باسم المتوكل على الله وخطب للعباسيين، واتخذ السواد شعار

---

(1) أنظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار(ت658هـ/1260م): **الحلة السيراء** تحقيق،حسين مؤنس،ط2، دار المعارف، القاهرة،1985م،ج2،ص308؛

Ulick Ralph Burke ,**History of Spain**, ,Second Edition, New York and Bombay ,1900 ,Vol II p92.

(2) أنظر: لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق،عبد الله عنان، مكتبة الخانجي ،القاهرة،1394هـ /1974م، مج2، ص128-132.

(3) **المُغرب في حلى المَغرب** ،تحقيق، شوقي ضيف ،ط 4، دار المعارف،القاهرة،1995م،ج2،ص129.

(4) **تاريخ اسبانية الإسلامية**،ص272. بينما يقول عنه، في **الإحاطة**،مج2:"كان شجاعا،ثبتا،كريما حييا فاضلا، وفيا متوكلا عليه،سليم الصدر،قليل المبالاة،فاستعلى لذلك عليه ولاته بالقواعد". أنظر:نفسه،ص 129.

(5) ابن عِذارى المراكشي:**البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب** . قسم الموحدين . تحقيق،محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1406هـ/1985م ،ص276.

(6) المصدر نفسه، ص 276-277 .

(*) الغشني. يعرف في الحوليات المسيحية ب (Agostino) حيث قال له المنجم: أنت هو سلطان الأندلس . أي ابن هود . قد رأيت علامة الملك فيك، فأذهب ، إلى المقدم الغشني، ليكون دعما وسندا لك، فذهب إليه، فسرّ بذلك، وكان رجلا حواسا ... يقطع الطرقات مع جماعة معه متشبهين بالمغاورين ضد المسيحيين، ووعده إن هو ملك الأندلس، يعطيه، القيادة الحربية، فأعطاه قيادة الأسطول،إلى أن طاعت له سبته.أنظر:ابن عِذارى المراكشي: **البيان** . قسم الموحدين . ص276 فما بعدها.

(7) ابن عذارى: **البيان** . قسم الموحدين . ص288.

(8) المصدر نفسه.

له[1]، ولما علم بحصار مدينة ماردة (Mérida)[*] من طرف فرناندو الثالث (Fernando III) (650.614هـ/ 1252.1217م)، سار بجيش عظيم ولكنه أنهزم بسبب طبعه–الملل والعجل– [2]

بينما في بلنسية (Valencia) ثار أبو جميل[**] بدخوله مدينة أبدة يوم الاثنين 26 صفر 626هـ /24جانفي1229م، وأخذ البيعة لنفسه داعيا للعباسي، إلى أن كانت وقيعة أنيشة[***][3].

وفي هذه السنة كان ابتداء ظهور أبي عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر، وكان بطلا شجاعا، فأورثه ذالك سموا وارتفاعا [4]، ومما جعله يتلقف الكرة من ابن هود، أنه كان شجاعا رزينا في الحروب [5]، حيث ساعدته هذه الشجاعة أن يدعوا الناس إلى بيعته سنة629هـ/1232م، [6]، فبايعه أهل أرخونه(Arjona)، وتسمى بأمير المسلمين[7]، مع الدعاء

(1) أنظر: لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ اسبانية الإسلامية**،ص217 .218؛ Ulick ralph burke,Op.Cit,p93.

(*) ماردة:هي إحدى مدن ولاية بطليموس،وهي تقع شرقها،على الضفة الشمالية لنهر وادي يانة،وتبعد عنها ب40 كلم، وقد كانت ماردة، منزل البربر، والمولدين، وبهذا كانت كثيرة الخروج على سلطة قرطبة، وقد سقطت في يد المسيحيين سنة (628هـ/1229م). أنظر:عبد المنعم الحميري: الروض المعطار ،ص 175-177؛محمد عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1407هـ/1997م،ص386380.

(2) ابن عذارى:**البيان** . قسم الموحدين . ص289 ؛الإحاطة ،مج2، ص130. ويضيف ابن الخطيب:" فلم يتأنّ زعموا،حتى دفع بنفسه العدو،ودخل في مصافّه،ثم لما كرّ إلى ساقته،وجد الناس منهزمين، لما غاب عنهم"أنظر:المصدر نفسه،ص13.

(**) أبو جميل: هو ابن أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش .أنظر:لسان الدين بن الخطيب:**تاريخ اسبانية الإسلامية**،ص274272؛**الإحاطة**، مج2،ص127.121.

(***) أنيشة(puig de cebblla) او انيجة: موضع على مقربة من بلنسيية، وفيه كانت الوقيعة بين المسلمين والمسيحيين،سنة 634هـ/14اوت1237م.أنظر:عبد النعم الحميري: **الروض المعطار**، ص32.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج6، ص385، 356 ؛ لسان الدين بن الخطيب:**تاريخ اسبانية الإسلامية**،ص272–274.

(4) ابن عِذارى: **البيان** . قسم الموحدين،ص296.

(5) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7،ص251.

(6) ابن أبي زرع الفاسي:**الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس**، صور للطباعة والوراقة، الرباط ، 1972م، ص275.

(7) **المصدر نفسه**.

للأمير أبي زكريا يحي صاحب افريقية[1]، في حين كان وصول دعم الخليفة العباسي لابن هود، و بكتاب يأمره بإقامة الدين والجهاد[2]، فبايع ابن الأحمر ابن هود[3].

وفي سنة632هـ/1235م دخل ابن الأحمر، مدينة إشبيلية[*] بحيلة دبرها[**]، وقتل شيخها الباجي، حسب رواية ابن عِذاري[4]، بينما ابن سعيد المغربي يقول: وكنت حينئذ هناك وأنشدته قصيدة أولها[5].

لمثلك تنقادُ الجيوشُ الجحافلُ وتُذْخَرُ أبناءُ القَنا[***]والقنابلُ [6]

على أن سقوط قرطبة في23 شوال633هـ/30جوان1236م، كانت أعظم ضربة قاسية لابن هود، حين تركها تسقط في يد فرناندو الثالث(Fernand III) ملك قشتالة ،حيث عبر ابن عِذارى بقوله: "فلقد حل بالأندلس من الروم ما يلين له القاسي، وتنهد له الجبال الرواسي ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[7]، وهذا راجع حسب يوسف أشباخ؛ إلى العداء والحقد المستشري بين أمراء المسلمين، مما سهل مهمة محاربتهم[8]، ويضيف: بينما كان خايمي الغازي(Jaime I)

---

(1) أبو العباس أحمد بن علي المصري المعروف بالقلقشندى (ت821هـ/1418م):**صُبح الأعشى في كتابة الإنشاء**، دار الكتب المصرية،القاهرة،1340هـ/1922م،ج5، ص260.

(2) ابن عِذراي: **البيان** . قسم الموحدين . ص294.

(3) القلقشندي: المصدر السابق،ج5،ص260.

(*) إشبيلية(Sevilla) سقطت في أيدي القشتاليين، في27رمضان سنة646هـ (23 نوفمبر 1228م)، وقد سميت اشبيلية واسمها اللاتيني(اشبالي) أو(هسبالي) Hispalis، وتسمى أيضا ب (حمص) . انظر: أبو عبد الله البغدادي المعروف بياقوت الحموي(ت626هـ/129م):**مُعجم البلدان**، دار صادر ، بيروت ،1397هـ /1977م ص195؛ أبوعبد الله بن أبي بكر الزُهري(ت في ق6هـ/12م): **كتاب الجغرافية**، تحقيق،محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، دت، ص88 .89 ؛ عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية الباقية**، ص5145

(**) الحيلة: حسب رواية عبد الرحمن بن خلدون:هو أنه بعدما تعاون ابن الأحمر ،مع أبي مروان أحمد الباجي،في طرد ابن هود من أشبيلية،بعث قريبه ابن أشقيلولة،مع أهل أرخونة،وقتلوا الباجي، فثاروا عليه ورجعوا إلى ابن هود.لمزيد من المعلومات أنظر .**العبر**،ج6،ص393392.

(4) **البيان** . قسم الموحدين . ص330.

(5)**المغرب في حلى المغرب**،ج2،ص109

(***) القنا.معناه.أ حمر قان: أحمر أرجواني، قرمزي.أنظر. رينهارت دوزي: **تكملة المعاجم العربية**،ترجمة، سليم النعيمي ومراجعة، جمال الخياط، دار الحرية للطباعة،بغداد،1401هـ/1980م، ج6، ص386.

(6) ابن سعيد المغربي:**المغرب في حلى المغرب**،ج2، ص109.

(7) **البيان** . قسم الموحدين . ص331.

(8) **تاريخ الأندلس - في عهد المرابطين والموحدي** . ترجمة،محمد عبد الله عنان،ط2، مكتبة الخانجي،القاهرة 1417هـ/1996م،ج2، ص180.

ملك أراغون(Aragon)، يغزو بلنسية، كان فرناندو ملك قشتالة ينتهز فرصة اضطراب مسلمي الأندلس[1].

ومما ساعد على سقوطها حسب الرواية المسيحية، هو تخويف ابن هود من قوة قشتالة[2]، (*)، وهناك من يرجعها إلى تلقي ابن هود رسالة من صاحب بلنسية أبي جميل زيان ينبئه فيها بأن خايمي ملك أراغون يزداد في مضايقته[3]، وربما يعود إلى الصلح المنعقد مع ملك قشتالة لمدة ثلاث سنوات[4].

ومنذ ذاك الحين اختفت حركات ابن هود في المصادر العربية، إلا أن المرجح أنه كان يريد أن يوطد حكمه في المنطقة الجنوبية، ولكن شاء القدر أن يضع ابن الرميمي حدا لحياته وهنا قال لسان الدين بن الخطيب:" واختلف الناس في سبب وفاته"[5]، (**).

ولما بلغ الخبر أهل مرسية بايعوا ابنه أبا بكر محمد بن هود، ويقول عنه ابن عِذاري:" وطاعت له تلك الجهات، فما قام بأمور، ولا قعد ولا صدر ولا ورد، فعافته النفوس وشمخت عن طاعته الرؤوس... فقدموا فقيههم عزيز بن خطاب وبايعوه"[6]، ولكنه هو كذلك

---

(1) **تاريخ الأندلس** . في عهد المرابطين والموحدين . ص180.

(2) محمد عبد الله عنان:**عصر المرابطين والموحدين** . في المغرب والأندلس . ط2، مكتبة الخانجي ،القاهرة، 1990، ع3،ق2،ص423.

(*) سبب التخويف: يعود إلى فارس جليقي يدعى لورنسيوس سوارز الذي التحق بخدمة المتوكل ،وأراد أن يخدم وطنه المسيحي،فقدم معلومات خاطئة لابن هود، بقوة الجيش القشتالي.أنظر: يوسف أشباخ: المرجع السابق ،ج2 ص185.

(3) عبد الله عنان:**عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**،ع3، ق2، ص422، نقلا عنGonzalez .

(4) ابن عِذارى: البيان . قسم الموحدين . ص331.

(5) **الإحاطة**،مج2،ص132.

(**) يقول ابن عِذاري: "عاد لينظر في أمور غرناطة، والقائم عليها،وهو الأمير: أبو عبد محمد يوسف بن نصر، لأنه قد ملكها، ولكنه في طريقه اتجه إلى المرية، وكان ابن الرميمي،قد دبر له مكيدة ،للتخلص منه بسبب فضيحة الرومية التي ظهر حملها، حيث كان قد أخفاها عنده بسبب معاهدة زوجته، وأراد أن يخلوا بها،فأدخل عليه أربعة رجال فقتلوه ليلة 24 جمادى الآخرة 653 هـ/11فيفري1238م.أنظر: **البيان** ـ قسم الموحدين . ص341-342؛ لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**، مج2، ص132.

(6) ابن عِذارى:**البيان** . قسم الموحدين . ص343.

كرهته الرعية (*) فأستدعى أهل مرسية في16رمضان636هـ /22أفريل1239م الأمير أبا جميل بن مردنيش [1].

وفي تلك السنة التي بويع فيها ابن الخطاب،هجم ملك أراغون على مدينة بلنسية،وكان أميرها زيان بن مردنيش، ووصلت الإعانات من تونس و لم تُمَرّر بسبب الحصار [2]، ومن ثمة بعث إليه فقيهه أبا عبد الله بن الأبار، بالبيعة ومستصرخا بقصيدة مطلعها:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السبيل إلى منجاتها درســـــــا

وهب لها من عزيز ما التمست فلم يزل منك عز النصر ملتمسا[3] .

ولما توفي ابن هود أدرك محمد بن يوسف بن الأحمر أن الفرصة قد سنحت له لتوطيد ملكه، باعتباره مخلصا للمسلمين وحاميهم من بطش المسيحيين[4]، ففي أخريات رمضان635 هـ/أوائل ماي1238م ،وحسب لسان الدين بن الخطيب، فقد بعث إليه أهل غرناطة ببيعتهم ، مع رجلين من مشيختهم[5]، ويقول ابن عذري:" فأقبل ابن الأحمر إلى غرناطة، وما زيه بفاخر ونزل بخارج غرناطة على أن يدخلها من الغد غدوا ثم بدا له غير ذالك، فدخلها مع غروب الشمس يوم نزوله"[6].

(*) سبب كره الرعية لأبي بكر عزيز بن أبي مروان بن خطاب،هو أنه: كان من أهل التقوى، والدين والنسك والبر، وكثير الخشوع، معروف بالخير، وكثير الصدقات،ملازما لبيت الله، ولما بايعوه هجر المسجد، وتشبه بالملوك وانهزم في العديد من المعارك، فأوهن البلاد وكرهته العباد.أنظر: لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ اسبانية الإسلامية**، ص 275.274 .

(1) لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ اسبانية الإسلامية**، ص275.

(2) ابن عِذراي: **البيان** . قسم الموحدين . ص349،348؛ عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج6، ص386.385؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤؤ الزركشي(ت894 هـ/1489م): **تاريخ الدولتين** . الموحدية والحفصية ـ ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص27.

(3) لسان الدين بن الخطيب:**تاريخ اسبانية الإسلامية**،ص273؛ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار(ت1092هـ/1681م): **كتاب المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، مطبعة الدولة التونسية تونس،1286هـ/1681م ،ص126.

(4)أنظر: Washington Irvig, **Spanish Papers** ,New York And London 1895,p302.

(5) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تحقيق، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ/1928م، ص31؛ **الإحاطة**، مج2، ص98.

(6) ابن عِذاري: **البيان** ـ قسم الموحدين . ص341. ويضيف نقلا عن أبي محمد البسطي فيقول:" فعاينته يوم دخوله بشاية مطلعة أكتافها مقطعة... فصلى بهم على هيئة سفره بفاتحة الكتاب "إذا جاء نصر الله والفتح" و"قل هو الله أحد" وهو بسيفه مقلد،ثم خرج إلى قصر باديس بن حبوس، والشمع بين الأبواب يتقد،فدخل في خاصته كأنه العروس في مشيته" أنظر:المصدر نفسه،ص 342 .343.

وفي يوم الجمعة17 من صفر 636هـ /01 فيفري1238م استولى ملك أراغون على بلنسية بسبب الحصار، مما أدى إلى خروج أبي جميل زيان بن مردنيش مع المسلمين [1].

في حين كان بن الأحمر يوطد ركائز دولته في قصر الحمراء، بالحصون وجلب المياه، جاءته بيعة مالقة بقيادة ابن عسكر، فقلده القضاء، وكان مشهود له بالعلم والأدب[2].

ثم سار إلى ابن الرميمي صاحب المرية، ولما اشتد عليه الحصار، فر إلى تونس بأمواله وعياله[3]، وهنا يقول عبد الرحمن بن خلدون: "ولم يزل ابن الأحمر يحاصره، إلى أن تغلب عليه سنة 643هـ"[4]، بينما ابن عذارى، لم يذكر الحادثة، وإنما ذكر تنكيله للولاة السابقين[5]، وتحاشى لسان الدين بن الخطيب هذه الحوادث[6].

وفي سنة639هـ/1241م ازدادت هيبة، محمد بن يوسف بن الأحمر، بعد أن أطاعته بعض المدن، وانقاد له رؤسائها وأنجادها[7]، ويظهر أنه تحت طاعة الرشيد، حسب رواية ابن عذارى [8]، بينما رواية ابن خلدون تقول:"و بايع للرشيد سنة ست وثلاثين وستمائة عندما بايعه أهل إشبيلية وسبتة [9]، ولما توفي الرشيد[*]، بايع أبا زكريا بن أبي حفص بتونس[10].

وفي سنة643هـ/1245م صالح أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر، ملك قشتالة على بلاد المسلمين التي تحت طاعته[11]، مما جعل لسان الدين بن الخطيب يبرر بقوله:"

---

(1) ابن عذاري:**البيان** . قسم الموحدين . ص349.

(2) المصدر نفسه.

(3) علي بن أبي زرع : **الذخيرة السنية**، ص57.

(4) **العبر**، ج6، ص395.

(5) أنظر: ابن عذاري: **البيان** . قسم الموحدين . ص349.

(6) **أنظر**: لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**، مج2، ص92-107؛**اللمحة البدرية**، ص30-37؛ **تاريخ إسبانية الإسلامية**، ص281-285.

(7) ابن عذاري : **البيان . قسم الموحدين** . ص357.

(8) المصدر نفسه.

(9) **العبر**،ج6،ص395.

(*) الرشيد:هو أمير موحدي؛جاء بعد موت المأمون ،حيث بويع من طرف أصحاب أبيه،وهو: أبو محمد عبد الواحد، ولقبوه بالرشيد، حتى مات غريقا في جمادى الآخرة سنة640هـ/نوفمبر1242م. أ نظر:عبد الواحد المراكشي: المعجب ، ص204.

(10) ابن عذاري: **البيان . قسم الموحدين** . ص357-358؛ عبد الرحمن بن خلدون:**العبر** ، ص 395-396.

(11) ابن عذاري: **البيان . قسم الموحدين** ،ص367.

وعقد السلم الكبيرة، وتهنأ أمره" [1]، ولما توفي الأمير أبو زكريا، نبذ الدعوة الحفصية واستبد لنفسه ، وتسمّى بأمير المسلمين[2]، على مملكة تضم: غرناطة، والمرية، ومالقة، ووادي آش وأجزاء من جيان وقرطبة، وهي بين مد وجزر إلى أن انقرض ملكها وبقيت معالمها تشهد على ذلك في إطار حدده الرحالة والجغرافيون.

2 . الإطار الجغرافي:

منذ أن دخل ابن الأحمر قصر الحمراء في غرناطة، بدأ يوطد أركان مملكته بضم: المرية، ومالقة، وعرفت مملكته بغرناطة، وكانت تقع في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية أو يسمى حاليا . الأندلس الصغرى . على ضفاف البحر الأبيض المتوسط[3]،[*] .

ويعود بناؤها إلى الزاوي بن زيري حيث يقول عبد الله في مذكراته:"واتفق رأي الجميع، أن يخيروا لأنفسهم جبلا منيعا ومعقلا شامخا... فوقعت أعينهم على بسط جميل، قد جمع الأنهار والأزهار "[4]، ثم تولى كل امرئ منهم، إقامة داره من عرب، وبربر [5]، ومَدَّنَها وحَسَن أسوارها وبني قصبتها حبوس الصنهاجي، ثم خلفه ابنه باديس بن حبوس[6].

وهناك من يقول:إن الصواب أغرناطة– بالهمز– ومعناه الرُّمانة، وتسمى كرة البيرة[7] بينما ابن سعيد البُردي الحياني يقول: غرناطة بغير ألف، ومعناها الرمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحسنه بذلك[8]، أما لسان الدين بن الخطيب فيوضح بقوله:يقال غرناطة ويقال:

---

(1) **اللمحة البدرية**، ص31.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**،ج7، ص252.

(3) أنظر: واشنطن إيرفنغ: **سقوط غرناطة** ،ص23.

(*) أنظر: الخريطة رقم3،ص155.والخريطة رقم2،ص154.

(4) الأمير عبد الله بن بلكين الزيري: (ت483هـ/1090م): **التبيان**، تحقيق، ليفي بروفنسال، دار المعارف،القاهرة، 1955م، ص35؛ عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج4،ص 206.

(5) الشريف الإدريسي: **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس** – مقتبس من كتاب نزهة المشتاق – تحقيق،إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983م، ص297؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**،تحقيق وترجمة ، لويس مولينا،المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،مدريد،*1983*،ج*1*،ص*69*

(6) الشريف الإدريسي: المصدر السابق، ص297.

(7) أحمد المقري: **نفح الطيب**، مج2 ،ص147 . 148؛زكريا بن محمد بن محمود القزويني:**آثار البلاد وأخبار العباد** دار صادر، بيروت، د ت،ص547.

(8) ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، مج4،ص195.

إغرناطة، وكلاهما أعجمي، وهي من مدينة البيرة، وتسمى سنام الأندلس، وتدعى في القديم بقسطيلية [*][1].

وهناك من يرجح أصلها إلى القوط، وأنها مركبة من كلمتين "ناطة" وهي اسم قرية قديمة، و"غار" وهو المقطع الذي أضافه المسلمون إليها فصارت غرناطة، أو أن البربر سموها كذلك عند نزولهم بها، وهو اسم أحد قبائلهم[2].

وتنفصل غرناطة بني الأحمر في القسم الجنوبي الشرقي من الأندلس[**] عن ثلاث ممالك مسيحية هي: قشتالة، وأراغون، والبرتغال، بشكل مستطيل[3]، وقد زارها الرحالة ابن فضل الله العمري سنة(738هـ 1337م)، فحدد طول مسافتها بعشر أيام وعرضها بثلاثة أيام[4]، بموقع يحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة وإشبيلية، ومن الشرق مرسية وشاطئ البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب أرض الفرنتيرة ولاية قادس، وكانت تضم في طياتها ثلاث ولايات هي[5]:

غرناطة(Granada):حيث تتوسط المملكة بمدن منها وادي آش(Guadix)، والحامة (Alhama)، وبسطة(Baza)، وشلوبانية(Salobrena)، وحصن اللوز(Iznalloz) وأرحبة(Orgiva)، وأشكر(Huescar)، ولوشة(Loja).

(*) قسطيلية: يعود اسم قسطيلية حسب ما يبدو إلى شجرة القسطل، حيث يقول أحمد المقري:" ومن غرائب الأندلس أن بها شجرتين من شجر القسطل،وهما عظيمتان جدا،إحداهما بسند وادي آش والأخرى ببشرة غرناطة.أنظر:أحمد المقري : **نفح الطيب**،مج2،ص150.

(1) **الإحاطة**،ط2،مج1،ص91.

(2) عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين . ط4، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1417هـ/1997م، ع4،ص22،نقلا عن:Simonet .

(**) الأندلس (AL Andalus) : وهي كلمة مشتقة من اسم قبائل الو ندال الجرمانية، التي أعطتها اسم واندلوس (Aandalus)،ثم جاء المسلمون وعربوا هذه الكلمة إلى أندلس،وظلت تعني الدولة الإسلامية، في شبه جزيرة أيبيريا، ثم أخذ مدلولها الجغرافي يقل شيئا فشيئا حتى صار مقتصرا،على مملكة غرناطة، ولا زالت كلمة اندلوثيا(Anda Lucia) تطلق على الولايات الاسبانية: مثل غرناطة، واشبيلية،وقرطبة،ومالقة.أنظر: أحمد مختار ألعبادي:**صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**،ص11. 12؛انظر الخريطة رقم3،ص155.

(3) مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**،ج1،ص69.

(4) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** . الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا . تحقيق، محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين . الإمارات،2001،ج4،ص141.

(5) أحمد محمد الطوخي: **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،1997 ص50.

ثم المريةَ(Almeria):وهي تقع فيما بين مرسية والبحر المتوسط،ومن مدنها برجة (Berja) ،وبرشانة(Purchena)،والمنصورة (Almanzora)،وبيرة (Vera) وأندرش (Andarax)، ودلاية (Dalias).

ومالقة (Malaga): وموقها متاخم لساحل البحر المتوسط، شرقي غرناطة،ومن مدنها، مربلة (Marabella) ورندة (Ronda) وأنتقيرةَ(Antequrera) وأرشدونةَ (Archidona) وبليش مالقة(Velez Malaga)، وقمارش(Comares)، كما تتبعها طريف(Tarifa)،والجزيرة الخضراءَ (Algeciras)، وجبل طارق[*] (Gibraltar)[1].

أما من الناحية الطبيعة الجغرافية، فقد تغنى بها العديد من الشعراء، واستلهم منها الكثير من القصص، وسميت بدمشق الأندلس لتشبهها بها في غزارة الأنهار وكثرة الأشجار[2]، فهي شامية في أكثر أحوالها[3]، لأنها تقع في الإقليم الرابع حيث تمتاز بطيبة الأرض واعتدال الهواء، وعذوبة الماء[4]، ويقول عنها ابن فضل الله العمري،مدينة كبيرة مستديرة رائعة المنظر، كثيرة الأشجار والأمطار والأنهار والبساتين والفواكه، قليلة مهب الريح لاكتناف الجبال إياها"[5].

ومن عجائب غرناطة،جبل شُلَيرْ(Sierra Nivada) ، وهو أحد فروع النهر الكبير، الذي لا يزول عنه الثلج شتاء ولا صيفا، وفي أعلاه الأزهار الكثيرة[6]، لأنه يرتفع عن سطح البحر

(*) جبل طارق: سمي جبل طارق لان طارق بن عبد الله بن ونمو الزناتي،لما أجاز بمن معه من البربر ،وتحصنوا بهذا الجبل أحس في نفسه أن العرب لا تثق به،فأراد أن يزيح هذا الشك فأحرق المراكب.أنظر: الشريف الإدريسي: المصدر السابق،ص263.

(1) لسان الدين بن الخطيب:**كناسة الدكان بعد انتقال السكان**،تحقيق، محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1463 هـ/2003م،(الجزء الخاص بعرض موجز،ص13 .14)؛أنظر: خريطة رقم2، ص155.

(2) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1،ص148.

(3) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،ج1،ص94.

(4) عبد الواحد المراكشي:**المعجب**،ص8.

(5) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4، ص141.

(6) مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**،ج1،ص69؛ لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،ج1،ص118؛أبو بكر الزهري: المصدر السابق،ص93،94.

بـ 554,2 قدم[1](*)

وعليه يقال بأن أرض العدوة كتلمسان وغيرها ترى من خلاله[2]، بالإضافة إلى الطود الشامخ جبل طارق، ويصفه ابن جزي بقوله:"جبل الفتح هو معقل الإسلام، المعترض شجا في حلوق عبدة الأصنام...محل عدد الجهاد ومقر أُساد الأجناد"[3]

وأصل أنهارها نهران عظيمان: شنيل، وحَدَرَّة[4]،فلشنيل(Genil) ، يعود الفضل في اختيار موقع غرناطة حيث يقول الأمير عبد الله في مذكراته:" فوقعت أعينهم على بسط جميل"[5]،لأن مياهه تنصبُ إليها من ذوب الثلج، دون مخالطة البساتين والفضلات[6] ،وقد نال من الحسن ما لم يكن لغيره،وذلك لطيبة هوائه وعذوبة مائه،وبسط أرجائه[7]،وفي نهر شينل يقول ابن سعيد المغربي:

كأنما النهرُ صفحة كُتبت أسطُرُها والنسيم منشئُها

لما أبانت عن حُسْنٍ منظره مالت عليه الغصون تقرؤها[8]

وأما حدَّرة (Darro) فيشق غرناطة إلى نصفين[9]، وقد بُني عليه أربع قناطر عالية البناء[10]، بينما ابن فضل الله العمري يذكر خمس قناطر وهي: قنطرة ابن رشيق،وقنطرة

---

(1) أنظر: Richard & Quétin:**Guide du voyageur EN Espagne ET EN Portugal,**Nouvele édition, Librairie de l,maison éditeur des itinéraires richard, Paris –Bailly Baillére, Madrid ,1853 p466.

(*) قدم: وحدة قياس انجليزية ، و يساوي 0.3048 مترا.

(2) أبو بكر الزهري:المصدر السابق، ض.94

(3) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة(ت779هـ/1377م): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق، عبد الهادي التازي،مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1417هـ /1997م مج4،ص231.

(4) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4،ص141 .

(5) **مذكرات الأمير عبد الله**،ص21.

(6) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4،ص103.

(7) أبو العباس أحمد بن محمد الغزال(ت1191هـ/1777م): **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**، تحقيق، إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، دت،ص196.

(8) **المغرب في حلى المغرب**،ج2،ص102.

(9) عبد المنعم الحميري:**الروض المعطار**،ص23 ؛ أبو عبد الله الزهري: المصدر السابق،ص95 -96 ؛ ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4،ص191.

(10) أبوعبد الله الزهري: المصدر السابق،ص96.

القاضي، وقنطرة حمام جاش، والقنطرة الجديدة وقنطرة العوذ[1]، ومدينة غرناطة مستندة إلى جبل،وهي في غاية العلو والضخامة[2]، ولها ثلاثة عشر بابا[3]، وحول غرناطة أربعة أرباض[*]: ربض الفخارين، وربض الرملة، وربض البيازين، وربض الأجل[4]، ويضيف لسان الدين بن الخطيب بقوله:"ومدينة الحمراء دار الملك مطلة على معمورها في سمت القبلة: تشرف عليه منها الشرفات البيض والأبراج السامية، والمعاقل المنيعة، والقصور الرفيعة، تغشي العيون، وتبهر العقول"[5]، وهي بديعة متسعة، كبيرة المباني ضخمة القصور، وجامع المدينة من أروع الجوامع[6]، ولما زارها الغزال قال عنها:" وهي من المدن التي لم نر مثلها في إسبانيا،إذ بنيانها باق على حاله الإسلامي"[7]، وبذلك تشهد هذه المعالم التاريخية لسلالة عربية أطالت هذه المملكة لمدة ثلاثة قرون.

ثانيا-أسباب ثباتها

1. دور ملوكها:

لكل دولة رجال، ورجال مملكة غرناطة هم سلالة بني الأحمر، التي يعود ظهورها إلى سنة629هـ/1232م، عندما بويع من أرخونة (Arajona)، والتي كان فيها مولده[8]،وهو محمد بن يوسف بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، ويلقب بالغالب بالله[*] ،ويصفه ابن سعيد المغربي بأنه من عجائب الدهر في الفروسية، وانه يحبذ الشعر، ويطالع التاريخ[9]، ويقول عنه لسان الدين بن الخطيب:" كان هذا السلطان

---

(1) **مسالك الأبصار**،ج4،ص142.

(2) أحمد الغزال: المصدر السابق،ص199.

(3) ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار**،ج4،ص142.

(*) الربض:هو الفضاء حول المدينة،ونقول قرية ربوض:عظيمة مجتمعة، والربض هو حريم المسجد.أنظر: ابن منظور:**لسان العرب**، تحقيق ، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف،القاهرة، د ت ،ص1559.

(4) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4،ص142.

(5) **اللمحة البدرية**،ص14.

(6) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4،ص143.

(7) **نتيجة الاجتهاد**،ص195.

(8) ابن عذاري: **البيان . قسم الموحدين** . ص296.

(9) **المغرب في حلى المغرب**،ج2،ص109.

آية من آيات الله في السذاجة [*] والسلامة والجمهورية جنديا ثغريا أيدا عظيم التجلد رافضا للدعة والراحة... بعيدا من التصنع جافي السلاح شديد الحزم موهوب الإقدام، عظيم التشمير ،محتقرا للعظيمة ... فظا في طلب حقه مباشرا للحرب بنفسه ..."[1]

ونظرا لدهائه ونباهته، كما يقول عنه ابن عذاري فقد انقاد له العديد من الأسر التي لها شأن في الأندلس[2]، ومنها أسرة بني أشقيلولة، التي دعمته في حروبه،واستمرت العلاقة إلى أن كبر ولد السلطان،فوقع التنافس بينهما[3]، وهنا قال ابن خلدون:" لما أستوى على كرسيه استبد دونهم، وأنزلهم مقامات الوزراء" [4] بينما برر لسان الدين بن الخطيب،بقوله : زعموا انه عرض على صهره الأمر– يعني بني أشقيلولة– فقال له:"أنا أمي،لا أكتب وعزك عزي، وملكك ملكي"[5].

كما تظاهر بطاعة ملوك العدوة بمراكش وتونس، فتحصل من خلالهم على أموال وإعانات ساعدته في بناء مملكته[6]، وفي سنة643هـ/1246م صالح ملك قشتالة لمدة عشرين سنة، ولم يدخل أهل إشبيلية في هذا السلم[7].

وكان يعقد للناس مجلسا عاما يومين في كل أسبوع، ليتشاور مع أعيان المدينة وترفع إليه التظلمات، وتطلب منه الحاجات[8]،كما أنه باشر الحسابات بنفسه،فكثر المال وامتلأت الخزائن[9]، مما جعله يشتري السلاح، ويخزن الحبوب[10]،ويهرع إليه خمسون ألف رجل من المسلمين تاركين مدنهم للخدمة تحت لوائه[11].

(*) السذاجة:سذج: حجة ساذجة، غير بالغة، قال ابن سيدة : أراها غير عربية وعسى أن يكون أصلها سادة فعربت. أنظر: ابن منظور : **لسان العرب**،ص1979.

(1) **اللمحة البدرية**،ص30.

(2) **البيان . قسم الموحدين** . ص357.

(3) لسان الدين بن الخطيب:**تاريخ إسبانية الإسلامية**،ص287.

(4) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7،ص261

(5) لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ إسبانية الإسلامية**،ص287.

(6) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية** ص31.

(7) ابن عذاري: **البيان . قسم الموجدين** . ص367.

(8) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**،ص31، 32.

(9) **الإحاطة**،مج2،ص95.

(10) المصدر نفسه.

(11) أنظر: Washington Irvig,Op.Cit ,p 303.

وفي الأيام الأخيرة من حياته، كان يختلي بنفسه، يفكر، ويتأمل وكانت تبدو عليه مسحة من الكآبة[1]،ربما لأنه اضطر إلى محالفة أعداء المسلمين ،ومعاداة أبناء دينه من العرب والبربر[2]، وفي منتصف جمادى الثانية671هـ/ أوائل جانفي1273م توفي الغالب بالله، بعد أن عقد البيعة لولده[3].

وولي الملك بعده ولي عهده محمد المعروف:بأبي عبد الله محمد الثاني، الملقب بالفقيه وهو أعظم ملوكهم قدرا،وأرسخهم في السياسة[4]، حيث يعتبره لسان الدين بن الخطيب ممهد الدولة النصرية بوضع رسوم الملك ، وتنظيم الجباية، والقضاء على ثورة بني أشقيلولة بالدهاء والحنكة والصبر[5]، واستغل الانشقاقات الموجودة في الساحة القشتالية، وعمل على إحباط مساعي الملك القشتالي الفونسو العاشر بأن يصبح إمبراطور المنطقة[6]، لكنه توفي ليلة الأحد الثامن من شعبان701هـ/1 افريل1302م[7].

أما ثالثهم فهو أبو عبد الله محمد الثالث الملقب بالمخلوع (701-708هـ /1302-1309م)، الذي يصفه لسان الدين بن الخطيب بأفضل أهل بيته ،لأنه عرف مقدار العلماء، وساهم في إصلاح كل نواحي المملكة[8]، ومن مناقبه بناء المسجد الأعظم بغرناطة[9]، كما يعود له الفضل في اختيار الكتاب والوزراء والقضاة، حيث يقول عنه ابن الخطيب:" إن كتابه نباهي بهم الدول، أدبا، وتفننا ،وفضلا"[10]،وفي يوم عيد الفطر708هـ /9 مارس 1309م خُلع من ملكه، وحسب ما يظهر يعود السبب؛ للقسوة والفظاظة التي كان يتحلى بها، وربما لتملكه سبتة عنوة، وأغلب الظن يعود لإصابته بالعمى مما جعله يقعد في قصره.

---

(1) يوسف شكري فرحات:**غرناطة في ظل بني الأحمر** ،دار الجيل،بيروت،1993،ص25, نقلا عن(Enrique sordo.)

(2) يوسف شكري فرحات:**غرناطة في ظل بني الأحمر**،ص25.

(3) لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**،مج2،ص100،92.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية،تونس،1316ه ،ص115.

(5) **الإحاطة**، مج2، ص556، 566؛ **اللمحة البدرية**، ص47،37.

(6) أنظر: Florian , **History of the Moors of Spain**, Translation from French ,Harper &Broth; Ney- York 1481,p134.

(7) **الإحاطة**، مج2،ص566.

(8) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة**، ص47-57 ؛ **الإحاطة**، مج2،ص557.

(9) **اللمحة البدرية**، ص50.

(10) المصدر نفسه، ص51.

فانتظم الملك للرابع وهو أبو الجيوش نصر في 27شوال713هـ /9 أفريل1309م، حيث أتصف بحب الخير وأهله، وكان يصنع الآلات العجيبة بيده[1]،ولكن نظرا للحروب التي شنها عليه جيرانه المسيحيون قشتالة وأراغون، نشأت فتنة تركت أبا الجيوش نصر يتخلى عن الملك، مقابل إمارة وادي آش وذلك يوم السبت29شوال713هـ / 16فيفري 1314م [2]، والسبب إساءته للرعية[3].

فولي أبو الوليد إسماعيل(713-725هـ/1314-1325م)، الذي جاء مخالفا لسابقيه، فقد اشتهر بمحاربة البدع، وإقامة الحدود، كما اعتنى بأهل البيت[*][4]، مما جعله – حسب ما يبدو– يوفق في التصدي للهجوم القشتالي، ويقتل دون بدرو (Don Pedro) ودون خوان(Don juan)،في6 جمادي الاولى719هـ /25جوان1319م[5]. وهنا يقول القلقشندي عن هذه المعركة؛ ظهرت معجزة الدين بتفوق المسلمين مع قلة عددهم[6]،إلا أنه لم يهنأ كثيرا في ملكه، إذ قتله ابن عمه في 27رجب725هـ / 9جويلية1325م[7].

فبويع ابنه: أبو عبد الله محمد الرابع بعد أن توفي أبوه، حيث بادر إلى بيعته الفقهاء والعلماء، والصلحاء، والفضلاء،[8] ويضرب به المثل في الشجاعة، ومقارعة العدو، وقد استطاع أن ينتزع جبل طارق بدعم بني مرين[9]، وكانت نهايته علي يد جند المغاربة يوم الأربعاء13ذي الحجة733هـ/ 20 أوت 1333م، ويرجع ابن الخطيب، السبب؛ إلى شره لسانه

---

(1) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**، ص57.

(2) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**، مج3، ص339 –340 ؛ **اللمحة البدرية**، ص62 –63.

(3) القلقشندي:**صبح الأعشى**،ج5، ص261.

(*) من آل بيت رسول الله: محمد بن أحمد بن حيون. يقول عنه لسان الدين :"جملة من جمل الكمال،في إتقان التدريس والصبر عليه. أنظر :**الإحاطة**،مج 2، ص181 .186.

(4) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**، ص71 ؛**الإحاطة**:مج2،ص388؛ **رقم الحلل في نظم الدول**،ص117، 118.

(5) لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**، مج2،ص389.

(6) **صبح الأعشى**،ج5، ص262.

(7) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**، مج1،ص362 ؛ **اللمحة البدرية**، ص73ـ 74؛ القلقشندى:**صبح الأعشى** ،ج5 ص262.

(8) لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ اسبانية الإسلامية**، ص296.

(9) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**،ص77.79.

حيث تكلم بألفاظ مجزعة[1]، ويضيف: وهو من أملينا الكتاب باسمه؛ ممن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى . تاريخ إسبانية الإسلامية[2]

بينما يقول عن السابع الذي تقرب منه، وهو أبو الحجاج يوسف المؤيد بالله (733 755هـ/1354.1333م) نسيج وحده؛ لأنه امتاز بالتجربة والحنكة،وبني المدرسة العجيبة والحصون[3](*)، وشاء القدر أن تكون عليه وقيعة طريف،يوم الاثنين7 جمادى الأولى 741 هـ/

30 أكتوبر 1340م[4]. وتعود الهزيمة حسب النويري الإسكندراني، التي نقلت إليه الأخبار، بأن السلطان المريني أبا الحسن لم يأخذ برأي ابن الأحمر بفتح طريف أولا، بل فكر في فتح قرطبة، وإشبيلية، وطليطلة، بل أكثر من ذلك كان معجبا بنفسه،ومتشدقا إلى جمع الغنائم[5]، وبعد أن عقد السلم مع جيرانه، هجم عليه ممرورا، في يوم عيد الفطر755هـ /19سبتمبر1345م، وطعنه بخنجر[6].

فبايعوا أبا عبد الله محمد الخامس الغني بالله(755-760هـ/1354-1359م) ويقول عنه ابن الخطيب، لم يختلف عليه اثنان[7]، كما يذكر أنه من معاونيه في الكتابة، ثم الوزارة مع أبي النعيم رضوان[8] إلا انه خُلع يوم 28 رمضان760هـ /23 وت1359م.

ليتربع على العرش أبي الوليد إسماعيل الثاني(761.760هـ /1360.1359م)،ولم يستقر

---

(1) **اللمحة البدرية**،ص84،

(2) **تاريخ اسبانية الإسلامية**،ص296؛ **رقم الحلل**،ص118.

(3) **اللمحة البدرية**، ص96؛ **تاريخ إسبانية الإسلامية**، ص305؛ **الإحاطة**،مج4،ص339318.

(*) يعود بناء المدرسة والحصون إلى رضوان النصري الحاجب المعظم، الذي يعتبره ابن الخطيب؛ حسنة الدولة النصرية، وفخر مواليها، فهو رومي الأصل، من أهل قلصادة(La Calzada de Calatrava) وينتسب إلى قشتالة من ناحية العمومة، والأراغونية من الخؤولة. أنظر: لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**،مج1،ص513506.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**رقم الحلل في نظم الدول**،ص118.

(5) **كتاب الإلمام بالأعلام . فيما جرت به الأحكام والأمور المقصية في وقعة الإسكندرية**، تحقيق، عزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، 1390هـ/1970م، ص182 فما بعدها.

(6) **الإحاطة**، مج4، ص333.

(7) **تاريخ إسبانية الإسلامية**، ص306.

(8) **اللمحة البدرية**، ص103.

بيده شيء، بسبب الحاشية، فوقع التحاسد بين القائمين على الدولة، فقُتل في27 شعبان 761هـ/13جويلية1360م[1]، وصدق، سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي، من أهل المرية، إذ يقول:

لا تقبل الحكم على بلدة نشأت فيها إنه يُحْقِد
رياسة المرء على الأهل والجيران والخلان لا تحمدُ[2]

ليثب العاشر على الملك، وهو أبو عبد الله محمد السادس المعروف بالبرميخو (761-763هـ /1360-1362م) ولم يذكر له ابن الخطيب حسنة تمجده[3]، بل أكد بأنه فتح أبواب البلاء، برفع المكوس،والحط من قيمة الجنود[4]، وشاء القدر أن يقتل في مذبحة مع أتباعه من جهة إشبيلية في 2رجب763هـ /27أفريل1362م)[5].

ويستأنف أبو عبد الله محمد الخامس إمارته الثانية(762-794هـ /1361- 1392م) الذي يقول عنه لسان الدين بن الخطيب:"عاد إلى ملكه من غير مظاهرة ولا حيلة، وهو ألان أمير المسلمين بالأندلس، جامع الشمل وعمدة الدين، وخريج الحنكة، ومدرسة التجربة"[6]، بمعاونة كاتبه أبي عبد الله بن زمرك، وقاضيه أبي الحسن علي بن عبد الله بن الحسن النباهي[7]، الذي من ورائهم شنت حملة ضد ابن الخطيب بالوشايات والمكائد، حيث يقول هذا

---

(1) لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ اسبانية الإسلامية**،ص307؛**رقم الحلل في نظم الدول**،ص120؛ **اللمحة البدرية**، ص 114؛ **الإحاطة**، مج1،ص 398-404.

(2) أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر الصنهاجي التنبكتي(1036هـ/1627م):**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،فهرسة حواشيه،طلاب كلية الدعوة الإسلامية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1989م،ج1-2،ص187. 188.

(3) **الإحاطة**،مج1،ص 523-531.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**نُفاضة الجِراب في علالة الاغتراب** ، تحقيق،أحمد مختار العبادي،وعبد العزيز الأهوائى ،دار النشر المغربية، الدار البيضاء،دت،ص183 ،184.

(5) **الإحاطة**،مج1،ص531.

(6) **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ص117-118.

(7) المرجع نفسه، ص 118.

الأخير" في كُتُب أُلفيت بها من تواليف محمد بن الخطيب، فيما يرجع إلى العقائد والأخلاق[*]؛ فأُحرقت بمحضر من الفقهاء..."[1]، فكان رده ،على لسان صديقه عبد الرحمن بن خلدون:

فقل للْعِدا ذهب ابن الخطيب وفات ومن ذا الذي لا يفوتْ

فمن كان يفرح منكم لـه فقل: يفرح اليوم من لا يمـــوت[2]

وبذلك تنتهي مرحلة من تاريخ مملكة بني الأحمر ،لتبدأ مرحلة أخرى مليئة بالصراعات الأسرية، كعائلة بني سراج، وعائلة الثغريين، وهي التي يعتبرها المؤرخون من أضعف المراحل، وإذا كان للملوك دور في بقاء هذه المملكة، فما هي جهود العلماء وأدوارهم؟

2. جهود العلماء:

يعتبر مجهود العلماء محرضا على الجهاد، من خلال شحذ الهمم، وقد أثبت التاريخ أن دورهم كان فاصلا في نجاح العديد من المعارك، وعليه يقول عبد الرحمن بن خلدون: "كانت عدوة الأندلس منذ أول الفتح ثغرا للمسلمين فيه جهادهم ورباطهم، ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم"[3].

وقد نقلت لنا العديد من المصادر، حديث رسول صلى الله علي وسلم:وذلك لما روي عن أبي أيوب الأنصاري قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ذات يوم إذ توجه تلقاء المغرب وسلم وأشار بيده، فقيل له: على من يا رسول الله: قال:" رجال من أمتي يكونون في هذا المغرب الأقصى بجزيرة يقال لها الأندلس، حيهم مرابط، وميتهم شهيد"[4].

هذا ما جعل الخطباء والفقهاء والوعاظ، يتسابقون للذود عن الديار، متقدمين ركب الجيوش، فحادثة أنيشة سجلت لنا استشهاد سبعين عالما من بينهم، القاضي أبي الربيع سليمان الكلاعي، الذي عرف بالبسالة والإقدام، والشهامة، وكان يحضر الغزوات بنفسه ويباشر القتال،

(*) العقائد والأخلاق:حسب رأي الكثير من الكتاب المحدثين ،هو كتابه: روضة التعريف بالحب الشريف،الذي تطرق فيه إلى التصوف، والحب الإلهي بطريقة فلسفية،لمزيد من المعلومات عن هذا الكتاب.أنظر: لسان الدين بن الخطيب: **روضة التعريف بالحب الشريف**،تحقيق،عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي، بيروت، دت، ص25 فما بعدها.

(1) أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي النباهي المالقي(حي أواخر ق 8/مم):**تاريخ قضاة الأندلس** .كتاب المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا. تحقيق، لجنة إحياء التراث العربي،ط5، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ، 1403هـ/1983م،ص202.

(2) **العبر**،ج7،ص 453 .454.

(3) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7، ص250.

(4) النويري الإسكندراني:المصدر السابق،ج3،ص200؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**،ج1،ص16.

ويبلي البلاء الحسن، آخرها التي استشهد فيها مقبلا غير مدبر والراية بيده وهو ينادي المنهزمين " أعن الجنة تفرون"وذلك يوم الخميس 20ذي الحجة634هـ / 14أوت 1237م[1]، وقد رثاهم ابن الأبار بقصيدة ذكر فيها مناقبهم فقال:

مواقف أبرار قضوا من جهادهم حقوقا عليهم كالفروض اللوازم

أصيبوا وكانوا في العبادة أسوة شبابا وشيبا بالغواشي الغواشم[2]

كما انه انشد الأمير أبا زكريا يستصرخه فيها لإنقاذ مسلمي الأندلس بقصيدة سينية، نقطف منها بيتين:

وقد تواتَرَتِ الأنباءُ أنك من يَحْي بقَتْل ملوك الصُفْر[*] أَنْدَلُسا

طهِّرْ بلادك مِنهم إنهم نجس ولا طهارة ما لم تغْسل النجسا[3]

ولما بدأت المدن الأندلسية تتساقط،ويتقاسمها ملوك أراغون، وقشتالة، والبرتغال، صاحت قريحة الشاعر أبي الطيب صالح بن شريف الرُّندي، لبعث العزائم، وتحريك المشاعر، ولسان الحال ينشده:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ فلا يُغرَ بِطِيب العيش إنسان

تم أضاف:

حيث المساجد قد صارت كنائس فيهن إلا نواقيس وصُلبان

حتى المحاريبُ تبكي وهي جامدة حتىّ المنابر ترْثي وهي عيدان

ياغافلا وله في الدهر موعظة إن كنت في سِنةٍ فالدهر يقضان

وختم:

يقُودها العِلج للمكروه مكرهةً والعين باكية والقلب حيْران

---

(1) لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**،مج4، ص305،295؛ أبو الحسن النباهي: المصدر السابق،ص199.

(2) **الإحاطة**،ج4، ص309،304.

(*) الصُفر:هم سكان أوربا، ذوي اللغات المتعددة،وموقعهم وراء جبال البرانس،ويسمى باب الصُفر.أنظر: ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار في ممالك الأقطار المسالك والآثار والأقاليم** ـ تحقيق،عبد الله بن يحي السريحي، المجمع الثقافي، أبو ظبي،2003م، س1، ص313.

(3) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر** ج6،ص386؛ أبوعبد الله محمد الأنصاري التلمساني المعروف بابن عبد الملك المراكشي(703هـ/1303م): **الذيل والتكملة**ـ لكتابي الموصول والصلة تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة ،بيروت 1973م، س6، ص260،259.

لمثل هذا يذوبُ القلبُ من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان[(1)،(*)]

كما يذكر لنا صاحبا الإحاطة، والمرقبة العليا، أحد المساهمين في بناء وبقاء المملكة وهو القاضي أبي تمام غالب بن سيد بونة الخزاعي. أصله من عنابة . الذي بني ربض البيازين، وتقدم هذا الفاضل، شيخا ويعسوبا[(*)] وقاضيا وخطيبا،وكان من أهل القوة والرجولة من الإيثار والمثابرة على الرباط، والحفوف إلى الجهاد[(2)]، ويؤكد هذا، ابن فضل الله العمري بقوله:" وهو كثير العمارة يخرج منه نحو من خمسة عشر ألف مقاتل كلهم شجعان مقاتلون معتادون بالحروب،وهو ربض مستقل بحكامه وقضاته" [(3)] .

كما تعتبر الوقيعة الكبرى بظاهر طريف(741هـ /1340م) مضربا من مضارب استشهاد العلماء، حيث ذكرت كتب التراجم العديد منهم، كالقاضي محمد بن يحي بن بكر الأشعري، الذي أستمر في الحث على الجهاد والرغبة فيه، إلى أن استشهد في الوقيعة الكبرى، محرضا، يشحذ البصائر، ويدمن الأبطال، ويشير على الأمير أن يكثر من قول :" حسبنا الله ونعم الوكيل"[(4)،(*)].

كما يذكر لنا أبو الحسن النباهي، القاضي أبا بكر بن مسعود المحاربي، الذي عندما ولي القضاء في المرية، وأثناء حصار ملك أراغون لها، صدرت منه أفعال وأقوال لا تصدر إلا

---

(1) أحمد المقري:**أزهار رياض في أخبار عياض**، تحقيق،مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة،1939م،ج1،ص50.47؛ ابن عِذاري: **البيان** . قسم الموحدين . ص464.463؛ الفيكونت دوشاتوبريان **خلاصة تاريخ الأندلس** . آخر بني سراج . ترجمة وتأليف،شكيب أرسلان، مطبعة المنيا،مصر،1925 م، ص116 .119.

(*) وأثناء زيارة سامي الكيالي إلى اسبانيا كتب يقول:" لم أكد انتهي من إنشاد بعض أبيات هذه القصيدة بصوت حزين ملؤه الدمع والأنين...حتى تنبه الدليل إلى كلامي وإذا به يعلمني أن هذه القصيدة مترجمة إلى الإسبانية، ترجمها شاعر اسباني مشهور اسمه" خوان فاليرا"... وان طلاب كلية الآداب في جامعة مدريد يقرؤونها بدقة وفهم".أنظر: **في الربوع الأندلسية**، مكتبة الشرق،حلب،1963م،ص75.

(*) يعسوب:يقال يعسوب قومه،أي أولهم ،كما يلوذ النحل بيعسوبها،وهو مقدمها وسيدها.أنظر: ابن منظور:**لسان العرب**، مج 5، ص2937.

(2) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،ج4، 239، 240؛ أبو الحسن النباهي: المصدر السابق، ص137.136.

(3) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4،ص143.

(4) أبو الحسن النباهي:المصدر السابق ،ص147.141؛ لسان الدين بن الخطيب :**الإحاطة**،مج 2،ص180.176؛ أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق،ج2.1،ص398؛ أبو الفضل محمد بن محمد مخلوف (حي في ق14هـ/19م) :**شجرة النور الزكية**، المطبعة السلفية،القاهرة،1349هـ، ج2، ص231.214.

(*) ربما تعود هذه الكلمة" حسبنا الله ونعم الوكيل" إلى رأي أبي الحسن، الذي فكر في فتح قرطبة وإشبيلية، وترك طريف، ولم يأخذ برأي ابن الأحمر بفتحها أولا.. .انظر: النويري الإسكندراني: المصر السابق، ج3، ص182.

من حزماء الرجال[1]، ويذكر لنا كذلك لسان الدين بن الخطيب، القاضي أبو زكريا يحي بن السراج المعروف بابن جلوط، الذي يقول عنه:" و لقيته بجبل الفتح حليف اغتباط، بجهاد ورباط"[2].

كما ساهم العلماء في أسر الجواسيس، فهاهو عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي العاصمي، كان طبيبا ماهرا، وكاتبا شاعرا،يحضر الغزوات، كما يصفه: بأنه كان فارسا ورجلا لا مثيل له في الشجاعة والإقدام، وذات يوم لقي رجلا مسيحيا يتجسس فأسره[3].

وأهم مناقب العلماء والصوفية هي خطبهم المؤثرة، والمحرضة على الدعم والإسناد ومنها سفارة أبي الحسن بن المحروق،رسولا إلى المغرب، يستدعي الإمداد، حيث رفع بجامع القرويين موعظته بـ" أيها الناس:رحمكم الله،إن إخوانكم المسلمين بالأندلس، قد دهم العدو قَصَمه الله ساحتهم... ومدَّ الصليب بذراعيه عليهم، وأيدكم بعِزَّة الله أقوى، وانتم المؤمنون أهل البرِّ والتقوى، وهو دينكم فانصروه...الجهاد الجهاد فقد تعيَّن. الجار الجار،فقد قرر الشرع حقَّه، وبيَّن، الله الله في الإسلام، الله الله في أمة محمد عليه السلام، الله الله في المساجد المعمورة بذكر الله، الله الله في وطن الجهاد في سبيل الله،فقد استغاث بكم الدين فأعينوه، وقد تأكد عهد الله، وحاشاكم أن تنكثوه ... "[4].

وفي مقابل هؤلاء الأبطال كانت توجد بطولة من نوع أخر، ففي الأيام الأخيرة من سقوط غرناطة، قررت نسوة مالقة، نزع حليهن من الفضة والذهب، وتقديمها إلى قائد الحامية ليستعين بها في الدفاع عن البلدة، وقالوا له: "ما قيمة الذهب والفضة ونحن عبيدا"[5]. وفي مقابل

---

(1) أبو الحسن التباهي: المصدر السابق، ص139.

(2) لسان الدين بن الخطيب:**الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شُعراء المائة الثامنة**، تحقيق ،إحسان عباس دار الثقافة،بيروت،1983م،ص124.

(3) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج3،ص419.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**ريحانة الكُتاب ونجعة المنتداب**، تحقيق،محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت مج2،ص61-62؛ بينما يخطأ؛عبد الله عنان في كتابه: **نهاية الأندلس**،ع4،،ص189.عندما ينسبها إلى: لسان الدين بن الخطيب.لأنه نقلها عن أحمد المقري:**أزهار الرياض**،مج1،ص64-65. حيث يقول هذا الأخير:"وأبلغ ما كتب به ذو الوزارتين، أبو عبد الله بن الخطيب في الحث على الجهاد،والترغيب فيه".

(5) واشنطن إيرفينغ: **سقوط غرناطة**،(مقدمة إسماعيل العربي ص11).

تضحيات هؤلاء،كيف كان الجيش يؤدي دوره في التصدي، للعدوان المسيحي؟ وكيف كان نوعه وشكله؟

3. عناصر الجيش:

مما لاشك فيه، أن لكل دولة جيش يدافع عن حياضها. وبما أن لمملكة بني الأحمر حدود برية مع قشتالة،وبحرية مع أراغون والبرتغال، فقد هيأت نفسها، بتقوية الحصون، وتدريب الجيش، وبناء السفن الحربية، حتى أن أهل المدينة كانوا يعتمدون على أنفسهم وأسلحتهم، أثناء انتقالهم إلى المزارع لجني المحصول[1].

وتعتبر الحصون أهم ركيزة أساسية لصد هجمات الأعداء، فقد اختارها زاوي بن زيري، لأنها جبل منيع ومعقل شامخ ،مما جعلها قلعة حصينة يسهل الدفاع عنها، وربما كان من العوامل التي جعلت قشتالة تقدم على الصلح معها[2]، وبعد الصلح زاد في تحصينها، حيث كوّن خطا دفاعيا على طول الحدود[3]

ويذكر لنا الرحالة والجغرافيون العديد منها فيقول، أبو بكر الزهري، عن المرية:" وفيها القصبة العظيمة التي ليس أمنع منها ولا أحصن"[4]، وهي مدينة أحدثها العرب في الإسلام وكانوا يرابطون فيها[5]، وعندما زارها ابن فضل الله العمري قال عنها: وساحل المرية أحسن السواحل، وحولها حصون وقرى كثيرة، وجبال شامخة [6]بينما يذكر الإدريسي مدينة مالقة، بأنها حصينة ويعلوها جبل فارة، ولها قصبة منيعة[7].

---

(1) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،ج1، ص138.

(2) أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**، ص340.

(3) أنظر: Washington Irving,Op.Cit, p302.

(4) **كتاب الجغرافية**، ص101؛ مجهول: **ذكر بلاد الأندلس**،ج1،ص77.

(5) أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلائي(ت478هـ/1085م):**نصوص عن الأندلس . من كتاب ترصيع الأخبار، والبستان في غرائب البلدان**، تحقيق،عبد العزيز الأهوائي، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، دت، ص86؛ مجهول:ذكر بلاد الأندلس،ج1، ص77.

(6) **مسالك الأبصار**،ج4، ص145.

(7) **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**،ص297، 298.

وفي عهد أبي الحجاج يوسف، قام الحاجب رضوان النصري، ببناء السور الأعظم على ربض البيازين، كما بني الأبراج المنيعة ما يقرب عن أربعين برجا[1]، ويحيط بهذا السور البساتين العريضة، والأدواح الملتفة، فيظهر وكأنه بدون سياج[2]،- تمويه العدو-.

كما تدل الآثار الباقية بأنها دُعمت بالعديد من الأبراج، وبحائط ضخم للدفاع عنها[3] هذا ما أكده ابن فضل الله العمري بقوله: "فلا يوجد من بلد إلا وحوله حصون كثيرة، محفوظة بولاة السلطان،ورجال تحت أيديهم،ويبعضها فرسان مرتبون، وجند السلطان معظمهم بغرناطة، ثم بمالقة، وبيرة، وبالثغور البرية"[4].

أما الجند، فحسب لسان الدين بن الخطيب، صنفان:أندلسي، وبربري، فالبربري ترجع قبائله إلى المرينية، والزناتية، ، والعجيسية، والعرب المغربية[5]، بينما يذكر ابن أبي زرع بقوله: "وسار أبو علي منصور بألف فارس من بني مرين وعرب العاصم، والخلط والأثبج[*] والأغزاز [6].

ويتلقون أرزاقهم حسب مراتبهم،من بني مرين وبني عبد الواد[7]، ومساهمات التجار، فقد روي عن أبي يحي محمد بن عاصم الغرناطي -في عهد أبي الحجاج يوسف- بقوله: "وتقدم عوضا منه القائد أبوالقاسم بن يوسف بن السراج، ضرورة لا اغتباطا،فحاول الأمور، وسدد الثغور، وبث العطاء في الجند،وأجمل مواعيد الناس"[8].

---

(1) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**، مج1، ص509.

(2) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة**،ص14؛ **الإحاطة**، مج1، ص106.

(3) أنظر: Girault de Prangey,Sur L'Architecture des **Arabes et des Mores**, **Espagne** ,Paris,1841,p124

(4) **مسالك الأبصار**،ج4، ص148.

(5) **اللمحة البدرية**،ص28؛ **الإحاطة**، مج1، ص136.

(*) الأثبج: جمع ثبج، وثبج رمل معظمة،والأثبجة صحراء لها جبال الأثبجة ،لبني جعفر بن كلاب.أنظر: ياقوت الحموي:**معجم البلدان**،مج1،ص90.ويذكرهم ،عبد الرحمن ابن خلدون فيقول:"كان هؤلاء الأثبج من الهلاليين أوفر عددا ... وهم من جملة الهلاليين الداخلين لإفريقية".أنظر: **العبر**،ج6، ص30 فما بعدها.

(6) **الأنيس المطرب في روض القرطاس**، ص343.

(7) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4، ص143.

(8) **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**، تحقيق،صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع،عمان الأردن، 1410هـ/1989م،ص312.

وسلاحهم، التراس والرماح الطويلة[1]، بالإضافة إلى السروج، والألجم والدروع[2]، وتحتوي خزانتها حسب ابن عاصم الغرناطي على: كل واق من الدروع، والأسلحة، وفاخر الآلة[3].

كما توصلوا إلى صناعة المدفع في عهد أبي الوليد إسماعيل(713- 725هـ/ 1314-1325م)، وعنه يقول لسان الدين:"ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة مُحماة طاق البرج المنيع من معقله فعاثت عياث الصواعق السماوية، فألقى الرعب في قلوبهم، فنزل أهلها قسرا على حكمه"[4]، وفي وصفها نطق العالم يحي بن أحمد بن هذيل التجيبي(ت753هـ/1352م)، فقال:

وظنوا بأنَّ الرعد والصعق في السما فحاق بهم من دونها الصعق والرعد

عجائب أشكال سما هِرمس بها مهندمة تأْتي الجبال فتنهدُّ

إلا إنها الدنيا تريك عجايبا وما في القوى منها فلا بُدَّ أن يبدو[5]

وهنا تذكر الرواية المسيحية أن المسلمين هم من نصب المدفعية أول مرة واستعملوها لغرض الدفاع[6]، وتم إدخال البارود إلى الأندلس في نهاية القرن(13م/7هـ)،لأن قبل ذلك عرفت أخلاط من الأجسام قابلة للاشتعال[7].

وبما أنها تملك ساحلا طويلا يمتد من المرية شرقا إلى جبل طارق جنوبا،كانت حاجتها إلى السفن الحربية أكثر من ضرورية، وعندما زارها ابن فضل الله العمري كتب يقول: "والبلاد البحرية أسطول حراريق(*) للغزو في البحر الشامي(**) يركبها الأنجاد من الرماة والمغاورين

---

(1) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1،ص223.نقلا عن ابن سعيد المغربي.

(2) المصدر نفسه، ص202.

(3) أحمد المقري: **أزهار الرياض في أخبار عياض**،ج1،ص53، 54؛**نفح الطيب**،مج4،ص511.509.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**، ص72؛**الإحاطة**، ط2،مج1، ص400.390.

(5) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج4،ص396، 397.

(6) أنظر: Florian, Op.Cit,p 154.

(7) خوان فيرنيت(Juon Vernet) :**فضل الأندلس على ثقافة الغرب**،نقله عن الاسبانية،نهاد رضا وفاضل السباعي، اشبيلية للدراسات والنشر، والتوزيع، دمشق،1997م، ص327.

(*) حراريق:قال ابن سيدة:والحرَّاقات سُفُن فيها مرامي نيران،وقيل هي المرامي أنْفُسُها،وقال الجوهري: الحرَّاقة،ضرب من السفن فيها مرامي نيران يُرمى بها العدو في البحر.انظر: ابن منظور:**لسان العرب**،مج2 ،ح . د،ص841.

(**) البحر الشامي: هو أول مراسي البلاد الإسلامية بالأندلس.أنظر: ابن فضل الله العمري،**مسالك الأبصار**،ج4،ص144.

والرؤساء المهرة فيقاتلون العدو على ظهر البحر وهم الظافرون في الغالب ...[1] بينما يصفها لسان الدين بن الخطيب بقوله:" وامتاز خدام الأساطيل المنصورة في أحسن صورة، بين أيديهم الطبول والأبواق تروع أصواتها وتهول وتأنق من تجار الروم"[2]، ويذكر النويري الإسكندراني، أهل سبتة والمغاربة بفرسان البحر، حتى أن المسيحيين يخشونهم وذلك لحذقهم ومعرفتهم بقتالهم[3]، ومن شجعانها محمد بن محمد بن أحمد بن شلبطور الهاشمي(ت755هـ) الذي ولي قيادة أسطول المنكب[4].

وقد عرفت بصناعة المراكب البحرية والآلة والعدة، من أجل تامين تنقل التجار[5]،كما يذكر الإدريسي قرية البجانس التي يوجد فيها مرقب لرصد تحركات العدو[6]، وتغنى بها لسان الدين فقال" المرية معقل الشموخ والإباية، ومعدن المال وعنصر الجباية، وحبوة الأسطول، غير المعلل... [7].

كما استعملت نظام الجوسسة، وذلك بكشف عورات العدو والوصول إليه[8]، مع الخطط الحربية التي يذكر النويري الإسكندراني واحدة منها[9]، كما تستعمل الأغاني لتحريك مشاعر الجنود، فيتغنى الشاعر أمام الصفوف، فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة[10] وهذه العوامل تعتبر من الأسباب التي ثبتت مملكة بني الأحمر أمام الممالك المسيحية.

كما هناك عوامل حضارية تساعد على الثبات، منها الاقتصاد، والعلوم والقيم الاجتماعية ومن هنا نحاول ذكر أهمها لسببين رئيسيين: منها البقاء والتأثير.

---

(1) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4، ص144.

(2) **خطرة الطيف** . رحلات في المغرب والأندلس . تحقيق، أحمد مختار العبادي، دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي– المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت،2003،ص48 فما بعدها.

(3) **كتاب الإلمام**،ج3،ص88 .89.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**، مج2، ص364360.

(5) مجهول:**ذكر بلاد الأندلس**،ج1،ص77.

(6) **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**،ص290.

(7) **معيار الاختيار** في ذكر المعاهد والديار. تحقيق،محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،2002، ص100.

(8) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**، ص41.

(9) أنظر :أحمد محمد الطوخي:المرجع السابق، ص242 . 243.

(10) خوان فيرنيت:**فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص393.

ثالثا. الجوانب الحضارية:

1. الحياة الاجتماعية:

تعتبر الحياة الاجتماعية، مقياس لتقدم أي مجتمع من المجتمعات، وإذا تنوعت يتنوع الفكر، وعليه جاء وصف ابن غالب، في فرحة الأنفس قائلا:"وأهلُ الأندلس، عرب في الأنساب والعزة، والأنفة وعُلُوّ الهمم وفصاحة الألسن، وطيب النفوس، وإباء الضيم، وقلة احتمال الذل...هنديون في إفراط عنايتهم بالعلوم... بغداديون في ظرفهم ونظافتهم... يونانيون في استنباطهم للمياه، ومعاناتهم لضروب الغراسات..."(1)

وإذا كان ابن سعيد المغربي يصفهم: بحسن المزاج وطيب الأخلاق، ولطف الأذهان(2)، فإن لسان الدين بن الخطيب يضيف: وأخلاقهم أبية في معاني المنازعات، وأنسابهم عربية،وفيهم من البربر والمهاجرة كثير (3)، وقد ذكر ابن بطوطة جماعة من هؤلاء منهم: أبو عبد الله السمرقندي، وأحمد التبريزي، وإبراهيم القونوي، وحسين الخراساني، وعلي ورشيد الهنديان(4).

كما حافظ المسيحيين على تواجدهم بتقبلهم الإسلام، أو من دونه(5)، أما اليهود فهم معروفون، منذ عهد المملكة الزيرية، حتى عرفت بغرناطة اليهود وبوزيرها ابن نغرالة الإسرائيلي(6).

هذا ما جعل التنافس يزداد في موضة اللباس، فترك أغلب أهل الأندلس العمائم، إلا القضاة والفقهاء(7)، ومعظمهم يتعهدون شعورهم بالتنظيف والحناء(8)، ويذكر لسان الدين بن الخطيب أهمه: الحرير، والقطن، والملف، والمرعزي، والأردية الأفريقية والمآزر والمقاطع التونسية(9)، وقد شاهدهم ابن فضل الله العمري: يلبسون الثياب الرفيعة الملونة من الصوف،

---

(1) أحمد المقري:**نفح الطيب**، مج3، ص150، 151.

(2) **المغرب في حلى المغرب**،ج2، ص193.

(3) **اللمحة البدرية**، ص27.

(4) **تحفة النظار في غرائب الأمصار**،مج4، ص227.

(5) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج1، ص107.

(6) أنظر: المصدر نفسه،ص439.

(7) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1، ص222، نقلا عن ابن سعيد المغربي.

(8) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**، مج4، ص143.

(9) **اللمحة البدرية**، ص27؛ **الإحاطة**، ط2، مج1، ص135.

والكتان[1] فتبصرهم في المساجد أيام الجُمع، كأنهم الأزهار المتفتحة [2]، وهذا راجع إلى اعتنائهم بنظافة اللباس، والفراش، لدرجة شراء الصابون، ببيع قوت اليوم[3] وهنا يقول ديورَايت:"وكانت النظافة الشخصية، ورعاية الصحة العامة، أكثر تطورا من العالم المسيحي المعاصر "[4].

أما المرأة فيصفها لسان الدين بن الخطيب بقوله:"وحريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السمن، وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور، وطيب الشذا، وخفة الحركات، ونبل الكلام، وحسن المحاورة"[5]، هذا وبلغ الاهتمام بالمرأة لدرجة أن العرس كان يدوم أسبوعا كاملا في بيتها[6]،حتى أصبح يقال:" كما يتجهز الفارس من تلمسان، كذلك تتجهز العروس من مرسية"[7].

ويصفهم عبد الواحد المراكشي: بحسن اللون، وجمال الصورة، وفصاحة اللغة[8]، ولكن تغلب عليهم الإمالة بسبب تأثير اللهجات[9]، مما جعلهم يستثقلون، ويستبردون، من يتكلم بالإعراب وقوانين اللغة[10]،وكان أهل غرناطة ينطقون بالقاف، كافا، فمثلا؛ يقولون"حك"، بدلا من "حق"[11]، وعليه نتساءل- ما علاقة هذه الإمالة بسكان جيجل-.

وإذا كان لسان الدين بن الخطيب؛ ميز أهل الأندلس، بصفات حرمت منها الكثير من الأقطار، منها؛ الشهامة، وقبول الصنائع، ونفوذ الإدراك[12]، فإن ابن سعيد المغربي، يضيف:

---

(1) **مسالك الأبصار**،مج4،ص143.

(2) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**،ص27.

(3) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1،ص223، نقلا عن ابن سعيد المغربي.

(4) **قِصة الحضارة . الإصلاح الديني** - ترجمة ،عبد الحميد يونس، دار الجيل،بيروت، جامعة الدول العربية ،تونس دت،ج2،مج6،ص67.

(5) **اللمحة البدرية**،ص29.

(6) يوسف شكري فرحان:المرجع السابق ،ص102.نقلا عنِ(Ch E Dufourcq).

(7) ابن سعيد المغربي:**المغرب في حلي المغرب**،ج2،ص246.نقلا عن الحضرمي.

(8) **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،ص8.

(9) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**،ص27.

(10) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1،ص222.

(11) أحمد محمد الطوخي:المرجع السابق ،ص114،نقلا عن حسن حسني عبد الوهاب.

(12) أحمد المقري :**نفح الطيب**،مج1،ص126.

الخوف من ذل السؤال، ولذا تراهم يحافظون على ممتلكاتهم بالاحتياط والتدبير[1]، ويقتصدون في الأعياد[2]،لأن عادة التسول عندهم مستقبحة[3].

أما من ناحية العقيدة فأحوالهم سنية، على مذهب مالك[*] بن أنس[4]، وطاعتهم للأمراء مستجابة، مع تقديم الجباية[5]، حتى قال مؤرخ إسباني:" لقد اشتهر سكان غرناطة بأنهم أهل للثقة، إلى حد أن كلمتهم كان يعتمد عليها أكثر من اعتمادنا على عقد مكتوب"[6].

هذه بعض الجوانب الاجتماعية، التي ميزت، وامتازت بها مملكة بني الأحمر، ومن خلالها ننتقل إلى الجانب الأكثر أهمية، وهو الجانب العلمي، الذي ترك أثاره، ومناقبه إلى اليوم.

2. الحياة العلمية:

رغم انحصار مملكة بني الأحمر في الركن الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة الأيبيرية، إلا أنها انفتحت اتجاه الحواضر الإسلامية بتنقل العلماء منها وإليها ؛ كفاس وتلمسان وبجاية [*] وتونس، وقد ساعد على ذلك الحج إلى بيت الله الحرام، فنقلت لنا كتب التراجم والسير العديد منهم.

---

(1) أحمد المقري :**نفح الطيب**،مج1،ص223.

(2) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج1،ص137.

(3) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1،ص220، نقلا عن ابن سعيد المغربي

(*) مذهب مالك: يقول أحمد المقري :"وأعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي، ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل،انتقلت الفتوى إلى رأي مالك بن أنس ،فأنتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والأندلس جميعا ،بل والمغرب،وذلك برأي الحكم واختياره،واختلفوا في السبب المقتضي لذلك ،فذهب الجمهور إلى أن سببه رحلة علماء الأندلس إلى المدينة... وقيل:إن الإمام مالك سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس ...فقال: نسأل الله تعالى أن يزين حرمنا بملككم.أنظر : **نفح الطيب**،مج3،ص230.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة** ،مج1،ص134 ؛ **اللمحة البدرية**،ص27.

(5) لسان بن الخطيب: **اللمحة البدرية**،ص27.

(6) ول وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**، ج2،مج6، ص68.

(*) قال الولي الصالح سيدي عمر بن عمر الهواري دفين وهران سنة873هـ/1439م عن مدينة بجاية وأهلها:" إن أهلها يحبون الغرباء،والفقراء،ويتعاملون بالحلال...". أنظر :أبوعبد الله محمد بن محمد المديوني التلمساني المعروف بأن مريم: **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1336هـ/1908م،ص228-229.انظر الخريطة رقم2،ص154.

وأهل الأندلس ليس لهم مدارس تعينهم على طلب العلم،بل يتعلمون في المساجد بأجرة[1]، و قد شاهد ابن فضل الله العمري ذلك فقال:"وبجامع غرناطة أساتذة منتصبون لإقراء العلوم، وهو معمور بالخير"[2]، وهم أحرص الناس على التعلم، لأن العالم عندهم مبجل، ومكرم، بل أكثر من ذلك يشار إليه، ويقدم ويفضل في شراء حاجة[3]، وصدق . إذن . العالم أبو عمر يوسف بن عبد البر، إذ يقول:

إذا فاخرت فأفخر بالعلوم ودع ما كان من عَظْمٍ رميم[4]

ومن مفاخرها محمد بن أحمد الرقوطي[*] المرسي، الذي يعد من أعرف أهل الأندلس بالعلوم، والفنون القديمة، كالمنطق، والهندسة، والطب، والموسيقى، فيلسوفا طبيبا ماهرا[5]، وقد عرف الفونسو العاشر قدره فعينه مدرسا، في المدرسة التي أسسها[6]، ولكنه رفض ذلك، لعدم انسجامه مع المحيط الجديد[**][7]، لان المسيحيين في البدء لم يكونوا ذوي نيات سيئة، حسب رأي، دومنيك ايرفوا[8]ـ وحسب ما يبدوـ لأنه أراد نشر العلم والثقافة في وسط الشعب الإسباني[9]. مما جعل السلطان أبوعبد الله محمد الثاني الملقب بالفقيه يطلبه، فتعلم عليه طلبة

(1) أحمد المقري :**نفح الطيب**،مج1،ص221.نقلا عن ابن سعيد المغربي.

(2) **مسالك الأبصار**،ج4،ص143.

(3) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1،ص220.نقلا عن ابن سعيد المغربي.

(4) المصدر نفسه،مج2،ص408

(*) بينما يذكره أحمد المقري: باسم القرموطي، وهذا خطأ، لأن الأصح ما نقله لسان الدين بن الخطيب بكلمة الرقوطي نسبة إلى مدينة رقوطة الإسبانية.قارن: لسان بن الخطيب:**الإحاطة**، مج3،ص67 ،68؛ أحمد المقري:**نفح الطيب** ،مج 4،ص130

(5) لسان بن الخطيب:**الإحاطة**،مج3،ص67 ،68؛ أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج4، ص130.

(6) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج3،ص67 . 68؛ أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج4، ص130

(**) المحيط الجديد:ومعناه . أن يدخل في المسيحية ،وعندما طلب منه ذلك، ويحقق كل رغباته أجابه قائلا:" أنا الآن أعبد واحدا وقد عجزت عما يجب له، فكيف لو كنت أعبد ثلاثة".أنظر: لسان الدين بن الخطيب :**الإحاطة** ،مج3 ص68.

(7) دومنيك ايرفوا(Dominique Urvoy):"**علماء الأندلس**": ترجمة:محمد الرقي ،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،تحرير، سلمي الخضراء الجيوسي، منشورات مركز الوحدة العربية،بيروت،1998م،ج 2،ص1210.

(8) دومنيك ايرفوا:"**علماء الأندلس** ، ص 1210.

(9) أنظر: Ulick ralph Burke,Op.Cit,p93.

غرناطة الطب في منزله[1]، وبهذا أضاف إلى سياسته نوعا من الجاذبية، حين أهتم بالشعراء والفلاسفة وعلماء الفلك، فسمي بالفقيه[2].

وفي عهد أبي الحجاج يوسف(733-755هـ/1333-1354م) بنيت المدرسة العجيبة[3]، بفضل رضوان النصري، وكانت كبيرة رائعة المنظر، جلب إليها ساقية المياه وأحبس عليها الأوقاف[4]، ونقش على أبوابها" دعائم الدنيا أربعة: علم الحكماء، وعدالة العظماء، وصلوات الأبرار، وأقدام الشجعان"[5].

ومن مدرسيها يحي بن أحمد بن هذيل التجيبي الأرجدوني(Archidona)، الذي جلس فيها يدرس الأصول والفرائض والطب، وكان خاتمة العلماء في العلوم العقلية من هندسة، وحساب[6]. وفي ذلك العهد زار ابن بطوطة غرناطة حيث لقي عدد من فضلائها منهم فقيهها، المدرس الخطيب العالم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن إبراهيم البياني ومقرؤها الخطيب أبو سعيد فرج بن قاسم الشهير بابن لب[*]،ومنهم قاضي الجماعة نادر العصر وطرفة الدهر، أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم السلمي[7].

بينما في أوائل جمادي الثانية756هـ / أواخر جوان1355م، دخل- الجد – أبو عبد الله محمد بن أحمد المَقْري- نسبة إلى مقْرة[*]- قاضي الجماعة بفاس وتلمسان . حيث قالوا عنه:"بأنه من أكابر فحول المتأخرين"[8]، وقد بُعث سفيرا إلى غرناطة، من طرف أبي عنان

---

(1) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**، مج3،ص68.

(2) أنظر: Florian,Op.Cit,p137

(3) **اللمحة البدرية**، ص96.

(4) **الإحاطة**، مج1،ص508، 509.

(5) ول وايريل ديورانت:**قصة الحضارة**،ج2، مج6، ص67.

(6) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**، مج4، ص390.

(*)ابن لب : كان ذاكرا لعلوم القدماء كالرياضيات،والطبيعيات والإلهيات ،وقد طاف في أرض المسيحيين وناقش الأساقفة وتفوق عليهم.أنظر:لسان بن الخطيب:**الإحاطة**،ج3، ص81.79.

(7) **تحفة النظار في عجائب الأبصار**،مج4، ص223.

(*) **مقْرة**: ذكرها الونشريسي،أنها قرية من قرى بلاد الزاب من إفريقية، سكنها سلفه،ثم تحولوا إلى تلمسان، وبها ولد، ونشأ، وأقرأ، وقرأ، ويقول وضبطه ابن الأحمر:بفتح الميم ، وسكون القاف ـ وهو الأصح . أنظر: أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**،ج2.1،ص420. وهي الآن دائرة من دوائر المسيلة وتبعد عنها بـ 58 كلم.

(8) لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**، ط2، مج1، ص226.191؛أبو الحسن النباهي، المصدر السابق، ص170؛ أحمد بابا التنبكتي:**نيل الابتهاج**،ج 2.1،ص427.420.

المريني، فرفض الرجوع، وممن أخذ عنه من العلماء: الإمام الشاطبي وابن الخطيب السلماني، وابن خلدون، والكاتب ابن زمرك، وأبو محمد بن جزي، والأستاذ القيجاطي، والحافظ بن علاق[1].

كما تفيد الحفريات أن محمدا الخامس الغني بالله، قد أمر ببناء المستشفى منتصف محرم 767هـ /20 أكتوبر 1365م[2]، ونقل أحمد المقري،شعر أبو عبد الله محمد بن سالم القيسي الغرناطي، عند دخولهم بلاط السلطان على ألسنة أصحابه الأطباء:

قد جمعنا ببابكم سطر علم لبلوغ المنى ونيل الإرادة

ومن أسمائنا لكم حسن فال سالم ثم غالب وسعادة[3]

كما أن غرناطة أنجبت العديد من العلماء والخطباء والصلحاء باهت الأمم كما قال أبرزهم وهو: لسان الدين بن الخطيب(776.713هـ /1374.1313م)الذي خلف أثارا كثيرة، كلها غنية بالأفكار والتعمق في جميع المجالات منها: النثر والشعر، والتاريخ والأخلاق والدين، والنبات، والطب، والبيطرة، والفن الحربي، والسياسة[4].

ومن أقواله:" فالويل لمن يترك حسنة تنفعه، أو ذكرا جميلا يرفعه"[5].

ومن شعرائها محمد بن يوسف، المعروف: بابن زمرك، الذي قيل عنه في الإحاطة[*] بأنه صدر من صدور طلبة الأندلس، تدرج في المعرفة بمشاركته في جميع الفنون[6]، كما أنه خدم بني الأحمر سبعا وثلاثين سنة يصرف الأمور ويدير الملك، وأمره نافذ وحظوته متزايدة،حيث يعقد الصلح ويفاوض الممالك المسيحية، ويخطب في كل مناسبة[7].

---

(1) أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**،ج 2.1 ص427.

(2) أنتونيو فرنانديز بويرتاس (Antonio Fernandez puertos)"**فن الخط العربي في الأندلس**"، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص947.

(3) **نفح الطيب**، مج4، ص130.

(4) حياة ابن الخطيب: **معيار الاختيار**،ص 11فما بعدها.نقلا عن(سيمونيت Simonet).

(5) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**، ص10.

(*) قارن:الكتيبة الكامنة، ص287.282.

(6) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**، مج2، ص314.300.

(7)إبراهيم قطان،"**ابن زمرك الأديب السياسي**"، الأندلس صفحات مشرقة، الكويت: كتاب العربي:2004،ع58،ص84 فما بعدها.

ومن قضاتها علي بن عبد الله بن الحسن الجُذامي النباهي المالقي[*]، صاحب المرقبا العليا، الذي يعتبر من أكابر المشهورين بالعلم والمعرفة، معقولها ومنقولها[1].

أما مجلات الزهد والتصوف، والصوفية فقد جاءت مواكبة للمراثي الحزينة، لسقوط العديد من المدن الأندلسية، وبناء الربط والزوايا، كما ساعدت طريقة أبي الحسن الشاذلي وأبي مدين شعيب، على ظهور العديد منهم وقد ذكر ابن بطوطة، زاوية شيخ المتصوفين أبي علي عمر بن المحروق [2]، ومن أقطابها أحمد بن عمر الأندلسي الأنصاري المعروف بأبي العباس المرسي،الذي كان له القدر الراسخ في علم التحقيق والكرامات[3].

وفي الأخير نشير أن مملكة بني الأحمر، قد عاش في كنفها العديد من أمراء المغرب الإسلامي، ومن بينهم أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن، الذي يقول عنه ابن الأحمر[*]:" مولده بغرناطة من الأندلس وهو تحت إيالتنا في عام 722هـ[**] في دولة السلطان عم أبينا ،أخي جدنا، والد أبينا وكانت دولته 31سنة"[4] كما كان له نصيب في الإحاطة،مع ذكر كتابه"بواسطة السلوك في سياسة الملوك"[5].

(*) تحاشى لسان الدين ذكر مناقبه في الإحاطة لأنه كما يقول تقزز من ذلك . قارن: **الإحاطة**، مج4، ص100.79؛ **الكتيبة الكامنة**، ص152.146.

(1) أحمد المقري : **أزهار الرياض**،مج2،ص5؛أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج**،ج2.1،ص330329.

(2) **تحفة النظار**،مج4،ص227.

(3) ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار** طوائف الفقراء الصوفية. تحقيق: بسام محمد بارود، ، المجمع الثقافي،أبو ظبي،2001م،ص348343؛ أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج** ،ج2.1،ص81.

(*) ابن الأحمر:هو إسماعيل بن الأمير يوسف بن السلطان محمد بن الرئيس الأمير أبي سعيد فرج أمير مالقة،آب الأمير إسماعيل بن يوسف المعروف بابن الأحمر،كان في جند بني مرين، له تأليف أدبية،كمستودع العلامة، وحديقة النسرين، وروضة النسرين في أخبار بني عبد الواد،وتأنيس النفوس في إكمال نقط العروس(ت 810هـ/1407م) .أنظر:أحمد بابا التنبكتي:**نيل الابتهاج**،ج2.1، ص146.

(**) يختلف ابن الأحمر،مع لسان الدين،في ذكر تاريخ الولادة،فيذكرها عام723هـ ،والاختلاف في القيم الأخلاقية، فيصفه،لسان الدين، بصفات حسنة،بينما ابن الأحمر يصفه بصفات ذميمة.قارن: ابن الأحمر: **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية،بورسعيد،1421هـ/2001م ،ص77،76؛ لسان الدين بن الخطيب **الإحاطة**،مج3،ص287.

(4) **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، ص76.

(5) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**:مج3، ص292.286.

ومن هنا يتبين لنا أن للعلم دورا في بقاء وازدهار الدول، كما للعلم دور في إثراء الحياة الاقتصادية، بالأفكار، والمعلومات القيمة،وقد أنجبت الأندلس العديد منهم في الفلاحة، والزراعة، والصناعة.

3. الحياة الاقتصادية:

يعتبر الاقتصاد مقياسا على تقدم أي شعب من الشعوب، وعليه قال إكسيبراثيون غارثيا سانشيز: في الوقت الذي كان فيه الأندلسي يعرف الغلات، وعلى درجة عالية من التنوع، على العكس من ذلك تماما، كان الفقر مخيما على بساتين المنطقة المسيحية[(1)]، ولهذا ورثت مملكة بني الأحمر، اقتصادا متنوعا وخاصة من عهد ملوك الطوائف،في المرية بني صمادح،وغرناطة بني زيري، وقد نقل لنا الشريف الإدريسي، عن المرية قوله:" وبالمرية ربضها عامر بالأسواق والديار والفنادق والحمامات، والتجارة، والمسافرون إليها كثير"[(2)] ، و هي مرسى الأندلس، تأتيها المراكب من المشرق ومن الإسكندرية[(3)]، وعنها يقول الرازي: المرية باب الشرق ومفتاح الرزق[(4)]، لأن بها ثمانين معدنا، وأنواعا مختلفة، من الرصاص والقزدير والنحاس والفضة[(5)]، أما غرناطة فهي كثيرة الأسواق[(6)]، وقد غصت بالخضر الناعمة،والفواكه الطيبة، والثمر المدخرة، تدفع منها الضرائب إلى السلطان[(7)].

وتعتمد المملكة في مداخلها حسب وزيرها ابن الخطيب، على زراعة الأرض، والعقارات، وكراء الدكاكين[(8)]، كما أن أهل غرناطة يقدمون الجباية ويطيعون أمرائهم[(9)] وحسب ديورانت،

(1) "**الزراعة في اسبانيا المسلمة**"،الحضارة العربية الإسلامية،ج2،ص1377.
(2) **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**،ص290 .
(3) أبو بكر الزهري:المصدر السابق،ص101.
(4) ابن سعيد المغربي:**المغرب في حلى المغرب**،ج2،ص193.
(5) مجهول :**ذكر بلاد الأندلس**،ج1،ص15.12.
(6) المصدر نفسه،ص142.
(7) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج1،ص115، 116؛ أبو القاسم بن حوقل النصيبي(عاش في ق4هـ/10م): **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة،بيروت،1996م،ص111.
(8) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**،ص15.
(9) المصدر نفسه،ص27.

كانت المملكة تأخذ سبع الغلة، بينما يوزع النبلاء بعض مواردهم على الفنانين والشعراء والدارسين، والعلماء والمؤرخين والفلاسفة(1).

وعملتهم فضة خالصة وذهب ابريز طيب(2)، ويصفهم لسان الدين بن الخطيب قائلا: "ودِرْهَم مربع الشكل من وزن المهدي القائم بدولة الموحدين، في الأوقية منه سبعون درهما، يختلف الكتْب فيه، فعلى عهدنا، في شقّ" لا إله إلا الله، محمد رسول الله"؛ وفي شق آخر،" لا غالب إلا الله، غرناطة". ونصفه القيراط"(3)

أما الدينار(*) فيصفه:"وديناهم في الأوقية منه، ستة دنانير، وثلثا دينار؛ وفي الدينار الواحد ثمن أوقية وخُمْس ثُمن أوقية، وفي شق منه "قل اللهم مالك المُلك بيدك الخير" ويستدير به قوله تعالى" إلهكم إله واحد، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم" وفي شق،"الأمير عبد الله يوسف، بن أمير المسلمين أبي الحجاج،بن أمير المسلمين..."(4).

ويرتكز الاقتصاد على الصناعة والزراعة،مما جعل العديد من المؤرخين المستشرقين يهتمون بمخطوطات المسلمين، وينقبون على حفرياتهم،ويترجمونها إلى لغاتهم، ومنهم توماس غليك، الذي يقول:"فان السكان المسلمين الذين استوطنوا تلك المناطق،سواء أكانوا عربا، أم بربر، استخدموا القنوات، حيث المصطلحات العربية المنتشرة، التي مازالت تطلق إلى اليوم"(5).

---

(1) **قصة الحضارة** . الإصلاح الديني ج2،مج6،ص67.

(2) لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**،مج1،ص138.

(3) المصدر نفسه ،ص137، 138.

(*) الدينار:اسم أعجمي معرب أدخله العرب،في كلاهما مدخل أسماء الأجناس.وأصله دنار،وتعيينه بالعرف لا بالوضع، ويقال الهرقلية، تنسب الى هرقل عظيم الروم،لأنها إنما كانت تحمل أي للعرب من بلاد الروم،وقيل خمسة دراهم على ثمن أوقية.لمعرفة الدرهم والأوقية.أنظر: أبو العباس أحمد العزفي السبتي(ت633هـ/1235م): **حقيقة الدّينار والدّرهم والصاع والمُدّ**، تحقيق،محمد الشريف، االمجمع الثقافي، أبو ظبي،1999م،ص140. 141.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج1، ص138.

(5) (Thomos glik)، "**التكنولوجيا الهيدرولوجية في الأندلس**"،ترجمة ، صلاح جرار،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،ج2،ص1346، 1347.

وتعتبر الزراعة أهم ركيزة أساسية للحياة، وعالم الفلاحة الطنغري(*) ،يشهد على ذلك بقوله:" والزراعة، والغراسة التي بهما قوام الحياة، وقوت النفوس"[1] .

أ . الزراعة:

تربعت مملكة بني الأحمر على موروث زراعي وخاصة في المرية،حيث ينقل لنا العذري هذا الموروث بقوله:" وبني بخارج مدينة المرية . بني صمادح . بستانا وقصورا متقنة البنيان غريبة الصناعة وجلب إليها من جميع الثمار الغريبة وغيرها، ففيها من كل شيء غريب مثل اللوز الكثير، وقصب السكر، وأنواع سائر الثمرات مما لا يقدر على صفته، وفي وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة مفروشة بالرخام الأبيض.ويسمى ذلك البستان بالصمادحية"[2].

وهذا وقد ظهرت رسائل زراعية في القرنين 11و12م مثل رسائل، ابن وافد، وابن بصال، وأبي الخير، وابن حجاج، والطنغري، وابن العوام[3]، وهذا الأخير يقول: "وفلاحة الأرض هي أهنأ المكاسب"[4]، وبواسطتهم استعملت التقنيات الزراعية، وخاصة في حالة قصب السكر، وأنواع الحمضيات، تشبه إلى حد بعيد التقنيات المستخدمة اليوم[5].

ولهذا قال عنهم ابن سعيد المغربي، بأنهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة، وقد شبههم باليونانيين في استخراجهم المياه، واختيار أنواع الأشجار والأزهار والخضر وبستنه الحقول[6].

كما يعود الفضل إلى أرضها الطيبة، التي تعيش عليها كل النباتات[7]، بل تنمو في سفوح جبالها العقاقير والأدوية النباتية، مثل؛ الجنطانيا، وعود اللينجوج الذي يفوق العود الهندي

(*) الطنغري:من أهل غرناطة، عاش على عهد الأمير عبد الله بن بلكين بن باديس،صاحب غرناطة، وكان من أهل الفضل والخير والعلم، ومن تواليفه:كتابه الشهير في الفلاحة وهو بديع سماه" زهر البستان ونزهة الأذهان".أنظر: لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج2،ص284282.

(1) اكسبيراثيون غارسيا سانشيز" **الزراعة في اسبانيا المسلمة**" الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص 1267.

(2) **نصوص عن الأندلس** . من كتاب الأخبار وتنويع الآثار. ص58

(3) إكسبيراثيون غارثيا سانشيز:"**الزراعة في اسبانيا المسلمة**"ص1371.

(4) أنظر: Abu Zacaria Iahia,**Libro de Agricultura,**.Traducido la castellano y anotado,Don Josef Antonio Banqueri,Y A Expensas dé la real Biblioteca ,tomo, Madrid, 1802, Tomo primero,p5.

(5) إكسبيراثيون غارثيا سانشيز:" **الزراعة في اسبانيا المسلمة**"،ص1376.

(6) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج3،ص151.

(7) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**، ص13.

ذكاء وعطرا ورائحة[1]، حتى أن من عجائب مدينة المرية، أنه يخزن بها الشعير، لمدة سبعين سنة، ويبقى على حاله[2]، أما ثمارها، فقد تغنى بها الشعراء، وتمتع بذوقها الرحالة والجغرافيون، فيذكرون التين واللوز في مالقة، والعنب والرمان في المرية، ومن كثرة المنتوج يصدر الفائض إلى المشرق والمغرب[3]، كما يذكر لسان الدين ابن الخطيب: بأنها بحر من بحور الحنطة،ومعدن من معادن الحبوب المفضلة بالإضافة إلى السكر، والحرير والإعشاب الطبية[4].

والذي ساعد على التطور الزراعي هو التواصل بين الحضارات،فنقلت إلى الأندلس تقنيات زراعية كالسقي بالناعورات، والتطعيم، والأدوات الزراعية، حيث أستنتج أكسبيراثيون سانشيز، بأن البربر أحضروا معهم الأفكار الخاصة بهم،ومنها قناة (Favara) – نسبة إلى قبيلة هوارة–، ومازال إلى ألان تحمل بعض القنوات أسماء عربية[5]، كما عملوا على تحسين الغلات، بمحاولة أقلمة النباتات الغريبة مع التربة، عن طريق المعاينة الدائمة، بإنشاء حدائق بستانية[6].

وقد ساعد المنتوج الزراعي، ووفرة المعادن، على أفكار صناعية ومنها تصبير وتجفيف الفواكه، وصنع أدوات الزراعة، والمطبخ، والحياكة، ويعتبر قصر الحمراء، رمزا من رموز هذه الصناعة[7].

---

(1) لسان الدين بن الخطيب :**الإحاطة**،مج1،ص98 ؛**اللمحة البدرية**، ص13.

(2) أبو بكر الزهري: المصدر السابق،ص101.

(3) الشريف الإدريسي:المصدر السابق ،ص292؛ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4 ،ص154؛ابن بطوطة: المصدر السابق ،مج4،ص220.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**، ص13.

(5) "**الزراعة في اسبانيا المسلمة** "، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص1353.

(6) خوان فيرنيت(Juan Vernet)"**العلوم الفيزيائية والطبيعية والتقنية في الأندلس**"، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2، ص1303.

(7) أنظر :واشنطن إيرفينغ:**الحمراء**،ترجمة،هاني يحي نصري، مركز الإنماء الحضاري، حلب،1996م، ق1،ص57 فما بعدها.

ب . الصناعة:

نظرا لتوفر العديد من المعادن؛ كالحديد والنحاس، والمواد الزراعية؛ كالحرير والكتان فقد اختصت كل مدينة بصناعة وميزة، ففي المرية وحسب ما نقله أبو بكر الزهري: يصنع كل شيء حسن من الأثاث،ومن جميع الأشياء المحكمة وأهلها كلهم رجالا ونساء صُناع بأيديهم، وأكثر صناعة نسائهم الغزل الذي يقارب الحرير، وأكثر صناعة رجالهم الحياكة [1]، كما تختص مالقة، بصنائع الجلد،كالحزم والمدورات، وبصنائع الحريز: كالسكين، والمقص[2] بالإضافة إلى الفخار المذهب، ومن جودته يصدر إلى أقاصي البلاد[3].

بينما يتميز فحص غرناطة بإنتاج الحرير والكتان، ومن كثرته يصدر إلى البلدان المجاورة[4]، وبقيت صناعة الحرير إلى عهد الموريسكيين، وهذا ما لاحظه أحمد الغزال في زيارته فقال:"وفي مجرى الوادي، جعلوا دارا لدبغ الجلود، هي من عهد الإسلام، ثم بالقرب منها موضع مستقل لصنع الحرير، وأهل المدينة جلهم يستعملون الحرير"[5]، كما يضيف بان هناك قرب نهر شنيل يصنع الورق– الكاغد–[6].

كما لاحظهم ابن سعيد المغربي: يصبغون الحرير، وقد نصبوا خياما في بطن الوادي[7] وهذا ما أكده لوسي بولنز بقوله: مما يدل على أن الزراعة في مالقة استمرت في إنتاج مواد الصباغة، بمقياسي صناعي[8].

وما تزال قطع فنية محفوظة في متحف الجيش بمدريد، منها سيف بغمد وهو مزركش ومغطى بالفضة، ومطعم بالعاج، وفي متحف كليفلاند (Cleveland) أقمشة حريرية فاخرة كالستائر المأخوذة من الحمراء[9].

---

(1) **كتاب الجغرافية**، ص102.

(2) ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار**،ج4، ص145.

(3) ابن بطوطة: المصدر السابق ،مج4، ص218.

(4) الحميري: **الروض المعطار**، ص24.

(5) **نتيجة الاجتهاد**،ص199.

(6) المصدر نفسه،ص198.

(7) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1، ص178.

(8) Lucie Bolens :" **نباتات الصباغة والنسيج** "،الحضارة العربية الإسلامية،ج2،ص1401.

(9) جيريلين دودز:،" **فنون الأندلس**"ترجمة،جابر أبو صفية، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص879.

وبالصناعة نكون قد تعرفنا وبصورة موجزة عن أوضاع مملكة بني الأحمر، والعوامل التي ساعدتها على البقاء مدة طويلة من الزمن، بين أنياب ثلاث ممالك مسيحية، وعلية نطرح السؤال: كيف نشأت هذه الممالك؟ ومن ساعدها على إنهاء الوجود الإسلامي؟

الفصل الثاني

أحوال الممالك المسيحية

أولا – ظروف نشأتها:

ثانيا – العامل الديني:

1 – دور الكنيسة ورجال الدين

2– جماعة الفرسان الدينية

ثالثا – العامل الطبيعي

أحوال الممالك المسيحية:

أولا. ظروف نشأتها

في نهاية القرن العاشر، كانت الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية[*] ثلاثا، وهي: نافار[**]، ويحكمها غرسية سانشيز(Garcia Sanchez I) (314-359هـ/926-970م)، ومملكة ليون(Léon) يحكمها برمود الثاني(Vermudo II)، وإمارة (كونتية) قشتالة، يحكمها غرسية فرناندز (Garcia Fernandez)[1].

ومع بداية القرن الحادي عشر، وصلت نافار(بلاد البشكنس)، أوج عظمتها في عهد شانجة غرسية الثالث (Sanacho Garces III) (391-426هـ/1000-1035م)، حيث أصبح يلقب بالعظيم، باستلائه على ليون، وقشتالة وأراغون[2]، وهذا بسبب اضمحلال سلطات الأمويين[3].

لكنه قسم المملكة بين أبنائه الأربعة؛ فخص فرناندو الأول(Fernando I)(426-458هـ/1035-1065م) بملك قشتالة وليون،بينما ولده الأكبر غرسية الوطن الأصلي نافار، أما راميرو فخصه برقعة ضيقة، تسمى مملكة أراغون، بينما ولده غنزالو(Gonzalo) بأواسط البيريني[4].

(*) الأيبيريون:يعتقد البعض أن أصل القبائل الأيبيرية، من شمال إفريقيا، نظرا لتماثل مصادر واشتقاقات بعض الكلمات في لغة سكان الباسك، ويعزز ذلك فصائل الدم بين الباسك والبربر، وقد أختلف المؤرخون في أصلهم.أنظر: عادل سعيد بشتاوي :**الأندلسيون المواركة**، مطبعة أنترنسيونال برس، القاهرة، 1403هـ /1983م،ص33؛مسعود الخوند: **الموسوعة التاريخية الجغرافية**،دار رواد النهضة،بيروت،1994م،ص299.

(**) نافار (Navarra) أو نبرة ،أو بلاد البشكنس، وعاصمتها بنبولة(Pamplona)،وكانت نافار منذ الفتح من أشد الولايات الاسبانية مقاومة للمسلمين،وبالرغم من أنها لم تخضع للحكم الاسلامي، فإنها قد تأثرت إلى حد كبير بمجاورتها للمسلمين. انظر :عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية**، ص 307 308.

(1) عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . دول الطوائف ،ط4،ع2،1417هـ1997م376 377؛ A.G.DE M,**Histoire D'Espagne**,Cinquième édition,Libririe de j.Lefort,Lille- Paris, 1886,p68

(3) يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلسي** ،ج1،ص10.

(4) عبد الرحمن الحجي:**التاريخ الأندلسي**،ص352؛ عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . دول الطوائف . ط4،ع2، 1417هـ/1997م، ص 378.

وبينما كانت الممالك المسيحية تشتعل بالحرب الأهلية، ويسقط الملوك صرعى، كان ملوك الطوائف، يتسابقون لودهم والالتجاء إليهم[1].

مما ساعد فرناندو الأول(Fernando I)(426-458هـ/1035-1065) أن يعيث في طليطلة(Toledo) وحكامها بني ذي النون، وفي بعض مناطق إشبيلية حيث بنو عباد[2].

فبسط سلطانه، وقام بإصلاحات؛ ففي سنة441هـ/1050م دعا إلى اجتماع كنسي، اعتبره مجلسا نيابيا، مع العمل في الأديرة بمبادئ بندكت[*]، وحصلت الكنيسة على امتيازات وحدد الاحتفال بيوم الأحد[3]، وفي عهده اتسعت رقعة مملكة قشتالة اتساعا كبيرا، واقتطعت العديد من الحصون، وتفوقت في جميع المجالات، وسمي بإمبراطور إسبانيا[4].

وفي سنة456هـ/1064م قبل وفاته بعام عمد إلى تقسيم مملكته، فاستدعى مجلسا للشورى، وفيه قرر بموافقة الأساقفة وكبراء المملكة، أن يقسم أراضيه بين أبنائه الثلاثة؛ فخص سانشو ولد الكبير بقشتالة، وحقوق الجزية من صاحب سرقسطة(ابن هود)، وخص الفونسو، بليون وأشتوريس،مع حقوق الجزية على صاحب طليطلة (ابن ذي النون)، كما خص أصغرهم غارسيا، بجليقية والبرتغال، وحق الجزية على أمير إشبيلية (ابن عباد)[5]، ولم يعجب يوسف أشباخ هذا التقسيم فقال:" وبالرغم من المحن التي جازتها اسبانيا من جراء انقسام المملكة

---

(1) عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** . دول الطوائف ،ع2، ص 380 .381.

(2) انظر:عبد الرحمن الحجي:**التاريخ الأندلسي**،ص353؛ A.G.DE M:Op.Cit,pp,70-76.

(*) بندكت :(Bénédict) ولد بندكت سنة 480م، في قرية نورسيا بإيطاليا ، من أسرة غنية، أرسله والده ،لتلقي العلم ،لكن هاله ما رآه من فساد.ولما بلغ عمره خمس عشرة سنة،فر إلى مكان بعيد عن الحياة المدنية،وعاش في كهف بضع سنين،في عزلة تامة،فاشتهر بين الناس والمتنسكين ،فألح عليه رهبان أحد الأديرة ليكون رئيسا لديرهم،ولما كان حكمه صارما، دسوا له السم، فعاد إلى حياة العزلة. ولكن أخلص أتباعه اتبعوه،وطلبوا منه الهداية، فانتقل إلى مونت كاسينو وهناك وضع مبادئ الحكم البندكتي، ومنها: العمل ركن أساسي من أركان النظام البندكتي. حيث قال:" العمل عبادة"أنظر:ول وَايريْل ديورَانت :**قصة الحضارة** . عصر الإيمان . ج3،مج4،ص337 . 338؛نعيم فرح:**الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية،القاهرة، 1998م،ص236 .237.

(3) يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلسي** ،ج1،ص15 .16.

(4) عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . دول الطوائف ،ع2،ص386387.

(5) لسان الدين بن الخطيب:**تاريخ اسبانية الإسلامية**،ص، 329؛ يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلسي** ،ج1،ص23؛ عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . دول الطوائف ،ع2،ص 389.

المسيحية، فإن أحدا لم يعتبر بهذه الحقيقة، ووقع فرناندو الأول في نفس الخطأ الذي وقع فيه أبوه"[1].

وفعلا عاد الصراع من جديد بعد أن توفيت أرملة فرناندو (سانشا)،والتي حافظت بحنكتها على وحدة المملكة لمدة عامين[2]، وبعد صراع مرير مليء بالخيانات والدسائس أصبح ألفونسو السادس(Alfonso VI)(465-502هـ/1072-1109م) ملكا؛ لقشتالة، وليون، وجليقية، وعادت المملكة المسيحية إلى تماسكها ووحدتها[3].

والى جانبها كانت تقوم إمارة مسيحية هي إمارة برشلونة،وكان يحكمها طول هذه الفترة الكونت[*] ريموند برنجار(Ramon Beranguer)(426-468هـ/1035-1076م)،حيث قام بإصلاحات جديدة سميت :" بعرف برشلونة"(Usages de Barcellona)[4].

وعند عبور المرابطين، إلى شبه الجزيرة الأيبيرية لإنجاد ملوك الطوائف، في ربيع الآخر479هـ/أوت1086م، كانت الممالك المسيحية ثلاث:هي مملكة قشتالة وهي أكبرهم، ومملكة أراغون، وإمارة برشلونة، أو قطلونية وهي أصغرهم ، بينما اختفت مملكة نفار (البشكنس)[5].

وكان الفونسو السادس، على رأس جيوش القوى المسيحية، حين انهزم في موقعة الزلاقة،"سكرالياس"(Sacralias) سنة15رجب479هـ/26أكتوبر1086م[6]، بينما كان على رأس

(1) **تاريخ الأندلسي**،ج1،ص23.

(2) يوسف أشباخ:**تاريخ الأندلسي** ،ج1،ص23؛ عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** ،ع2،ص 389.

(3) عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** ،ع2،ص 394؛ عبد الرحمن الحجي:التاريخ الأندلسي،ص355

(*) الكونت :تعود هذه الرتب إلى النظام الاقطاعي،الذي كان متغلغلا في تكوين المجتمع الاسباني، ويقوم على مراتب متعددة،ارفعها رتبة الدوق والوالي،وهو الذي يُقطع ولاية بأسرها،مثل جليقية أو اشتوريس.وتليها رتبة الكونت أو القومس، وهو الذي يُقطع منطقة معينة.أنظر: عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . دول الطوائف . ع2،ص 403.

(4) يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلسي** ،ج1،ص28 ،29؛ عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**،ع2،ص 407

(5) عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** . عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،ط2،ع3،ق1، مكتبة الخانجي،القاهرة،1411هـ/1990م،ص477.

(6) يوسف أشباخ: **تاريخ الأندلسي** ،ج1،ص87.

جيش المسلمين يوسف بن تاشفين[1].

أما خلال العصر الموحدي، فكانت الممالك المسيحية تنقسم إلى أربع ممالك هي: قشتالة وليون، وأراغون، ونافار، ومملكة البرتغال التي كانت تشق طريقها الخاص في غرب شبه الجزيرة الإيبيرية، وتتخذ لنفسها سياسة مستقلة[2].

وفي أواخر القرن الثاني عشر، عادت الحرب الأهلية بعد موقعة الأرك، تعصف بالممالك المسيحية، حيث اقتسم بيدرو الثاني (Pedro II)(593-610/1196-1213م) ملك أراغون،والفونسو الثامن(Alonso VII) (553-611هـ/1158-1214م) ملك قشتالة، مملكة نافار التي لم يبق منها إلا جزء صغير، ذهب إلى حكم فرنسا بالمصاهرة[3].

ولم يمض وقت طويل ،حتى اختفت مملكة ليون القديمة،باتحادها مع مملكة قشتالة، وبها أصبحت الممالك المسيحية، ثلاثا فقط، هي: قشتالة، وأرغون، والبرتغال[4]. بينما اتجهت البرتغال[*] جهة الجنوب . أو ما يسمى بولاية الغرب . عملت أراغون وقشتالة، على تحقيق الغاية القومية الدينية الكبرى وهي إسبانيا المسيحية.

وعليه نتساءل ما هي العوامل التي ساعدتها من تحقيق هذه الغاية، وهل للبابوية والكنيسة دور في تحقيق أمنية تشكيل إسبانيا الكاثوليكية؟

---

(1) يوسف بن تاشفين ،الذي يحكى عنه أنه عندما كمل في تجويز ما أتاه من الصحراء ،والقبلة، والزاب.ركب السفينة واستقر على ظهرها، رفع يده إلى الله وقال" اللهم إن كنت تعلم إن في جوازي هذا خيرا وصلاحا للمسلمين ، فسهل علي جواز هذا البحر وإن كان غير ذلك فصعبه علي حتى لأجوزه. أنظر: ابن أبي زرع: **الأنيس الطرب في روض القرطاس**، ص144 . 145.

(2) عبد الله عنان:**عصر المرابطين والموحدين** . ع2، ق2، ص583؛ أنظر:الخريطة رقم 1،ص153.

(3) عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس** . نهاية الأندلس . ع4،ص87.

(4) يوسف أشباخ : **تاريخ الأندلسي**:ج2،ص 136 فما بعدها؛عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** . نهاية الأندلس ع4،ص88؛أنظر الخريطة: رقم2،ص154. والخريطة رقم3، ص155.

(*) البرتغال:استقلت مملكة البرتغال عن قشتالة وليون بمقتضى مرسوم بابوي سنة574هـ/ 1179م' وفيه منح الفونسو هنريكيز لقب االملك،(Alfonso Enriquez)(533-581هـ/1139-1185م).أنظر: يوسف أشباخ :المرجع السابق، ج2، ص32.

ثانيا. العامل الديني:

1 . دور الكنيسة ورجال الدين.

يعود اهتمام القساوسة الكاثوليك بشبه الجزيرة الأيبيرية، منذ أن كان القوط الغربيون(*) على المذهب الأريوسي(**)، فمد كلوفيس ملك الفرنجة يده نحو الجنوب لإزاحتهم ونظروا إليهم كهرطقيين(1)، وفي يوم الأحد13 أفريل587م أعلن الملك فلافيوس ريكاردو تحوله إلى المذهب الكاثوليكي(***)، حيث أعتنق الكثير من الأساقفة الكاثوليكية(2)، مما جعل البابا غريغوري الأول يهنئه . حسب رأيه . بالرجوع إلى العقيدة السليمة، ويرسل له بهدية هي قطعة من خشب الصليب ومفتاح كنيسة القديس بطرس(3) .

(*) القوط الغربيون:دخل القوط الغربيون شبه الجزيرة الأيبيرية،سنة414م، بعد هجرة الوندال إلى إفريقية،وكان القوط مثل غالبية القبائل ذات الأصل الجرماني،يؤمنون بالمسيحية تبعا للعقيدة الآريوسية، أي أنهم لا يعتقدون بإلوهية المسيح. أنظر:سهيل زكار: **الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية**. المغرب والأندلس والبحر المتوسط . دمشق ،1416هـ /1990م،ج2،ص23فما بعدها؛ محمود شيت خطاب:**قادة فتح الأندلس** ، مؤسسة علوم القرآن،بيروت، منار للنشر والتوزيع،

(**) الاريوسي : نسبة الى اريوس، ومبدأ،الأريوسية :عنده ، أن الله غير مخلوق،وغير مولود،لا بداية له،حيث أنكر اريوس ألوهية المسيح.وهذا ما يؤكده القس المسلم أنسلم تورميدا بقوله:" وهذا في غاية الوضوح والدلالة على أن عيسى بشر من جملة البشر ورسول من جملة الرسل(صلى الله عليهم أجمعين).لمزيد من المعلومات.قارن: عبد الله علي بن علي الميورقي المعروف باسم عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل **الصليب**، تقديم، محمود علي حماية،ط3، دار المعارف، القاهرة ، 1992م،ص77 ؛

ج .ويلتر: **الهرطقة في المسيحية . تاريخ البدع الدينية المسيحية** . تعريب،جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2007م،ص80.76 ؛نعيم فرح:**الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**،ط3، منشورات جامعة دمشق دمشق ، 1421هـ /2000م ،ص162.

(1) إبراهيم علي طرخان: **دراسات في تاريخ أوربا العصور الوسطي** . دولة القوط الغربيين ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة،1958م،ص151فما بعدها.

(***) المذهب الكاثوليكي: أصل كلمة كاثوليكي:هي اللفظة اليونانية (Katholikos)، كاثوليكوس، وتعني العالمي،وقد استخدمت هذه الكلمة لأول مرة من قبل القديس ،أغناطيوس الأنطاكي،سنة 110م، ثم أستخدمها اللاهوتي الإغريقي كليمنت الإسكندراني(150-215م)، لكن الاستخدام الرسمي لها حدث قبل القرن الثالث الميلادي،وكانت الكنيسة الوحيدة آنذاك ويعتقد الكاثوليك بالثالوث، فيقولون بإله واحد، فيه ثلاثة أشخاص: الأب والابن (المسيح).وروح القدس،وهو ما يعرف بالاقانيم الثلاثة،ويعتقدون أن كل واحد من الثلاثة متميز ،وأنه إله حقيقي أنظر: سعد رستم :**الفرق المذهبية المسيحية** . منذ ظهور الإسلام حتى اليوم . ط2، الأوائل للنشر والتوزيع،دمشق،2005م،ص 68. 72.

(2) إبراهيم علي طرخان: **دولة القوط الغربيين**،ص162.

(3) المرجع نفسه،164.

وبعد الفتح الإسلامي بدأت الروح الصليبية تتجلى في مقاومة أشتوريس، وخاصة حين ساد الاعتقاد باكتشاف جثمان القديس يعقوب[*]،فأصبح مع الزمن محجا لمسيحيي شبه الجزيرة الإيبيرية وأوربا[1].

وهنا يقول أمريكو كاسترو "وبذلك أسهموا في الإبقاء على إسبانيا المسيحية مرتبطة بباقي أوربا [2]".

كما ارتبط اسم جثمان القديس يعقوب بالحروب مع المسلمين من خلال إذكاء الحماسة الدينية،حتى أنهم أصبحوا يدعون لرعاياهم بأن القديس يعقوب يبشرهم بالنصر ويحارب معهم، حتى صار في نظرهم حامي . إسبانيا[3] وأصبحت صيحة الحرب بين القوات الإسبانية عبارة "Saintiago y Cirre Espana"[4].

كما أظهروا بعض المعجزات، ومنها ؛ظهور القديس يعقوب،للملك راميرو الأول و قال له :" قام يسوع بإرسال باقي الرسوليين من إخوتي وأنا معهم إلى كافة أقاليم الأرض،وأعطاني أنا وحدي إسبانيا وطلب مني المحافظة عليها وحمايتها من أيدي أعداء الدين...وحتى لاتَشُك في شيء مما أقول لك حاول أن تراني وأنا أمتطي صهوة جواد أبيض وأضع خوذة بيضاء وأحمل سيفا يتلألأ في يدي"[5].

ويضيف أمريكو كاسترو: لقد كان لتعاليم الكنيسة الفضل في تحويل نسبة كبيرة من حروب الحدود إلى حروب صليبية لنشر المسيحية، أو القضاء على غير المسيحيين[6]، وكثيرا ما كان ينتحل الباعث الديني بقصد إلقاء قناع خفيف من الاحترام على العمليات الحربية [7]،

(*) القديس يعقوب: تذكر الأسطورة أن هيرود الثاني ملك بيت المقدس،لما قتل القديس يعقوب(يعقوب الحواري) حمل تلامذته جثته في مركب ،حتى وصلوا أرض جليقية،ودفنوه، حتى جاءت سنة 835م ليزعم القس إيريا ثيودومير ،أنه اكتشف القبر بهداية ضوء نجم،فذاعت الأسطورة،وبنيت كنيسة من أعظم الكنائس فخامة،وهي رمز الحماية ضد المسلمين.أنظر عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق، ،ص46؛ عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** ،ع1 ،ق1 ص220.

(1) عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق،ص45 ،46.

(2) أمريكو كاسترو: **إسبانيا في تاريخها** . المسيحيون والمسلمون واليهود . ترجمة،علي إبراهيم منوفي،وحامد أبو أحمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م، ص129.

(3) عبد المحسن طه رمضان:**الحروب الصليبية في الأندلس**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2011م،ص419

(4) المرجع نفسه.

(5) أمريكو كاسترو: **إسبانيا في تاريخها**.ص134.

(6) المرجع نفسه.

(7) نفسه.

ولولا هذا القناع لكان من العسير تبرير الحرب [1]، لأنهم كانوا يرون في المسلمين مجرد هراطقة[*]جامحين وأعداء ضاريين، حسب رأي نورمان كانتور [2]، وأغمضوا عيونهم عن المكاسب التي كانوا من الممكن أن يتحصلوا عليها من خلال الاتصال بالأمة الإسلامية[3].

وفتنة المستعربين[**]سنة(235هـ /850م)، خير دليل على ذلك،حيث بانت نوايا البابوية ورجال الدين،وهذا بتحريض الشباب المسيحي على سب قيم الإسلام علنا،مما زاد في الفتن الداخلية [4].

ومنذ مطلع القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري،تغير مفهوم الحرب الصليبية، بدخول الأديرة وعلى رأسها دير كلوني[**]، وذلك لتشجيع نظامهم،وطقوسهم[****].

---

(1) هـ .و. ديفز،(H.W.C.Davis): **أوربا في العصور الوسطى**،عبد المجيد حمدي محمود، منشأة المعارف ،الإسكندرية 1958م، ص183.

(*) الهرطقة: التعريف الكاثوليكي للهرطقة هو: رأي ديني مدان كنسيا على أنه مناقض للإيمان الكاثوليكي،أو أيضا:خطأ إرادي ومتشبث به،وبالتالي يعتبر الأرثوذكس هراطقة في نظرهم .أنظر ج.ويلتر: المرجع السابق،ص17.

(2) **التاريخ الوسيط** . قصة حضارة: البداية والنهاية. ترجمة:قاسم عبده قاسم، ط5، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، ق1، ص208.

(3) نورمان كانتور: المرجع السابق، ق1، ص208.

(**) فتنة المستعربين:تعود هذه الفتنة إلى قسيس إحدى الكنائس بقرطبة،اسمه برفكتو(Perfecto) الذي دخل في نقاش مع مجموعة من المسلمين،حول فضائل كل من محمد وعيسى[عليهما السلام] فأجابهم :" أما المسيح فهو ربي،وأما نبيكم فلا أجرؤ أن أسمعكم ما نقوله نحن المسيحيين عنه. لمزيد من المعلومات.أنظر: أحمد مختار العبادي:**في تاريخ المغرب والأندلس**،ص111. 112؛رينهرت دوزي: **المسلمون في الأندلس** . المسيحيون والمولدون . ترجمة،حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1998. ج1،ص95 فما بعدها

(4) أحمد مختار العبادي :**في تاريخ المغرب والأندلس**،(الحاشية ص113)

(**) دير كلوني:(Cluny) نسبة إلى مدينة في شرق فرنسا، وقد تأسس فيها هذا الدير سنة297هـ/910م، في ركن مجهول من برغنديا، على يد وليام التقي دوق اكيتانيا، وصار مع الزمن الدير القائد وكل الأديرة تخضع له، لأنه كان محصنا ضد التدخل الكنسي والعلماني، ولأنه كان تحت إشراف البابا، وملتزم بالقاعدة البندكتية.أنظر. نورمان.ف.كانتور: المرجع السابق، ق1، ص308 فمابعدها.

(****) الطقوس: سعت البابوية بكل جهد،إلى إلغاء الطقوس المنسوبة للقديس ايزيدور الاشبيلي Isidore de Séville(14هـ/ت636 م)،واستبدالها بالطقوس الرومانية، وبذل دير ساهخون البندكتي، ورئيسه الراهب برنار الفرنسي، أعظم جهد لتحقيق أغراض البابوية،وقد دعمته زوجة الفونسو الأول، وهي فرنسية، وبذلك حصل برنار،على مرسوم بابوي بتعينه في دير ساهخون، وبذلك استطاعت البابوية، أن تفرض رياستها على الممالك المسيحية.أنظر:عبد الله عنان:**عصر الطوائف** ، ع2، ص402.

الرومانية[1] مستغلين وجودهم لدعم الحرب الصليبية ضد المسلمين[2].

كما منح البابا الإسكندر الثاني(Alexande II)(1159-1181م) في سنة454هـ/1063م، غفرانا، للفرسان الفرنسيين الذين ذهبوا لقتال المسلمين في إسبانيا- أو ما تسمى بالحرب العادلة-[3]، واستغل البابا غريغوري السابع (Gregory VII) (465-477هـ/1073-1085م)، عون ودعم الممالك المسيحية، ليعرض على المتطوعين ممثلون بابويون، مع تبعية الأرض التي يخضعونها للبابوية[4]، لاستخلاصها من أيدي الوثنيين حسب زعمه- أي المسلمين-[5]، وحسب ديفز: فانه كان يعد مشروع جديد ضد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية خدمة للكنيسة الكاثوليكية [6]، وهو أول من استخدم عبارة جيش المسيح- أي غريغوري السابع-[7]، وبذلك صاغ فكرة الحرب المقدسة[8].

ومن ذلك الحين أصبحت الحرب ضد الإسلام، تنحي منحى صليبيا ،مما جعل غريغوري السابع، يقترح شن حملة ضد الشرق تقودها البابوية[9]، وهذا ما زاد في تقرب البابوية بالممالك المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية[10].

في حين كان يتأهب جموع الغرب للسير إلى الشرق، أصدر البابا إيربان الثاني (Urban II) مرسوما، يحرم على الإسبان الاشتراك في الحرب الصليبية[11]، لان حسب رأيه أعداء المسيحية يهددونهم[12]، هذا ما شجع رجال الدين، أن يتقدموا إلى ميدان المعارك، بل ويقودون

---

(1) أمريكو كاسترو: المرجع السابق،ص167؛ عبد الله عنان: **عصر الطوائف**،ع2،ص402.

(2) قاسم عبد قاسم :**ماهية الحروب الصليبية**(الإيديولوجية الدوافع . النتائج) ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة،1993،ص44.

(3) ادوارد بروي وآخرون:**تاريخ الحضارات العام** . القرون الوسطى . ط2، تعريب، يوسف أسعد داغر، وفريد م.داغر منشورات عويدات، بيروت . باريس، 1986م،مج2،ص312؛ قاسم عبد قاسم :المرجع السابق ،ص44.

(4) هـ.و.ديفز: **أوربا في العصور الوسطى**،ص188.

(5) رأفت عبد الحميد: **الفكر السياسي في العصور الوسطى**، دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة،2002م،ص75.74.

(6) **أوربا في العصور الوسطى**،ص188.

(7) قاسم عبد قاسم :المرجع السابق ،ص44

(8) المرجع نفسه.

(9) نورمان ف. كانتور: المرجع السابق،ج2،ص405.

(10) المرجع نفسه.

(11) نفسه.

(12) عبد الله عنان: **عصر الطوائف**،ع2،ص402.

الحمـلات أحيانـا مـع الـدوقات، والأشـراف، والملـك[1]، واجتمعـوا فـي جبهـة واحـدة لقتـال المسلمين[2]، وهنا يقول يوسف أشباخ:" وقد كان لرجال الدين الإسبان الفضل في وحدة اللغة والدين، والأخوة التي بفضلها عاد السلام بعد الخصام بين الأمراء المسيحيين[3].

كما شجعت البابوية في عهد البابا أونست الثالث(Innocent III)، علـى إنهاء الوجود الإسـلامي فـي الأنـدلس،حيث اصـدر أمره إلـى رئيس أسـاقفة طليطلـة لـصرف الأموال ، لقتال جيش الموحدين[4].

مما جعل الخليفة الناصر يعتذر عن هزيمة العقاب على لسان الشيخ ابن عياش:" فبث القسيسين والرهبان من برتقال إلى القسطنطينية العظمى، ينادون في البلاد من البحر الرومي إلى البحر الأخضر غوثاً غوثاً ورحمى رحمى، فجاءه عباد الصليب من كل فج عميق...وكان أولهم سبقاً الإفرنج في الشرق والشمال، ثم تبعهم البرجلوني بما عنده من العدة والرجال.وكان صاحب نبرة متعلقا من الموحدين بذمام، ومنقادا إليهم أبدا في أسمح زمام، فسخط عليه صاحب رومـه إن لم يكن لقومـه معسكرا ولسواد أهل ملتـه مكثرا،فلحق بتلك الجموع مرهجا[*]، وتوسط بحرهم المزيد ملجئا، كل ينادي الصليب، ونحن ننادي بالسميع المجيب"[5].

ولما أراد خايمي الأول ملك أراغون(Jaime I)(610-675هـ/1231-1276م)،أن يستولي علـى القواعـد الأماميـة لإقليم بلنسية، طلـب مـن البابـا غريغوري التاسـع(Gregory IX)، أن يدعمه، فأصدر مرسومه بإسباغ الصفة الصليبية على حروبـه[6]، فهرع إليه الفرسان والسادة، مع سن ضريبة الماشية العينية، مساهمة في نفقات الحرب[7].

---

(1) عبد الله عنان: **عصر الطوائف**،ع2،ص402

(2) **تاريخ الأندلسي**،ج2، ص3.

(3) **المرجع نفسه**.

(4) علي حسين الشطشاط: **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م، ص91 ؛عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق،ص65.

(*) مرهجا:رهج. الرَّهْجُ و الرَّهَجُ: الغُبارُ،وقال في الحديث:ما خالط قلب امرئ رهج في سبيل الله إلا حرم عليه النار، وارهج اذا أكثر بخور بيته.أنظر.ابن منظور:**لسان العرب**، مج3، من ذ-س،ص1750؛ ومن هنا نفهم أن كلمة، مرهجا، أي مرغوما،أي؛ تجرع السم أو الغبار جراء المشاركة في الحرب، بسبب لوم البابا،ونحن نعلم بأن نافار سكانها، بشكنس،ذوي أصول بربرية. افريقية، حيث تختلف ثقافتهم عن ثقافة القوط، ومازالوا إلى اليوم متمسكتين بثقافتهم.

(5) أنظر: ابن عِذاري المراكشي:**البيان المغرب** . قسم الموحدين . ص163. 264.

(6) عبد الله عنان: **دولة الإسلام في الأندلس**،عصر المرابطين والموحدين . ق2،ص318 فما بعدها

(7) المرجع نفسه.

كما تحمس البابا سيكستوس الرابع، لإنهاء مملكة بني الأحمر، فسمح لإزابيلا(Isabella) وزوجها فرناندو الخامس(Fernando V) ملك قشتالة وأراغون، بتحصيل ضريبة الحرب ضد المسلمين[1].

أما خلفه أنوست الثامن، فقد تلقى الخبر بإنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية من طرف الملك فرناندو الخامس، قائلا ومبشرا:" ولدك المطيع المخلص ملك قشتالة وليون وأراغون وصقلية وغرناطة، يقبل قدميك ويديك الطاهرتين خالصتي الطهارة..يبشرك بأن ربنا انعم علينا بنصر مبين على أندلسي غرناطة أعداء ديننا الكاثوليكي الطاهر[*]، وتم في هذا اليوم الثاني جانفي1492م" /1 ربيع الاول897هـ[2].

ويعد نجاح الكنيسة ورجال الدين في تأجيج روح الحماس الديني، وتقوية الروح الصليبية دفع بملوك الممالك المسيحية، إلى إنشاء جماعات دينية محاربة، تسلتهم عزيمتها من سلوك الرهبان والقساوسة.

2. جماعة الفرسان الدينية:

تعود فكرة إنشاء الجماعات الدينية،إلى النجاح الذي حققه الرهبان والقساوسة، بعد مشاركتهم في الحروب، مما جعل الملك الأراغوني الفونسو الأول الملقب بالمحارب، ينشىء أول جماعة دينية محاربة[3].

في حين لم تكن قد قامت في المشرق الإسلامي أية جماعة من هذه الجماعات[4] ويرى الكتاب المستشرقون،بأن المسلمين أنشأوا قبل ذلك نوعا من الفرسان لحماية الحدود يسمون

---

(1) عادل بشتاوي: المرجع السابق،ص68.

(*) الكاثوليكي الطاهر(Catolicos)،حسب دستور الإيمان عند المسيحيين،الذي وضعه الأساقفة في نيقية . مدينة بتركيا . سنة325م وهو كالاتي:" نؤمن بإله واحد.آب ضابط الكل.خالق السماء والأرض.كلّ ما يرى وما لا يرى.وبربٍّ واحد يسوع المسيح.ابن الله الوحيد.المولود من الآب قبل الدهور.(إله من إله) نورٌ من نور.إله حق من إله حق. مولود خير مخلوق. مساو للأب في الجوهر...ومن أجل خلاصنا .نزل من السماء ،وتجسّد من الروح القُدس،ومن مريم العذراء ،وتأنس، وصلب عنا،على عهد بيلاطس النبطي.وتألم وقبر السماء،وجلس يمين الآب ."ثم أضافت الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد كلمة (الابن) إلى دستور الإيمان، فعارضت الكنائس الشرقية الاورثوذكسية (القويم)هذه الإضافة.أنظر:نعيم فرح:المرجع السابق ، ص 179.178.

(2) عادل بشتاوي : المرجع السابق، ص68، 69.

(3) عبد الله عنان :**عصر المرابطين والموحدين**،ق1،ص518.

(4) يوسف أشباخ:المرجع السابق ،ج2، ص2.

بالمرابطة[1]، بينما يخطئون – حسب ما يظهر– حين يقولون بأن كلمة الرباط هي في الأصل لكلمات إسبانية مثل(Arrebatar، Rabato)[2].

وكان الباعث الديني والروحي هو الأساس في ميلاد هذه الجماعات، ما جعلها تتأثر بأقوال الكنيسة،ومنها:" سوف تُقْتلون وأنتم تحاربون في سبيل الرّب لكنكم سوف تتلقّون التاج الأعظم"[3].

ولما توفي الفونسو المحارب، خص في وصيته بنصيب من مملكته، إلى كل من الإستبارية(Hospital)[*] ، والمعبد(Temple)[**]، باعتبارهم حماة المسيحية في بيت المقدس.[4]

مما جعل جماعة الفرسان تفكر في إنشاء هيئات دينية، في شبه الجزيرة الأيبيرية، فهيأ لهم رامون الثالث . حاكم أراغون . الفرصة بعد أن اعتنق مبادئ المعبد (الداوية)[5]، ولما خلفه ابنه رامون الرابع(Ramon Berenguer)، سار في نفس الطريق الذي رسمه أبوه[6]، فعمل على توطيد أعداد كبيرة منهم، حيث تقرر بصفة رسمية في مجلس ديني، منح الفرسان بعض

---

(1) أمريكو كاسترو: المرجع السابق،ص225؛ يوسف أشباخ :المرجع السابق،ج2، ص2.

(2) أمريكو كاسترو: المرجع السابق،ص225، نقلا أسين بلاسيوس.

(3) أمريكو كاسترو: المرجع السابق، ص225

(*) الإستبارية:يعود تأسيسها إلى عام462هـ/1070م،عندما أسس تُجار مدينة أمالفي جمعية خيرية قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس، وذلك بغرض العناية بالحجاج الفقراء،وكان هدفها علاج المرضى وإيواء الحجاج، ولم يلبثوا أن دخلوا تحت النظام الديري البندكتي.وفي26شعبان506هـ/ 15فيفري1113م أصدر البابا بسكال الثاني مرسوما اعترف فيه بالهيئة،كما وضعها تحت الرعاية المباشرة للبابوية في روما،كما أقرّ المرسوم البابوي،منحها أملاكا وامتيازات، وقد تحولت تدريجيا من النشاط الخيري،إلى هيئة عسكرية.أنظر: نبيلة ابراهيم مقامي :**فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام** . في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي،القاهرة،1994م،ص13فما بعدها؛ محمود سعيد عمران :**حضارة أوربا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية،القاهرة،1998،ص113.112.

(**) المعبد: أو الداوية،ظهرت بعد عشرين عاما من نشأة هيئة الإستبارية، في بيت المقدس،كما عرفوا بجنود المسيح، وقد نشأت سنة 506هـ1118م على أساس حربي،وفي عام 522هـ/1128م وضعت أنظمتها وقواعدها في مؤتمر تروي (Troyes)،وفي بداية القرن الثالث عشر، تراكمت لدى الهيئة الهبات والعطايا والامتيازات،حتى أصبحت لها في الغرب الأوربي،عدة مراكز في بروفانس، وفرنسا، وأراغون، وقشتالة والبرتغال، والعديد من المدن الأوربية.أنظر. محمود سعيد عمران:**حضارة أوربا في العصور الوسطى**،ص114.113؛ نبيلة إبراهيم مقامي:المرجع السابق،ص 16فمابعدها.

(4) عبد الله عنان :**عصر المرابطين والموحدين**،ق1،ص518.

(5) يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج1،ص184؛ عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** . عصر المرابطين والموحدين . ق1، ص501، 502 ،518؛ أمريكو كاسترو:المرجع السابق، ص229.

(6) عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** . عصر المرابطين والموحدين، ق1 ،ص502.

الحصون المطلة على لاردة (Lérida)[*] سنة527هـ /1133م[1]، وسرعان ما ظهرت أهمية العون الذي يقدمه فرسان الداوية في كل حرب، تنشب بين المسلمين،فعهد إليهم بحراسة معظم الحصون التي فُتحت[2]، وعندما قام ألفونسو السادس (Alfonso VI)(465-502هـ/1072-1109م) بالاستيلاء على قلعة رباحِ(Calatrava La Vieja)[*] سنة (1134م/ 528هـ) كلف جماعة الداوية بمهمة الدفاع عنها[3].

وهذا دليل آخر على أنه لم يكن في قشتالة أي نوع من المليشيات المنظمة على شاكلة الجماعات الحربية، حسب رأي أمريكو كاسترو[4]، بينما حسب رأي يوسف أشباخ،لابد من قيام جماعة مستقلة من الفرسان لتذود عن الدين المسيحي، تكون بمعزل عن تقلبات السياسة في الممالك المسيحية [5]، وقد ساعدهم على ذلك رجال الدين،لأنهم كانوا يعيشون من أجل الحرب، والدعوة إلى الصليب [6].

ولما عجز فرسان الداوية، عن الدفاع عن قلعة رباح، أمام زحف الموحدين سلموها إلى ملك قشتالة سانشو الثالث(Sancho III)[7]، مما جعل الراهب رامون(Ramon) يستغل الفرصة، وينشئ جماعة دينية[8]، وبعدما أيده مطران طليطلة، بدأ في إلقاء الخطب والعظات حيث

(*) لاردة: تقع لاردة غربي برشلونة، وكانت أيام العصر الإسلامي من ولاية الثغر الأعلى وعاصمته سرقسطة،ونظرا لبعده عن قرطبة، فقد كانت دائما في حالة حروب مع المسيحيين،ولما انهارت الخلافة الأندلسية،وقامت دول الطوائف، قامت مملكة بني هود في سرقسطة وما حولها من القواعد،مثل وشقة، ولاردة وتطيلة، وإفراغة ،وطرطوشة، وطركونة ولكن هذه المملكة الصغيرة، لم تثبت طويلا، وسقطت لاردة في يد كونت برشلونة ،رامون برنغار الرابع، في سنة544هـ /1149م.أنظر:عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار**، ص168؛ عبد الله عنان:**الآثار الأندلسية الباقية** ص114فمابعدها.

(1) عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** . عصر المرابطين والموحدين، ق1، ص502.

(2) يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج1،ص13.

(*) قلعة رباح : هي من مدن جيان،وموقعها بين قرطبة و طليطلة،وهي مدينة حسنة، ولها حصون حصينة. أنظر:عبد المنعم الحميري:الروض المعطار،ص163.

(3) أمريكو كاسترو: المرجع السابق، ص229.

(4) المرجع نفسه.

(5) يوسف أشباخ :المرجع السابق ،ج2،ص14

(6) المرجع نفسه.

(7) عبد الله عنان :**عصر المرابطين والموحدين**، ق1، ص519.

(8) يوسف أشباخ :المرجع السابق، ج2، ص16؛ عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ق1، ص519

وعدهم بالغفران على كل من يدافع عن قلعة رباح، فاستجاب له الآلاف من المتطوعين كما قُدم له الخيل والسلاح[1].

وهكذا قامت جماعة" فرسان قلعة رباح"سنة555هـ/1161م، وانتخب الراهب رامون أول رئيس لها، وصادق البابا إسكندر الثالث على قيامها[2]، وطبقت عليها النظم الحربية لطائفة السسترسيان[*]،[3]، وحسب رأي أمريكوا كاسترو، أن المادة الإسلامية المسيحية يتم الآن وضعها من جديد في قوالب فرنسية[4].

ولما رأت الممالك المسيحية أهمية الدور الذي تضطلع به هذه الجماعات، من خدمات للدين المسيحي، وصد هجمات المسلمين، وتقديم الدعم والمساندة، وبخاصة في حماية الثغور والجوسسة، شجعت على إنشائها، ففي سنة 552هـ/1158م أنشأ الفونسو أنريكيث(Alfonso Enriquez)(533-581هـ/1139-1185م) ملك البرتغال، جماعة دينية محاربة جديدة سميت بـ (Nova Milirja) وشعارها القتال من أجل الدين المسيحي[5].

أما في سنة 658هـ/1261م قامت جمعية محاربة جديدة هي جمعية القديس ياقب (Santiago)[**] في جليقية، وينسب تأسيس هذه الجماعة إلى عدة فرسان من قطاع الطرق[6]

---

(1) هشام أبو رميلة: **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، دار الفرقان،عمان الأردن 1404هـ/ 1984م، ص238.

(2) عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، ق1، ص519.

(*) السيسترسيان(Cistercien): نشأت حركة السيسترسيان، علي يد روبير موليسم(1029-1075م)، وارتبط نموها بالقديس برنار دي كليرفوا(1091-1153م)حيث يعتبر الروح التي تحرك الباباوت، ومن أقواله "كنيسة مخطئة خير من لا كنيسة على الإطلاق"وبفضل القديس برنار، أدى الرهبان السسترسيان خدمة كبيرة للحياة الاقتصادية في أوربا،وذلك باستصلاح الأراضي البور، وفلاحتها، فضلا عن العناية بتربية الخيول والمواشي، وقد اشتهروا بتجارة الصوف،وامتلاكهم لأعظم مزارع الكروم بفرنسا،ثم بدأ الفساد يدب في المنظمة مثلما دب في أوصال هيئة كلوني قبلها.أنظر:ادوار جونو:**الفلسفة الوسيطية**، ترجمة،علي زيعور، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1982، ص101 فما بعدها ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، **أوربا العصور الوسطى**،ج2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م،ص34 فما بعدها.

(3) يوسف أشباخ :المرجع السابق،ج2،ص16؛ شكيب أرسلان: **خلاصة تاريخ الأندلس**، ص234.

(4) **إسبانيا في تاريخها**،ص230.

(5) عبد الله عنان: عصر المرابطين في المغرب والأندلس. ق1، ص528؛ يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص17 .18.

(**) القديس يعقوب: يعود إنشاء مدينة شنت ياقب إلى سنة 835م حين زعم القس تيودمير أسقف إيريا أنه اكتشف قبر القديس يعقوب، أو يعقوب الحواري.أنظر.عبد الله عنان :**الآثار الأندلسية الباقية**، 342فما بعدها.

(6) يوسف أشباخ :المرجع السابق ،ج2،ص16.

لكنهم تابوا بعد وعظهم من طرف رجال الدين، وفق منهج القديس أوغسطين [*]،[1].

ومنذ القرن الثالث عشر الذي يوافق ظهور مملكة بني الأحمر،تفردت شبه الجزيرة الإيبيرية بظهور ثلاث جماعات هي:جماعة قلعة رباح، وجماعة شانت ياقب، وجماعة القنطرة، بصفتها قوة سياسية وعسكرية[2].

حيث شاركت هذه الجماعات في الحملات العسكرية التي استهدفت الاستيلاء على مدن الأندلسية، وكان لفرسان قلعة رباح دور في سقوط مدينة بلنسية، تحت راية ملك أراغون خايمي الأول(Jaime I)(610-675هـ/1213-1276م)[3]، ولما دخل ملك قشتالة فرناندو الثالث(Fernando III)(614-650هـ/1217-1252م) مدينة جيان، ابتهج رجال الدين بالنصر، وكلف الفرسان بحراسة المدينة ومعظمهم جماعة فرسان شانت ياقب، وقلعة رباح[4].

وفي سنة 644هـ/1246م، قدّم فرسان شنت ياقب، وقلعة رباح، لملك قشتالة الدعم في غزو إشبيلية،حيث كلفهم بتخريب القرى،ولما احتلوها قاموا رفقة رجال الدين بتحويل المساجد إلى كنائس[5]، وعبر يوسف أشباخ عن هذا الموقف بقوله" وشهد المسلمون بأفئدة حزينة، كيف أزيلت قبور آبائهم وأجدادهم خلال هذا التغيير"[6].

هذا وقد تجرأ، دون مارتن قائد جماعة فرسان القنطرة سنة797هـ/1394م، على أن يدعوا سلطان غرناطة، محمد السادس(795-810هـ/1393-1408م) إلى الدخول في

(*) ولد أورليوس أوغسطين (Aurelius Aùgustinus) (345-430م) في مدينة - سوق أهراس حاليا . وبعد أن أتم تعليمه عمل بالتدريس، ثم رحل إلى روما، وشجعه نجاحه على التحرر من قيود الاعتقاد، فتخلى عن المسيحية سنة386م متجها صوب البحث عن الحكمة،تحت تأثير كتابات شيشرون،فاعتنق المذهب المانوي، ولكن سرعان ما أفاق وتخلص منه، فرجع إلى الكنيسة مرة أخرى قديسا وراهبا.وحينما عاد إلى شمال إفريقيا . الجزائر. أسس جمعية رهبانية في مدينة ايبونا . عنابة حاليا. حتى وصل إلى رتبة الكهانة، وإنتاج اغسطين أكثر من مائتي كتاب ، وأكثر من خمسمائة موعظة، ومن بين كتاباته التي قرأها العصر الوسيط يمكن ذكر" الاعترافات" وفي الثالوث، ومدينة الله . لمزيد من المعلومات .أنظر: إدوار جونو: المرجع السابق ،ص31-32.

(1) يوسف أشباخ :المرجع السابق ج2،ص16.

(2) أمريكو كاسترو:المرجع السابق ،ص223.

(3) ابن عذاري: **البيان . قسم الموحدين** . ص444.

(4) عبد الله عنان :**عصر المرابطين والموحدين** ،ق2،ص469.

(5) يوسف أشباخ:المرجع السابق ،ج2،ص198

(6) المرجع نفسه..

المسيحية، وإذا لم يستجب فليستعد للحرب[1]، وفي26 افريل1394م/ 24جمادى الثانية796هـ سار إليه بجيش تعداده خمسة آلاف مقاتل، أسفرت هذه المعركة عن مقتل أعداد كبيرة من المسيحيين وعلى رأسهم قائد جماعة القنطرة[2].

ومنذ انحصار مملكة بني الأحمر في الركن الجنوبي من شبه الجزيرة الإيبيرية كانت البابوية ورجال الدين والفرسان، دعما لملوك الممالك المسيحية، وقد تغنى رجل الدين "أنطونيو آغابيد" بالفرسان قائلا: إنه كان مشهدا رائعا للقضاء على هؤلاء الكفرة ...من طرف فرسان البلاد ورعا وتصميما وإباء، وهؤلاء الفرسان يبدون من بعيد كأنهم يسبحون على بحر من أعلام الصليب باتجاه الهلال.. يهدف إلى انتزاع بذرة الشر المحمدي... لكي تعم سيطرة الكنيسة..."[3]، وهنا يرى هُلستر، أن الحروب الطويلة ضد المسلمين ساعدت على إلهاب حماس القديسين والجنود على فتح المكسيك[4]، لأن المسيحيين كانوا يعتبرون الإسلام دينا منشقا عن المسيحية[5]، مما جعلهم يدونون على قبورهم عبارات الكراهية ضد الإسلام ومنها:" هنا يرقد في هذا الضريح فرناندو الأراغوني، وإيزابيلا القشتالية، زوج وزوجة عاشا متحدين ولُقبا بالكاثولكيين، وقد أطاحا بالطائفة المحمدية، ودحرا عناد البدعة"[6].

وبالتالي نستنتج، أن رجال الدين وجماعة الفرسان كان لهما دور فعال في الحرب الصليبية، التي شنتها الممالك المسيحية ضد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية، كما أن هناك عوامل أخرى ومن بينها العامل الطبيعي.

---

(1) شكيب أرسلان:**خلاصة تاريخ الأندلس**، ص210.

(2) المرجع نفسه.

(3) أنطونيو أغابيدا:**أخبار سقوط غرناطة**، تحرير، واشنطن ايرفينغ ،ترجمة، هاني يحي نصري،الانتشار العربي بيروت،2000م،ص205.

(4) **أوربا في العصور الوسطى**،ترجمة،محمد فتحي الشاعر، مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،1988م،ص172

(5) خايمي كاثيريس إنريكيت: **الحضارة الأندلسية في البيرو**،جمعها،خوسي بيراوون أرانبيار ،ترجمة، مصطفى فرحات، دار القصبة للنشر الجزائر، 2001،ص54.

(6) المرجع نفسه،5554.

ثالثا. العامل الطبيعي

تقول الحكمة: الأرض تدافع عن أهلها، وهذا ما انطبق في شبه الجزيرة الإيبيرية، فقد بقي المسيحيون الذين هربوا أمام الفاتحين أحرارا في الأودية والتلال في مقاطعات جليقية، وأشتوريس، والباسك، ونبرة[1]، ولم يستطع المسلمون حتى في أوج انتصارهم، اجتياح منطقة الجبال الوعرة [2].

ولهذا كانت الأنهار والهضاب والجبال الوعرة ملجأ آمنا لمسيحيي الشمال،ساعدتهم كثيرا على صد هجمات المسلمين[3]، وهنا يقول، دروثي لودر:" وبينما كان الفرسان المسيحيون مشتبكين مع أعدائهم، كان الكهول والأطفال والنساء يدفعون بالأحجار الضخمة، وجذوع الأشجار على الجنود، في أثناء عبورهم الخانق في صف مستطيل. .."[4] مما أثار حماسة المسيحيين لمواصلة الكفاح [5].

كما اقترن العامل الطبيعي، بالديني وخاصة في مدينة كوفادنجا(Covadaonga)حيث أن المسيحيين اعتصموا بمغارة في صخرة أوسيبا(Auseba)،وصمدوا حتى يئس المسلمون من إدراكهم فانصرفوا[6]، وهي الآن مقصد الزائرين[7].

وفي عهد ألفونسو السادس(Alfonso VI) شيدت التحصينات ،كما استعملت الكاتدرائية لتكون بمثابة برجا لإطلاق النيران، والسهام، والقذائف ضد المسلمين[8].

وتؤكد معظم كتب الرحالة والجغرافيين ،على أن مدن شبه الجزيرة الإيبيرية، وخاصة مدن الشمال مثل ليون وجليقية، ونافار وقشتالة، محصنة طبيعيا بالجبال والصخور [9] وهنا

---

(1) دروثي لوثر :إسبانيا . **شعبها وأرضها**. ترجمة، طارق فودة وعز الدين فريد،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1965م، ص59.

(2) **إسبانيا. شعبها وأرضها**.،ص59.

(3) رجب محمد عبد الحليم :**العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف** دار الكتاب المصري،القاهرة . دار الكتاب اللبناني، بيروت، دت، ص99.

(4) دروثي لوثر :المرجع السابق، ص60.

(5) المرجع نفسه.

(6) عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية**، ص367.

(7) المرجع نفسه.

(8) دروثي لودر : المرجع السابق،ص148.

(9) أنظر :الإدريسي:المصدر السابق ،ص257فما بعدها؛ عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار**، ص10فما بعدها.

يقول ديورانت" لقد وجدت إسبانيا في جبالها، وقايتها ومأساتها في آن واحد؛ فقد منحتها السلام من الغزو الخارجي، لكنها عوقت تقدمها الاقتصادي"[1]، هذا ما جعلها تخرج من قوقعتها، وتبحث عن مناطق جديدة أكثر خصوبة على ما يبدو.

كما أن من شروط الصلح بين قشتالة ومملكة بني الأحمر، التنازل عن مدينة جيان والحصون المجاورة لها[2]، لأن جيان (Jaén) تقع في سفح جبل عال جدا، وقصبتها[*] تمتاز بالحصانة[3]، وهي مدعمة بأسوار وأبراج، وحصون[4].

ونظرا لأهمية شاطبة وموقعها الاستراتيجي، فقد حاصرها خايمي الأول ملك أراغون سنة647هـ/1249م، مرارا حتى تربع على ربوتها الصخرية، وهي عالية جدا ترتفع بـ1800م عن سطح البحر [5].

كما جرت العديد من الاتفاقيات والحروب بين مملكة بني الأحمر ،والممالك المسيحية من جهة، وبين مملكة بني الأحمر ومملكة بني مرين من جهة أخرى، من أجل الاستحواذ على مناطق نفوذ مثل؛ البحر الأبيض المتوسط، وجبل طارق، وجزيرة طريف، وسبتة[6].

وكان من تداعيات الموقع المنعزل، أن وقعت مملكة بني الأحمر فريسة سهلة في يد الممالك المسيحية في نهاية المطاف، وحان لشمسها عن تغيب[7].

---

(1) **قصة الحضارة** . الإصلاح الديني . ترجمة،عبد الحميد يونس،ج2، مج6، ص59.

(2) ابن عذاري :**البيان** . قسم الموحدين . ص367.

(*) القصبة: جوف الحصن، يبنى فيه بناء هو أوسطه، وقصبة البلاد:مدينتها،والقصبة: القرية، وقصبة القرية وسطها. أنظر: ابن منظور :**لسان العرب**،مج5،ج46، من غ- ل،ص3641.

(3) عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار**، ص70؛ الإدريسي:المصدر السابق، ص296.

(4) عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية** ،ص224.

(5) المرجع نفسه ،ص140.

(6) أنظر:السيد عبد العزيز سالم، وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في الغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت،1969م،ص331 فما بعدها؛انظر الخريطة رقم2،ص154.

(7) عبادة بن عبد الرحمن رضا كُحيلة: **الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية، والاجتماعية، القاهرة، 1995 م،ص66.

وعليه نطرح السؤال الآتي؛ كيف استطاعت مملكة بني الأحمر أن تقاوم المد المسيحي مدة قرنين ونصف من الصراع مع ثلاث ممالك مسيحية وخاصة مملكة قشتالة، لأنها التفت عليها كالكماشة من كل الجهات، وحاولت في العديد من المرات إغلاق البوابة المغربية وخاصة، جبل طارق، وطريف والجزيرة الخضراء؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد من التعرض للعلاقات العسكرية والسياسية، بين الممالك المسيحية، ومملكة بني الأحمر؟

الفصل الثالث

العلاقات العسكرية والسياسية بين مملكة بني الأحمر والممالك المسيحية

أولا – العلاقة مع قشتالة (Castille)

ثانيا – العلاقة مع أراغون (Aragon)

ثالثا – العلاقة مع البرتغال (Portugal)

تبدأ العلاقة بين مملكة بني الأحمر والممالك المسيحية، في أوائل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، بعد أن أصبحت رغم صغرها تجمع العديد من العناصر الإيجابية، حيث استغلت كل فرصة، لإثبات وجودها سواء بالاعتماد عن نفسها، أو بالاستغاثة بمملكة بني مرين.

وقد حتم عليها الموقع الجغرافي، أن تكون لها مصالح مشتركة مع جيرانها- الأوربيين- ولهذا نجد أن سياستها لم تكن ثابتة، بل تتغير وتتبدل في حرص وحذر، حسب الظروف[1]، فتارة تتقرب من قشتالة، وتارة من أراغون، وأغلب العلاقات مع بني مرين، وفي بعض الأحيان مع بني زيان، أما علاقتها مع مملكة البرتغال فقد تجلت من خلال الصراع على منافذ البحر الأبيض المتوسط وجبل طارق وفرضت عليها الحدود الجغرافية أن تكون دوما في صراع مع مملكة قشتالة[*].

أولا. العلاقة مع قشتالة :

بعد أن قويت شوكة ابن الأحمر(محمد بن يوسف بن نصر)، وأصبح مجدد الدولة الموحدية، بفضل دهائه ونباهته[2]، أخذ يحشد جميع المسلمين لمحاربة المسيحيين، سنة 636هـ/1238م[3]، وهنا يقول عنه يوسف أشباخ :"أعاد الثقة إلى نفوس جنده في قوة المسلمين" [4]، ورغم ذلك لم يستطع أن يصد هجمات القشتاليين، ففي سنة643هـ/1245م اعتزم ابن الأحمر فك الحصار عن جيان(Jaen)، ولكنه لم يوفق بسبب اكتشاف خطته[5].

ولما رأى استحالة ذلك، أقدم على خطوة جعلت سياسته في المحك، وهي الصلح مع ملك قشتالة فرناندو الثالث(Fernando III)(614-650هـ/1217-1252م)[6]، وإذا كان ابن عِذاري لم يعجبه هذا الصلح[7]، فإن يوسف أشباخ، أعجبه موقفه فكتب يقول:"ولما رأى أمير

(1) أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**،ص344 .
(*) أنظر الخريطة :رقم03،ص155.
(2) ابن عذاري: **البيان** . قسم الموحدين . ص357.
(3) يوسف أشباخ:المرجع السابق ،ج2،ص190.
(4) المرجع نفسه.
(5) يوسف شكري فرحات :المرجع السابق ،ص21؛ يوسف أشباخ:المرجع السابق ،ج2،ص162.
(6) ابن عذاري:**البيان** . قسم الموحدين . ص367؛ لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**،ص31 ؛**الإحاطة** مج2،ص99.
(7) أنظر:**البيان** . قسم الموحدين . ص367

غرناطة عقم المضي في المقاومة، وأدرك أن فرناندو الثالث لن يقف في فتوحه عند الاستيلاء علـى جيـان، اعتـزم أن يقـوم بخطـوة حاسـمة لتـأمين أراضـيه مـن عيـث النـصارى وقدم طاعته إلى ملك قشتالة باعتباره سيده الأعلى، وصرح بأنه يحكم كل أراضيه من قبله على أداء الجزية، ثم قبّل يده بالخضوع له[1]،[*].

وعليه قدم الدعم له، أثناء حصار إشبيلية(Sevilla) في محرم646هـ/ ماي1248م هذا باتفاق الروايتين[2]، ويضيف يوسف أشباخ؛ بأن ابن الأحمر نصح المسيحيين أن يطوقوا المدينة من كل النواحي[3]، مما جعل القشتالين يستولون عليها صلحا[4]، وهنا قال عنه، عبد الله عِنان: "وكان موقف ابن الأحمر من هذه الحوادث موقفا شاذا"[5].

وعند تولي الفونسو العاشر" العالم El Sabio"(Alfonso X)(650-671هـ/1252-1284م)، طلب منه ابن الأحمر أن يساعده على احتلال سبته[6]،ولكنه تراجع عن طلب العون، بسبب شرط ؛الحصول على مدينة طريف، والجزيرة الخضراء[7].

ومع انتهاء الصلح وظهور مملكة بني مرين، بدأ ابن الأحمر يحطم الأغلال الشائنة التي كبلته بها، محالفة المسيحيين حسب رأي ،عبد الله عنان[8]،ولكنه عاد إلى الصلح مع قشتالة بعد ثورة أصهاره بني أشقيلولة[**]،خوفا من ضياع مملكته حسب ما يبدو.

---

(1) يوسف أشباخ :المرجع السابق ،ج2،ص193.

(*) شروط المعاهدة : وقعت سنة643هـ/1246م،وخلاصتها ؛أن يتوقف القتال لمدة عشرين سنة، شرط أن يتخلى ابن الأحمر عن مدينتي أرخونة وجيان والحصون المجاورة،وأن يخضع لملك قشتالة ،فيؤدي له مائة وخمسين ألف ذهبية ويعاونه ضد أعدائه سواء كانوا من المسيحيين أو المسلمين، وتعهد فوق ذلك بأن يشهد اجتماع المجلس النيابي(الكورتيس)، وأن يشهد كل حفلات البلاط الرسمية.أنظر: يوسف أشباخ:المرجع السابق ،ج2، ص193؛ يوسف شكري فرحات:المرجع السابق،ص21، نقلا Enrique Sordo.

(2) عبد الرحمن بن خلدون : **العبر**،ج6،ص392 ؛يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج2،ص197.

(3) يوسف أشباخ:المرجع السابق ،ج2،ص197.

(4) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج6،ص392.

(5) **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ،ع4،ص49.

(6) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص22.

(7) أنظر: Joseph Condé: **Histoire la Domination des Arabes et des Maures** – EN Espagne Portugal, Alexis eymery, libraire, Paris,1825, Tome Troisième,p88.

(8) **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** . ع4،ص49.

(**) بني أشقيلولة:في أواخر أيام السلطان محمد بن الأحمر، دب نزاع بينه وبين أصهاره بني أشقيلولة،فامتنعوا في حصونهم بمالقة وواد آش، مما أدى إلى قيام الحرب بينهما. لمزيد من المعلومات .أنظر :لسان الدين بن الخطيب:**تاريخ اسبانيا** =

ففي سنة665هـ/1267م اضطر ابن الأحمر إلى مصالحة القشتاليين[1]، وإذا كان لسان الدين بن الخطيب تحاشى ذكره، فإن ابن عذارى ذكره متألما فكتب يقول:" أن جملة ما أعطى ابن الأحمر للفنش، من المدن والحصون المسورة، بما احتوت عليه من الأقاليم الواسعة، والأرجاء الفسيحة اليانعة 150... وهذا شيء تعافه القلوب والأسماع..."[2].

ولما تسلم الملك محمد الثاني الشهير بالفقيه، اتصل بالملك القشتالي وطلب منه عدم مساندة بني أشقيلولة مقابل تنازلات، لكنه صرف النظر عن هذه المساندة بسبب شروط ألفونس العاشر الجائرة[3]، مما جعله يتجه نحو بني مرين ويطلب المساعدة، وفقا لوصية والده[4]، وهنا تقول الرواية المسيحية: وعلى غفلة من القشتاليين كون حلفا عدوانيا مع ملك بني مرين[5].

وفي شوال673هـ/مارس1275م جهز السلطان يعقوب بن عبد الحق خمسة آلاف لابنه أبي زيان؛ حيث نزل بمدينة طريف[6]، وقد وصف عبد الرحمن بن خلدون تحركاته بقوله: ورأى أهل الأندلس قد ثاروا بعام العقاب حتى جاءت بعدها الطاعة على أهل الكفر"[7]، ولما رأى السلطان المريني ما حققه ابنه في الأندلس، رغب في مصالحة المملكة الزيانية[*]، والتفرغ للجهاد[8]، وفي تلك

=**الإسلامية**،ص287 .291؛ **الإحاطة**،مج3،ص383382؛ عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ح7،ص261؛ أحمد مختار العبادي: **في تاريخ المغرب والأندلس**،343342.

(1) لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**،مج2،ص99.

(2) ابن عذاري:**البيان** . قسم الموحدين . ص462462.

(3) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص27.

(4) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ص253؛أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1،ص449.انظر الخريطة رقم2،ص154.

(5) أنظر: Florian,Op.Cit,p135

(6)عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ص253؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**. الدولة المرينية. تحقيق،جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب،الدار البيضاء،1954م ج3،ص38.

(7) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ص254.

(*) الصلح مع المملكة الزيانية: يقول ابن أبي زرع :" ولما جاز الأمير أبو زيان إلى الأندلس بعث أمير المسلمين حفيده تاشفين بن الأمير عبد الواحد، إلى يغمراسن بن زيان أمير تلمسان يطلبه في الصلح والألفة واجتماع الكلمة لكي يجوز إلى الأندلس آمن الروعة من بلاده. فأسعفه يغمراسن بمطلبه.فتم الصلح لكلمة الإسلام،وألف بين المسلمين ونفا عنهم التحاسد والتنافس والإظلام. أنظر:**الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**،ص145.

(8) أنظر:علي بن أبي زرع الفاسي:**الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**،ص145؛ **الأنيس المطرب في روض القرطاس**،ص317316؛عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7،ص254؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا**، ج2 ،ص40

الظروف زادت النفرة بين بني أشقيلولة وبين خالهم السلطان[1]، ولم ينجح السلطان المريني في التوفيق بينهما[2]، لأنهم انضووا تحت لوائه، مما جعل ابن الأحمر يرتاب من هذا التحالف[3].

ولكنه نجح في قهر القشتاليين بتاريخ 16ربيع الاول674هـ/9 سبتمبر 1275م، وقتل قائدهم (الدون نونيو دي لارا) في موقعة أستيجة[4]، وهنا يقول عبد الرحمن بن خلدون: "وبعث أمير المسلمين برأس الزعيم ذنّنه إلى ابن الأحمر فردّه زعموا سرا إلى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم"[5]ولكن حسب ما يبدو يعتبر ردا للجميل، لأنه قدم لهم الدعم في القضاء على ثورة بني أشقيلولة[6].

وخلال تلك الأجواء المشحونة رأى ألفونسو العاشر حسب الرواية المسيحية، أن يشتت صفوف المسلمين بالتودد إلى السلطان المريني، بالتحالف معه[7]، هذا ما جعل ابن الأحمر يتوجس من السلطان المريني حسب ما يبدو[8]، وخاصة بعد أن أعلن تأييده لبني أشقيلولة[9]، فسعى إلى التحالف مع ملك قشتالة لمنعه من العبور إلى الأندلس[10]، كما كاتب الأمير يغمراسن ملك الزيانيين يسأله العون والتحالف[11]،(*).

---

(1) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص312.

(2) عبد الهادي التازي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** . عهد بني مرين والوطاسيين . مطابع فضالة، المحمدية،1408هـ/1988م ،مج7،ص60.

(3) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين** ،ع4،ص49

(4) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ض255؛ لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**،ص44 .

(5) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ص256

(6) حسين مؤنس:**معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد،القاهرة،2004م،ص445.

(7) أنظر: Florian,Op.Cit,p 135.

(8) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ص272.

(9) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي:: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص312

(10) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:**الاستقصا** ،ج3،ص49 ؛عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، ع4،ص102.

(11) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا** ،ج3،ص 50.

(*) ويبرر أبو العباس الناصري أطماع السلطان المريني بقوله حسب ما يظهر:" وأشفق السلطان يعقوب رحمه الله على المسلمين الذين بها وعلى ابن الأحمر، مما ناله من خسف الطاغية فراسله في الموادعة واتفاق الكلمة على أن ينزل له عن مالقة... فأمتنع ابن الأحمر وأساء الرد في ذلك، فرجع السلطان يعقوب إلى إزالة العوائق عن شأنه في الجهاد وكان من أعظمها فتنة يغمراسن ،واستيقن ما دار بينه وبين ابن الأحمر والطاغية ابن أذ فونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه=

وهنا رأى السلطان المريني أن من الحكمة، حسب رأي المؤرخ المغربي؛ أن يعقد مع الطاغية سلما يمكنه من " تنشيط" ابن الأحمر وحلفائه من جهة و"تنشيط" الجيش من جهة أخرى[1].

ففي سنة681هـ1282م عبر إلى الأندلس لإنجاد ملك قشتالة؛ ألفونسو العاشر،على ابنه سانشو الرابع(Sancho IV)[2]، ولم يحقق على ما يظهر من حركته هذه سوى الغنائم وتاج قشتالة، الذي تسلمه رهنا لديه حسب رأي شارل أندري جوليان[3]، بينما حسب رأي لسان الدين بن الخطيب: لقد أفسد ما بينه وبين ابنه، مما جعل المسلمين يغتنمون هذه الفرصة[4].

وفعلا خرج سانشو الرابع متعبا من الحرب طالبا الصلح، فأستغل السلطان المريني الفرصة ليشترط عليه عدم التدخل في شؤون المسلمين، واسترجاع المخطوطات الإسلامية[5]، وهنا خشي ابن الأحمر على نفسه فتحالف معه[6]، مما جعله يقضي على ثورة بني أشقيلولة سنة687هـ/1288م، بدون مقاومة تذكر، وهذا برحيلهم إلى المغرب[7].

وخوفا من عودتهم استنجد بسانشو الرابع، لغلق منفذ العبور، وهذا باحتلال مدينة طريف في أوائل جمادى الأولى691هـ/أواخر أفريل1292م[8].

=عن الغزو فبعث إلى يغمراسن يسأله عن الذي بلغه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة، فلج في الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل الأندلس مسلمهم وكافرهم من الوصلة وأنه معتزم على وطء بلاد المغرب..." أنظر: **الاستقصا**،ج3،ص53.

(1) عبد الهادي التازي:المرجع السابق ،مج7، ص63.

(2) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج2،ص564؛ عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ع4 ص105.

(3) **تاريخ إفريقيا الشمالية**،تعريب،محمد مزالي والبشير بن سلامنة،ط2،الدار التونسية للنشر،تونس،1983 مج2، ص222.

(4) **الإحاطة**،مج2،ص564

(5) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7،ص277؛علي بن أبي زرع الفاسي:**الأنيس المطرب في روض القرطاس** ص363؛ شارل أندري جوليان: المرجع السابق ،ج2،ص223. وعن المخطوطات يقول عبد الرحمن بن خلدون:" وتقبل الطاغية سائر الشروط ،ورضي بعز الإسلام عنه. وانقلب إلى قومه بملء صدره من الرضا والمسرة وسأل منه أمير المسلمين أن يبعث من كتب العلم التي بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الإسلام، فاستكثر من أصنافها في ثلاثة عشر حملا بعث بها إليه، فوقفها السلطان بالمدرسة التي أسسها بفاس لطلب العلم. أنظر:**العبر**،ج7،ص277.

(6) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7،ص271.

(7) المصدر نفسه،ص281.

(8) لسان الدين بن الخطيب:**تاريخ إسبانيا الإسلامية**،ص291؛ علي بن أبي زرع ألفأسي: **القرطاس**،ص380-381.

وبعد رفض ملك قشتالة تسليم ثغر طريف لبني الأحمر، هرول مسرعا إلى بني مرين وأقنعهم بالعودة إلى الجهاد، مع اعتذار، وهدية[1]،[*].

فعبرت الجيوش المغربية- البربرية-[**] إلى بحر الزقاق وهاجمت مدينة طريف ولكنها لم توفق في استرجاعها، ويعود الفشل حسب الرواية المسيحية إلى قائد الحامية قزمان الطيب، (Alonso perez de Guzman) الذي رفض تسليمها للمسلمين، وفضل أن يضحي بابنه، ويراه يذبح أمام عينه قربانا للرب، وذلك بتاريخ 2جانفي 1295م[2]، بينما يرجعه لسان الدين بن الخطيب؛ إلى تخاذل بني الأحمر وكسلهم عن الإعانة، مما هيأ الظروف لإقبال أساطيل العدو، وسدهم لبحر الزقاق، وذلك بتاريخ13 صفر 694هـ[3].

غير أن السلطان ابن الأحمر - محمد الفقيه- استغل هذه المرة موت ملك قشتالة وباغتهم بجيش جرار، وانتزع منهم مدينة قيجاطة (Quesada) في شهر محرم695هـ/ نوفمبر 1295م[4]، وفي 8 شوال699هـ/ 27جوان 1300م، تحصل على مدينة القبذاق(Alcuadete)، وهي ذات موقع استراتيجي مهم لرصد تحركات العدو حسب رأي لسان الدين بن الخطيب[5].

وبدأ محمد الثالث، الملقب بالمخلوع ملكه بعقد صلح مع قشتالة سنة702هـ/ 1303م لمدة ثلاث سنوات[6]، ولم يرق هذا الصلح مملكة بني مرين، وأقلق مملكة أراغون[7]، كما

---

(1) عبد الرحمن بن خلدون:العبر،ج7،ص286.

(*) الهدية:تتمثل الهدية في المصحف العزيز،يقال أنه بخط أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه،حيث كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة.أنظر: علي بن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب في روض القرطاس**،ص383؛ عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ص286.

(**) الجيوش البربرية: قال عمر رضي الله عنه:حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة،فرأيت كثرة الكفار وقلة المسلمين.فبكيت.فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:سيعز الله هذا الدين بأقوام يأتونكم من المغرب لطلبه.. أنظر:أبو زكريا يحي بن خلدون: **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،تحقيق،عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر،1400هـ/1980م، ج1، ص85.

(2) أنظر: Alfrad Morel Fatio,"**La Lettre du roi Sanshe IV a Alonso Perez de Guzman**",**BULLETIN HISPANIQUE**,N°1,TOME II,Bordeaux,Janvier-Mars1900,pp.17-24

(3) أنظر:**تاريخ إسبانية الإسلامية**،ص291.

(4) لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**،ط2،مج2،ص561؛ **اللمحة البدرية**،ص41.

(5) **اللمحة البدرية**،ص41.

(6) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7،ص302؛ يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص30.

(7) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص30.نقلا(Dufourcq).

استغل محمد الثالث الظروف، وأوعز إلى صاحب مالقة، بأن يحرض أهل سبتة على خلع طاعة السلطان المريني والقبض على أسرة بني العزفي[*]، مما جعله يستولي عليها بدون مقاومة تذكر سنة706هـ/1306م[1]، غير أن أبا يعقوب، لم يعبأ بها، لأنه كان منشغلا بحصار تلمسان[2]،[**].

وهنا تحالفت مملكتا قشتالة وأراغون، ورأوا أن الفرصة قد باتت سانحة للقضاء على مملكة بني الأحمر وغزوها في وقت واحد، حيث تهاجم الأساطيل الأراغونية مدينة المرية، بينما تهاجم الجيوش القشتالية الجزيرة الخضراء، والالتقاء في مدينة غرناطة[3]، وأمام هذه المخاطر انتفض أبناء غرناطة على محمد الثالث، مما جعل كبار الدولة يخلعونه في عيد الفطر 708هـ/14مارس1309م ، ويولون أخاه أبا الجيوش نصر[4].

ورأى هذا الأخير أن المخرج الوحيد، هو إعادة العلاقات مع مملكة بني مرين[5]، غير أنهم فشلوا في هذا الهجوم، ففي أخريات شعبان709هـ/أواخر جانفي 1310م تراجع ملك قشتالة فرناندو الرابع(Fernando IV)(695هـ/1312)عن الحصار، وعقد صلحا مع غرناطة بضريبة وشروط[6].

(*) ابن العزفي: هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد العزفي، يكنى أبا طالب ،الرئيس الفقيه، صاحب الأمر والرياسة والإمارة بسبتة، وكان من أهل الجلالة والصيانة،وطهارة النشأة،حافظا للحديث،ملازما لتلاوة كتاب الله،عارفا بالتاريخ،عظيم الهيبة،كبير القدر والصيت...ولما ثار عليه أهله خرج إليهم، وشكر مساعيهم،وقال لهم:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**كن عبد الله المقتول،ولاتكن عبد الله القاتل**".فانصرفوا،ودخل منزله،إلى أن قبض عليه،في 12 من ذي القعدة705هـ /.26ماي1306م،حيث استقر بغرناطة.أنظر: لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج3،383-385.

(1) علي بن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب في روض القرطاس**،ص388؛لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**،ص 53؛أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا** ،ج3،ص72.

(2) شارل أندري جوليان: المرجع السابق ،ج2،ص226.

(**) حصار تلمسان: دام حصار تلمسان ثماني سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام،بلغ فيها عدد موتى تلمسان قتلا وجوعا زهاء مائة وعشرين ألفا،،ومع ذلك قاوموا مقاومة بطولية،وبينما كانت أيام تلمسان معدودة إذ بسلطان بني مرين يخر قتيلا في 10ذو القعدة706هـ / 13ماي1307م تحت ضربات خصي له نتيجة ملابسات غامضة كان الحريم مسرحا لها.أنظر:يحي بن خلدون:**بغية الرواد**،ج1،ص210-211؛ شارل أندري جوليان، المرجع السابق،ج2،ص.226

(3) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص316. نقلا عنCaspar Remiro ؛ يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص32.

(4) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**،ص54؛ **الإحاطة**،مج1،ص552.

(5) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7،ص329.

(6) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج3،ص339 ؛ **اللمحة البدرية**،ص61.

لكن مع تولي أبي الوليد إسماعيل أعلنت قشتالة الحرب على غرناطة، ففي 716هـ /1317م استولت على بعض الحصون، وانهزم المسلمون وامتلأت غرناطة حزنا وصراخا(1).

بينما في سنة719هـ/1319م انهزم الأميران: بدرو و(Pedro) وخوان(Juan) الوصيان على ملك قشتالة الفونسو الحادي عشر(Alfonso XI)(712-751هـ/1312م) حسب الرواية الإسلامية وتؤكدها بقتلهما (2)،(*)، بينما حسب الرواية المسيحية، انكسر المسلمون، ومات الأميران موتة طبيعية(3).

ولما بلغ الفونسو الحادي عشر رشده، تزامن مع وصول محمد الرابع إلى الحكم فاستنجد هذا الأخير بالمرينيين في استرجاع جبل طارق سنة733هـ/1333م(4)، كما تزامن هذا التاريخ الأخير، مع أبي الحجاج يوسف الأول الذي أستطاع أن يصل إلى اتفاق مع ملك قشتالة، اشترك فيه السلطان المريني أبو الحسن، يسري مفعوله: من أول مارس1334م الى28فيفري1338م/23جمادى الثانية734هـ الى7 شعبان 738هـ(5).

---

(1) لسان الدين بن الخطيب: **تاريخ إسبانيا الإسلامية**،ص294؛ **الإحاطة**،مج 1،ص389.

(2) عبد الرحمن بن خلدون :**العبر**،ج7،ص337؛ لسان الدين بن الخطيب:**تاريخ إسبانيا الإسلامية**،294 ص؛**الإحاطة** مج1ص389 ؛أحمد المقري: **نفح الطيب**،ج1،ص449فمابعدها؛عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، ع4،ص171.

(*) الرواية الإسلامية:،يمثلها :لسان الدين بن الخطيب، ويؤكدها ابن فضل الله العمري ،حيث يقول الأول:" وعظم الفتح، وبهر الصنع وطار الذكر ،وثاب السعد. وكانت الوقيعة سادس جمادى الأولى من عام تسعة عشر وسبعمائة [25جوان1319م]،واستقر ملكهم القتيل بأيدي المسلمين بعد فرارهم ،فجعل في تابوت خشب، ونصب بالسور المّنازل من الحمراء يسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها،إذاعة للشهرة،وتثبتا لتخليد الفخر. ومن الغريب أنني في هذه الأيام بعد خمسين سنة تماما،تفقدت ذلك المكان في بعض ما أباشره أيام نيابتي عن السلطان بدار ملكه على عادتي،فألفيته قد علا عليه كوم من الحجارة،رجم الصبيان إياه،فظهر لي تجديد الإشادة به، والاستفتاح بوقوع مثله، ولما كُشف عن الرِّمة لتُنقل الى وعاء ثان،ألفي بعظْم القطن العريض منها،سنان مُرْهب ثبت في العظم،انتزع منه.أنظر: **الإحاطة**،ط 2، مج1،ص389-390؛**مسالك الأبصار**،ج4،ص144.

(3) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص319؛ نقلا عنGimenez Soler ؛يوسف شكري فرحات :المرجع السابق ،ص33.

(4) عبد الرحمن بن خلدون : **العبر**،ج7، ص337-338؛ لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**،ص79؛ابن بطوطة: المصدر السابق،مج4،ص213.

(5) محمد كمال شبانه: المرجع السابق، ص124-125؛ السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص323.

وفي سنة 740هـ1339م أوعز السلطان المريني بعدما أحتل تلمسان(*)، إلى ابنه أبي مالك أمير الثغور الأندلسية بالدخول إلى الحرب لكنه قتل[1]، وأراد أبو الحسن المريني أن يثأر لابنه، فأجاز إلى الأندلس في 9صفر 741هـ/04أوت 1340م[2]، حيث انتصر في معركته البحرية ضد قشتالة[3]، وسيطر على مضيق جبل طارق[4]، مما جعله يوجه أنظاره إلى مدينة طريف الثغر الوحيد الباقي في يد مملكة قشتالة، ولما شعر هذا الأخير بالخطر استعان؛ بملك أراغون بدرو الرابع(Pedro IV)، وبصهره ملك البرتغال ألفونسو الرابع(Alfonso IV)[5]، وفي يوم الاثنين 7 جمادى الأولى741هـ/ 30 اكتوبر1340م. نشبت معركة حاسمة هُزم المسلمون فيها، على ضفاف نهر سلادو(el rio Salado) واستولى المسيحيون على طريف[6]، وحول هذا الانهزام انطلقت الروايات والتأويلات، ونبدأ بالرواية المسيحية، التي ترجعه إلى مناعة أسوار مدينة طريف ونجدة أسطول جنوه، مما ساعدهم على الصمود حتى خف إلى نصرتها المسيحيون[7]، وأما الرواية الإسلامية فتعزيها إلى غرور أبي الحسن، وعدم الأخذ بنصيحة ابن الأحمر بفتح طريف أولا[8].

(*) سبب الحرب مع تلمسان: يعود إلى رفض تزويج فاطمة بنت أبي تاشفين(1318-1337م)إلى بني مرين والمقولة التي قالها لرسولهم وهي:" **نحن أحرار لم نزوج بناتنا من أصله عبدا**". أنظر:محمد بن قاسم النويري الإسكندراني: **كتاب الإلمام** ، ج3،ص178.177.أنظر الخريطةرقم2،ص154.

(1) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**،ج7،ص344-345 ؛ أبو العباس بن خالد الناصري: **الاستقصا**، ج3،ص135.134.

(2) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة** ،ص92؛**الإحاطة**،مج4،ص321-322.

(3) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ص346

(4) شارل أندري جوليان:المرجع السابق ،ج2،ص230.

(5) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر**،ج7،ص346؛ لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**،مج4،ص322؛ أبو العباس أحمد خالد الناصري :**الاستقصا**،ج3،ص136.

(6) أنظر: لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج4، ص322 ؛ عبد الرحمن بن خلدون:**العبر** ،ج7،ص346-347؛ عبد الله عنان: **نهاية الأندلس** ،ع4،ص127؛ Ulick ralph Burke,Op,Cit,p95.

(7) شارل آندري جوليان:**تاريخ افريقية الشمالية**،ج2،ص230

(8) النويري الإسكندراني: **كتاب الإلمام**،ج3،ص185؛أما رواية لسان الدين بن الخطيب فيقول فيها:" وكان اللقاء بين الطائفتين بظاهر طريف،وساء التدبير،واختلت مصاف المسلمين،وأضاعوا الحزم،وعند انشغالهم بملاقاة العدو القاصد إلى المسلمين،خرج أهل البلد المحصور وهم شوكة حادة وأتصل بهم ليلة يوم اللقاء مدد من فرسان الروم وضيقت مجال القتال أجفان البلد نافحة بشآبيب السهام حتى دخل سرعان الروم ،فجرت الهزيمة، التي سحق الله بها المسلمين،وأهلكت نفوسهم واكتسحت أموالهم..."-أنظر:**رقم الحلل فينظم الدول**،ص93.

وبعد هذه الهزيمة تابع المسيحيون زحفهم، فاستولى ملك قشتالة على قلعة يحصب، ثم حاصر الجزيرة الخضراء لمدة عامين فاضطرت إلى التسليم سنة744هـ/1344م، تحت الضغط الشديد[1].

ثم عُقدت معاهدة سلمية بين قشتالة وغرناطة، ومملكة بني مرين مدتها عشر سنوات[2]، رغم ذلك حاول ألفونسو الحادي عشر، ليلة عاشوراء751هـ/8فيفري1351 م الاستيلاء على جبل طارق، ولكن شاء القدر أن يستبشر المسلمون بموته بداء الطاعون[3] وحين علم السلطان أبو الحجاج يوسف بخبر وفاته، أمر جنوده بعدم التعرض للجيش القشتالي العائد بجثمانه إلى إشبيلية[4]، وقد قدر هذا الموقف ابنه بدرو الأول(Pedro I) (769هـ/1369م)، فقدم معونة حربية إلى مملكة بني الأحمر مع معاهدة سلم وأمان[5]، مما جعل السلطان أبو الحجاج يوسف يتصل بالسلطان المريني ويخبره بهذا السلم المنعقد[6].

فتوافق هذا السلم مع أبي عبد الله محمد الخامس، الذي استغل الصراعات الداخلية التي تمر بها مملكة قشتالة، ليوطد سلما معها[7]، كما حاول كذلك إعادة العلاقات مع مملكة بني مرين بإرسال وزيره لسان الدين بن الخطيب[8]،(*).

---

(1) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج2،ص331 ؛ محمد كمال شبانة: المرجع السابق،ص142.

(2) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص337.

(3) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**،ص95.

(4) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص338،نقلاعنLopez de Ayala.

(5) محمد كمال شبانة: المرجع السابق،ص132؛

(6) أنظر: لسان الدين بن الخطيب:**كناسة الدكان**، ص132.136.

(7) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة** ،مج1،ص23.

(8) أحمد المقري:**أزهار الرياض**،ج1،ص206؛

(*) سفارة لسان الدين بن الخطيب: يقال : فلما قدم على السلطان، ومثل بين يديه، تقدم الوفد الذي معه من وزراء الأندلس وفقهائها، واستأذنه في إنشاد شعر، فأذن له،و أنشد وهو قائم ومنها هذا البيت:

خليفة الله ساعَد القدرُ غُلاك ما لاح في الدجى قمرُ... فاهتز السلطان لهذه الأبيات، وأذن له في الجلوس، وقال له قبل أن يجلس: ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم، وعلق عن ذلك، أبو القاسم الشريف في ذلك الوفد: " لم نسمع بسفير قضى بسفارته قبل أن يسلم على السلطان إلا هذا" .أنظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا**،ج3،ص 194.195؛ أحمد المقري:**أزهار الرياض**،ج1،ص206

وفي عام759هـ/1358م،وقف محمد الخامس إلى جانب ملك قشتالة في حربه ضد مملكة أراغون، حيث وضع قواعده البحرية في خدمته[1]، ورأى ملك أراغون بدرو الرابع(PedroIV)(736-789هـ/1336-1387م) ،أن من الحكمة أن يعقد حلفا مع السلطان المريني أبي عنان؛ دفاعيا أو على الأقل محايدا[2]، غير أن هذا المشروع توقف نتيجة لوفاة هذا الأخير سنة759هـ/1358م[3].

وفي سنة 765هـ 1363م اغتنم محمد الخامس الغني بالله ،وجود المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون في زيارة إلى غرناطة، ليرسله سفيرا إلى الملك القشتالي بدرو الأول[4]، كما اغتنم الصراع الدائر على عرشها بين بدرو ا لأول وإنيريك الثاني (Enrique II)، ليسترجع بدعم من بني مرين الجزيرة الخضراء[*] في23 ذي الحجة 770هـ/29جويلية 1369م[5].

وانتهت هذه الصراعات المتشابكة بعقد صلح دائم في سنة771هـ/1370م ،مع ملك قشتالة إنيريك الثاني،حيث شهدت غرناطة لمدة طويلة السلام والهناء[6]. مما هيأ لمحمد

(1) يوسف شكري فرحان :المرجع السابق،ص37.

(2) أبو القاسم برهان الدين بن عبد الله الغرناطي المعروف بابن الحاج النميري(ت774هـ/1372م): **فيض العباب . وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب** . دراسة وإعداد،محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1999م،ص187 ؛ عبد الهادي التازي:**التاريخ الدبلوماسي**،ج7،ص145.

(3) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص331.

(4) عبد الرحمن بن خلدون: **رحلة ابن خلدون**، علق عليها، محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية،بيروت ، 1425هـ /2004م، ص85 فما بعدها. ويضيف بقوله:" وقد اهتز السلطان لقدومي، وهيأ لي المنزل من قصوره... وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعني إلى مكان نزلي... وسافرت عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ،بطرة بن الهنشة ابن أذْفُونش، لإتمام عقد الصلح مابينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة، من ثياب الحرير، والجياد المقربات . التي لا تترك إلى فحل غير جيد . بمراكب الذهب الثقيلة،فلقيت الطاغية بإشبيلية، وعاينت آثار سلفي بها، و عاملني من الكرامة بما لا مزيد عليه... ... وأثني عليَّ عنده طبيبه إبراهيم بن زرزور اليهودي... فطلب مني الطاغية حينئذ المقام عنده.أنظر: **الرحلة**،ص85-86.

(*) بينما يقول النويري الإسكندراني : وردت الأخبار من الأندلس إلى الإسكندرية بأن المسلمين فتحوا الجزيرة الخضراء،وأخرج المسلمون الفرنج منها في سنة إحدى وسبعين وسبعمائة[وهذا تاريخ خاطئ والأصح أعلاه] ثم رسم السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن الأحمر، بأن ينادي في البلاد أن كل من له دار بباطنها أو أرض يمضي إليها.أنظر: **كتاب الإلمام**،ج3،ص198-199.

(5) عبد الرحمن بن خلدون :**العبر**،ج7،ص433 ؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:**الاستقصا . الدولة المرينية**. ق2،ج4،ص51.

(6) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص40.

الخامس الغني بالله التدخل في مملكة بني مرين،حيث صار يولي ويعزل[1]، واستغل تدخله لينتقم من لسان الدين بن الخطيب بتعذيبه وحرقه[*] سنة776هـ /1374م[3].

كما ساعدته الظروف بأن تصبح مملكة بني الأحمر مملكة مؤثرة في جيرانها، وعليه نعمت بالهدوء والاستقرار لمدة طويلة من الزمن[4]،بينما شقيت مملكة قشتالة بالفوضى وعدم الاستقرار، منذ عهد خوان الأول(Juan I)(780-792هـ/1379- 1390م) ومرورا بعهد ابنه إنيريك الثالث(Enrique III) (809.792 هـ/ 1406.1390م)[5].

فتوافق هذا من جهة بني الأحمر، بعهد أبي الحجاج يوسف الثاني: (790.793هـ /1393.1392 م)، الذي زاد في تحسين العلاقة معها لكنه توفي[6]، فخلفه محمد السادس الغني بالله(795–810هـ/1393-1408م)[7]،الذي سعى من جهته إلى تجديد صلات المودة والتهادن مع قشتالة[8]،وفيما بين عامي(795–810هـ/1394-1408م) استغل الاضطرابات التي تمر بها،وقام بعدة غزوات في ضواحي جيان، تحصل من خلالها على غنائم كثيرة[9].

ولما توفي خلفه أخوه: أبو الحجاج يوسف الثالث الناصر لدين الله(810.820هـ/ 1408-1417م)، حيث جدد الهدنة مع القشتاليين لمدة سنتين بمسعى من وزيره عبد الله الأمين[10]،وبعد العامين سعى إلى تجديدها، لكنهم هذه المرة طلبوا منه الخضوع[11]،وعندما رفض حاصروا مدينة أنتقيرة، ولم يقدر أبناؤها على صده، فاضطر يوسف الثالث، للخضوع

---

(1) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي : **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص354.

(*) وصدق من قال :الملك كالنار، إنْ لم يحرقك شوهك بالدخان،ولقد أحسن لسان الدين بهذا فقال:

تعودتُ بالرغم صرف الليالي وحمُلت نفسي فوق احتمالي

وأيقنت أن سوف يأتي ارتحالي ومن كان منتظرا للـــــزوال

فكيف يؤمل منه الثبوت ...أنظر: أحمد المقري :**نفح الطيب** ،مج5، ص114.

(3) أنظر:عبد الرحمن بن خلدون : **العبر**،ج7،ص452؛ أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج5،ص114.

(4) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص40.

(5) عبد الله عنان :**نهاية الأندلس**،ع4،ص174 ؛عبد الرحمن الحجي:**التاريخ الأندلسي**،ص568.

(6) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص41؛ عبد الله عنان : **نهاية الأندلس** ،ع4،ص150.149

(7) عبد الله عنان : **نهاية الأندلس** ،ع4،ص150.149.

(8) المرجع نفسه،ص151.150.

(9) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص43.نقلاRevista

(1) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص43.

(11) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص153.

وأصبح تابعا لهم[1]، حيث ساد الوئام بين الأمتين، وكانت حفلات المبارزة[*] الرائعة تعقد بين الفرسان المسلمين والمسيحيين في أعظم ساحات المدينة[2]،وهذا الوئام حسب ما يبدو؛ خدم مملكة قشتالة في بناء الرجال ،وجمع الأموال من الجزية[**].

ومنذ ذلك الوقت بدأت مملكة بني الأحمر في الضعف والانحلال، وخاصة في عهد الملك أبي عبد الله محمد بن يوسف الثالث، الملقب بالأيسر(820-858هـ/1417-1454م)، الذي اقترن اسمه باسم أسرة بني سراج[*][3]، كما اقترن بالاضطرابات والثورات المتعاقبة، مما جعل العامة تنادي بمحمد بن محمد بن يوسف الثالث الملقب "بالزغير"(831-33هـ/ 1428-1430م) [4]، لكنه أخفق كذلك في إخماد الفتن بسبب مخاصمة بني سراج[5]،مما جعل هذا الأخير يلجأ إلى ملك قشتالة خوان الثاني(Juan II) (809-858هـ/1406-1445م)، ويتفقا سويا على العمل، لرد السلطان الأيسر إلى العرش[6].

---

(1) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق ،ص43

(*) عن حفلات المبارزة. انظر: James russell lowell,**Relaciones del reino de Granada**,Imprenta y estereotipa de Rivadeneya,Madrid,1868 ,pp105-110.

(2) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس**،ع4،ص154.

(**) أموال الجزية: يقول أبو القاسم محمد بن عبد الله الأندلسي المعروف بابن رضوان المالقي(ت783هـ/1381م) :" ومعظم ما أهلك بلاد الأندلس وسلط عليها الروم [الممالك المسيحية] ،لم يكن لهم بيوت أموال، فكانوا يأخذون الجزية من سلاطين الأندلس،ثم يدخلون الكنيسة،فيقسمها سلطانهم على رجالهم بالطاس [شبيه بالإناء] ،ويأخذ مثل ما يأخذون،وقد لا يأخذ منها شيئا ، وإنما كانوا يصطنعون بها الرجال. وكانت سلاطين الأندلس من المسلمين ،تحتجبن الأموال ، وتضيع الرجال،**فكانت للروم بيوت رجال، وللمسلمين بيوت أموال**... فيضعف الملك،ويثب عليه الأعداء. لمزيد من المعلومات أنظر:**الشهب اللامعة في السياسة النافعة**، تحقيق، علي سامي النشار،:دار الثقافة،الدار البيضاء، 1404هـ/1984م، ص365-366.

(*) بني سراج: اقترن اسم بني سراج،بحوادث مملكة بني الأحمر في أيامها الأخيرة،فقد كانوا من أشرف بيوتاتها، وتولى بعضهم الوزارة لسلاطين بني الأحمر،ولعل أبرزهم"يوسف بن سراج" الذي تولى الوزارة للسلطان أبي عبد الله محمد بن نصر المعروف بالأيسر ،حيث كان واسطته الوحيدة للا تصال بشعبه وكبار رجال دولته،ومنذ ذلك التاريخ ظهر بنو سراج بغرناطة،كأنداد للسلاطين والمحركين لخيوط الأحداث على المسرح السياسي.وكان بأيديهم الحل والربط في جميع مناحي الحياة أدبية ومادية.أنظر: سحر السيد عبد العزيز سالم:" بنو سراج وزراء **بني** نصر،بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية"،**مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**،عدد خاص، مج 28،مدريد ، 12أكتوبر1996،ص6فما بعدها.

(3) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص44.

(4) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس**،ع4،ص155.

(5) يوسف شكري فرحات : المرجع السابق،ص44

(6) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس**،ع4،ص156.

فعاد من تونس ونزل في المرية مع فرسان مغاربة وهدايا لملك قشتالة، فنودي به ملكا من جديد سنة833 م/1430م[1]، ولم تمض أعوام أخرى حتى دبرت مؤامرة جديدة لخلعه، وكان خصمه؛ هو أبو الحجاج يوسف بن المولى(835هـ/1432م)[2]، وهذا بدعم من ملك قشتالة، الذي تعهد له إن عاونه،أن يحكم باسمه وتحت طاعته،وأن يحارب معه، وأن يؤدي له الجزية، وأن يشهد مجلس" الكورتس"(الأعيان)[*].فاستجاب إلى دعوته وأرسل إليه مندوبه القائد ديغو غومث دي ريبرا(Diego Gomez de Ribera) ووضعت شروط التحالف في حصن "برغالش"في يوم الأحد 16 سبتمبر 1431م الموافق ل7محرم835هـ[3] ،على أن حكمه لم يطل،فقد كان شيخا مريضا، ولم يلبث أن توفي في شعبان 835هـ/أفريل1432م.

وعندئذ اتفقت كل التيارات على إعادة الأمر من جديد إلى السلطان الأيسر، فجلس على عرش غرناطة للمرة الثالثة[4]،وفور عودته هذه المرة بادر بعقد معاهدة صلح[**]مع ملك قشتالة، فعقدت هدنة بين الطرفين لمدة عام[5]. ورغم ذلك أغاروا على أراضي غرناطة الشرقية، فردهم المسلمون بقيادة: الوزير ابن عبد البر، سليل بني سراج[6]، وقد استمر الصراع أعواما ،ولما رأى المسيحيون كثرة خسائرهم وعقم محاولاتهم،لجأوا إلى السكينة حينا[7].

وهذا من أجل التفرغ لبناء الجيش،وتزكية الاضطرابات داخل مملكة بني الأحمر، باستقبال وحماية خصوم الأيسر،وعلى رأسهم الأمير سعد بن إسماعيل[8]، مما جعل فريقا آخر من زعماء المرية يستغل الفرصة،ويناصرون الأمير محمد بن نصر بن محمد الغني بالله، المعروف: بالأحنف:(848-858 هـ/1445 -1454م)[9]، حيث نادى بنفسه ملكا ولم يهنأ به،

---

(1) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص45..

(2) عبد الله عنان :"وثيقة أندلسية قشتالية - من القرن التاسع الهجري "**صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، ع2.1،مج2،مدريد:1373هـ/1954م،ص40

(*) عن هذه الاتفاقية.أنظر: عبد الله عنان:" **وثيقة أندلسية قشتالية**"،ص45-41.

(3) عبد الله عنان :"**وثيقة أندلسية قشتالية**،ص40.

(4) المرجع نفسه.

(**) أنظر: مجهول:**نبذة العصر**،ص78-76

(5) سحر السيد عبد العزيز سالم :**بنو سراج وزراء بنى نصر،بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية**،ص22.

(6) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس**،ع4،ص156.

(7) المرجع نفسه،ص156.

(8) يوسف شكري فرحات:المرجع السابق،45.

(9) سحر السيد عبد العزيز سالم: **بنو سراج وزراء بني نصر،بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية**،ص23.

بسبب كثرة معارضيه، ورغم ذلك قام سنة849هـ/1446م، بغزو أراضي قشتالة كما استغل الخلاف القائم بين قشتالة وأراغون، ليعرض حلفا على هذه الأخيرة[1].

ومن أجل التدخل في مملكة بني الأحمر، سوى ملك قشتالة خلافه مع أراغون[2]، ويذكر هذه الحوادث ، ابن عاصم الغرناطي بقوله:" وفي صفر من صدر سنتنا هذه التي هي عام أربعة وخمسين وثمان مائة[مارس 1450م] اشتعلت به في الوطن نار الفتنة ... ولذلك العهد، ماجت الحضرة بأهلها موجا... ولقن الناس ما تضمنته من أماني طاغية قشتالة في تشتيت الكلمة،وتفريق الأمة المسلمة..."[3].

مما جعله يستغل معارضة الرعية للأحنف، بسبب طغيانه وقسوته وعنفه،و قتل عمه الأيسر في السجن سنة858هـ/1454م [4]، ويدعم الأمير سعد بن إسماعيل النصري: (858-868هـ/1451-1464)[5] الذي زادت في عهده الاضطرابات،لأنه حاول أن يتخلص من بني سراج[6]، فعمد إلى قتل بعض زعمائهم ومن بينهم وزيره مفرج سنة (866هـ/1462م) [7].

وكانت أكبر ضربة وجهت له، ولمملكة بني الأحمر، هو سقوط جبل طارق في يد القشتاليين سنة (867هـ/1462م)[8] ،الذي يعتبر المعبر الوحيد للاتصال بالإخوة المغاربة، من أجل تقديم الدعم والإسناد، واحتلاله معناه خنق مملكة بني الأحمر والقضاء عليها،كما توافق معه انقراض ملك بني مرين سنة (869هـ /1464)،حيث استولى على ملكهم وتراثهم بنو وطاس،مما جعل الممالك المسيحية قشتالة والبرتغال . تنتهز الفرصة وتحتل بعض الثغور المهمة.

ورغم ذلك ساد الهدوء في عهد سعد بن إسماعيل،لأنه كان محبا للإصلاح والأعمال الإنشائية،وتحصين القواعد والثغور[9]، وبعد تولي أنيريك الرابع(Enrique IV)

(1) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس** ،ع4،ص163.

(2) المرجع نفسه.

(3) أنظر: **جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى**،ج1،ص191فما بعدها.

(4) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس**،ع4،ص164.

(5) يوسف شكري فرحات،المرجع السابق،ص 4645.

(6) سحر السيد عبد العزيز سالم: **بنو سراج وزراء بني نصر،بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية**،ص24.

(7) المرجع نفسه.

(8) أبو العباس الناصري:**الاستقصا** ،ج4،ق2،ص 98؛عبد الله عنان:**نهاية الأندلس**،ع4،ص163

(9) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص164.

(858-879هـ/1445-1474م) رفض سعد أن يعترف بحمايته، وأصر ملك قشتالة من جهته على وجوب خضوع ملك غرناطة وطاعته[1]، وهكذا لم يجد بدا في الاعتراف بسلطانه،وتأدية الجزية اغتناما للمهادنة والسلم[2]، وبسبب الاضطرابات،وتنافس الأسرات فيما بينها وعلى رأسها؛ بنو سراج، وبنو الثغري(Tigris)، وبنو أضحى، للظفر بالوزارة.[3]

وعندما حاول السلطان سعد التخلص من نفوذ بني سراج، تخلصوا منه بدعوة ابنه أبي الحسن علي:(868-887هـ/1464-1482م) الذي ثار على أبيه فخلعه وسجنه.[4]

وفي نفس الوقت بويع في مالقة أخوه: أبو عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل، (El Zagal) – أي الشجاع –، مما أدى هذا التطلع؛ إلى صراع بين الأخوين [5]، لبرهة من الزمن،حيث انتهى بتصالحهما، بذهاب الزغل إلى أخيه[6]، وتفاهما على أن يبقى أبو عبد الله الزغل مستقلا بمالقة وأحوازها، بينما يستقر أبو الحسن في عرش غرناطة وما إليها[7].

ولما توفي إنيريك الرابع، خلفته أخته إزابيلا (Isabella):(879-910هـ/ 1474-1504م) بعد تأييدها من طرف فريق من النبلاء،وتمتعها بعطف الشعب القشتالي،وكانت قد تزوجت بابن عمها ملك أراغون فرناندو الخامس(Feranado V) :(884-922هـ/1479- 1516م)[8].وبهذا الزواج أتحدت مملكة قشتالة، بأراغون أو أراغون بقشتالة، المهم تشكل ما يسمى: بمملكة إسبانية المسيحية،بينما تتمزق أوصال الأمة الإسلامية في الأندلس بزواج أبي الحسن بجارية إسبانية . جميلة.

ولما رأى أبو الحسن ذلك رفض دفع مؤخرة الجزية في سنة882هـ/1478م قائلا للفارس الإسباني:" **أبلغ ملكيك إن ملوك غرناطة الذين تعودوا على دفع مال الجزية لعرش غرناطة،هم الآن أموات ،ودور السك عندنا لم تَعُدْ تضرب النقود، بل السيوف ورؤوس الحراب**"[9].

---

(1) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص164،ص164.165.
(2) المرجع نفسه،ص166.
(3) سحر السيد عبد العزيز سالم: **بنو سراج وزراء بني نصر،بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية**،ص25.
(4) يوسف شكري فرحات:المرجع السابق،ص46.نقلا Revista.
(5) أحمد المقري: **نفح الطيب**،مج5،ص511.
(6) المصدر نفسه،ص511
(7) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص194.
(8) المرجع نفسه،ص180.184.
(9) واشنطن ايرفنغ: **سقوط غرناطة** ،ص27.

وفي نفس العام يذكر لنا صاحب الرواية الإسلامية،الظروف التي ساعدته على تحدي ملكي إسبانيا حسب ما يظهر،فكتب يقول:" وانقرضت أعلام الفتنة وخمدت نارها ودانت له جميع بلاد الأندلس،ولم يبق له فيها معاند، وهو مع ذلك يغزو بلاد الروم المرة بعد المرة. حتى غزا غزوات كثيرة وأظهر الأحكام ونظر في مصالح الحصون، ونما الجيش، فهابته النصارى وصالحته برا وبحرا،وكثر الخير وانبسطت الأرزاق، ورخصت الأسعار،وانتشر الأمن في جميع بلاد الأندلس وشملتهم العافية في تلك المدة، وضُربت سكة جديدة طيبة"[1].

هذا مما جعله يثق في نفسه، ويقوم باستعراضات للجيش، ابتداء من19ذي الحجة 882 هـ/24مارس1478م، وحسب الرواية الإسلامية:" ليزيدهم في المغارم"[2]، ولكن شاء القدر أن تجرف السيول كل ممتلكاتهم،حتى الأشجار العظام مثل: الدردار، والجوز واللوز[3].

وبعدما تمكن الملكان الكاثوليكيان ـ إسبانيا- من إنهاء الحرب مع البرتغال، وتسوية النزاعات مع النبلاء، نظر إلى ثروة غرناطة حيث قال:"أي غرناطة غرناطة، سوف انتزع حباتك واحدة واحدة[4].

مما جعل السلطان أبا الحسن حسب الرواية المسيحية يبادر بالهجوم سنة 886هـ/ 1481م على أحد القلاع . قلعة الصخرة . ويحتلها غدرا[5]، لكن الإسبان ردوا باحتلال مفتاح غرناطة، وهي مدينة الحمة (Alhama)(*) سنة887هـ/1482م[6]، ولم يقدر صاحب غرناطة

---

(1) مجهول: **نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** . تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب . ضبطه وعلق عليه، الفريد البستاني،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1463هـ/2002م،ص32.

(2) المصدر نفسه،ص3.

(3) مجهول:نبذة العصر ،ص3.

(4) واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**،ص31.

(5) أنظر : المرجع نفسه،ص3835.

(*) الحمة:تقع على مسافة219كلم من مدريد،ويقول عنها عبد المنعم الحمبري:"ليس لها نظير في الأندلس،في طيب مائها وعذوبته وصفائه،ونفعه، يقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي،وهي كثيرة الزيتون ،وضروب الثمار"ولهذا معظم الضرائب التي يجمعها ملك غرناطة هي من الحمة،ونظرا لموقعها الجغرافي كان يطلق عليها اسم "مفتاح غرناطة".أنظر : **الروض المعطار**،ص3938؛ شكيب أرسلان: **الحلل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية**، المكتبة التجارية لمحمد مهدي الحبابي،فاس،1355هـ/ 1936م،ج2،ص90؛ واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**،ص45.

(6) أنظر: أحمد المقري: **نفح الطيب**،مج4،ص512؛ مجهول: **نُبذة العصر**،ص76؛ واشنطن إيرفنغ: **سقوط غرناطة**، ص4639.

على استرجاعها بسبب عدم إحضار المدافع وآلات الحصار الضرورية لهدمها[1]، مما جعلهم يتحصنون من جديد[2]، فظن أهل غرناطة بأميرهم ووزيره[**]، بعد أن أمرهم بترك الحمة لمصيرها لان حشودا كبيرة جاءت لدعم المحاصرين، وحسب الرواية الإسلامية هي؛ حيلة مدبرة[3]، بينما أثبتت الرواية المسيحية قدوم جيش دوق شذونة، وملك قشتالة[4].

وبعد هذا الانتصار شجعت الملكة إزابيلا المجلس الحربي على المحافظة على مدينة الحمة ومحاولة فتح مدن أخرى،مما جعل زوجها فرناندوا الخامس يضرب الحصار على مدينة لوشة (Loja)، في أواخر جويلية1482م حسب الرواية المسيحية[5]، وتؤكدها الرواية الإسلامية بتاريخ27جمادى الأولى887هـ[6]، ويتفقان على انهزام المسحيين[7]، وتنسب الرواية المسيحية الانتصار إلى قائد لوشة، الشيخ على العطار المتمرس في الخطط الحربية[8]، وتضيف بأن اسمه يثير الرعب في نفوس الإسبان![9]، أما الرواية الإسلامية فتنسبها إلى الإمداد الذي قدمه الأمير أبو الحسن، والذي يتمثل في قائد وجيش من الفرسان[10]، ولكن وصولها- حسب ما

---

(1) واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**،ص51.

(2) المرجع نفسه،ص58.

(**) أسباب الظن:يعود أسباب الظن بالأمير إلى خلفية سابقة حسب ما يظهر، وتتمثل حسب ما دونه صاحب نبذة العصر فقال:" ومن وقت هذا السيل العظيم بدأ ملك الأمير أبي الحسن في التقهقر والانتكاس والانتغاص،وذلك أنه اشتغل باللذات،والانهماك في الشهوات، واللهو بالنساء المطربات،وركن إلى الراحة والغفلات،وضيع الجند،وأسقط كثيرا من نجدة الفرسان،وثقل المغارم وكثر الضرائب في البلدان،ومكس الأسواق ونهب الأموال،وشح بالعطاء ...ووزيره يضبط المغارم ويثقلها ويجمع الأموال ويأتيه بها ويعطيها لمن لايستحقها ويمنعها عن من يستحقها ويهمل كل من فيه نجدة وشجاعة من الفرسان،ويقطع عنهم المعروف والإحسان،حتى باع الجند ثيابهم وخيلهم وآلة حربهم وأكلوا أثمانها،وقتل كثيرا من أهل الرأي والتدبير، والرؤساء ،والشجعان من أهل مدن الأندلس وحصونها...". أنظر: مجهول:ص65.

(3) مجهول: **نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**،ص8.

(4) واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**.ص59

(5) المرجع السابق،ص67، 68.

(6) مجهول: **نُبذة العصر** ،ص10.

(7) مجهول: **نُبذة العصر** ،ص9؛ واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**،ص73.

(8) واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**، ص70.

(9) المرجع نفسه.

(10) مجهول: **نُبذة العصر** ،ص9.

يبدو- جاء متأخرا[1]، مما جعل أصحاب الرواية المسيحية يعزون الانهزام، إلى إهمال التحصينات، وعدم بناء فرن لتزويد الجيش بالخبز [2].

وأراد أبو الحسن أن يستغل خروجه لإنقاذ لوشة، ويغير على مدينة شريس، لجمع الغنائم وتشتيت فكر ملكي الإسبان - قشتالة وأراغون- حسب الرواية المسيحية[3]، وحسب نفس الرواية مس كبرياء الفروسية المسيحية - وخاصة فرسان القديس يعقوب- مما جعلهم يفكرون في الانتقام[4].

وفي صفر 888هـ/مارس1483م[*]، اجتمع المجلس الحربي ليقرر المنطقة التي يوجه لها الضربة، خاصة بعد دخول ملكي غرناطة في حرب أهلية - الأب وابنه-[5] وفي الأخير اختاروا منطقة بلش مالقة(Velez Malaga)[6]، وحسب الرواية المسيحية كان قائد تلك المنطقة وحده ،محمد بن سعد المعروف بالزغل . الشجاع . يساوي جيشا كاملا[7].

وبمجرد شكوك حول قدومها، قام محمد الزغل بإثارة القرويين ضد هذه الحملة، وحثهم على الاختباء[8]، وتتفق الروايتان، على أن المسلمين رجالا ونساء وأطفالا، قهروا المسيحيين في مضايق وجبال ووديان بلش مالقة، بصيحاتهم المدوية[9]، وحسب الرواية المسيحية،كان رئيس نظام القديس يعقوب يرى فرسانه يتساقطون كالذباب[10]، وبعد معركة دامية استطاعوا

---

(1) واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**،ص75.

(2) المرجع نفسه.ص69.

(3) نفسه،ص75-92.

(4) نفسه،ص81.

(*) يظهر بأن واشنطن ايرفنغ اعتمد على الرواية الإسلامية في هذا التاريخ ،وربما على تحقيق الألماني مولر الذي حقق راوية نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر.

(5) أحمد المقري: **نفح الطيب**،مج5،ص514؛ مجهول، **نبذة العصر**،ص11؛ واشنطن إيرفنغ :**سقوط غرناطة**،ص81.

(6) أحمد المقري :**نفح الطيب**،مج5،ص514.

(7) واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**،ص8483.

(8) المرجع نفسه،ص84.

(9) مجهول : نبذة العصر ،ص11؛واشنطن إيرفينغ:سقوط غرناطة،ص8785.

(10) واشنطن إيرفنغ :سقوط غرناطة ،ص85.

الفرار إلى قمم الجبال، مخلفين وراءهم 800 قتيل، وضعفه من الأسرى[1]، ورغم الانتصار الذي حققه المسلمون، إلا أنهم وانكسروا نفسيا، حسب ما يبدو[*].

ولما سمع السلطان أبو عبد الله أمير غرناطة بأن عمه الزغل غنم الكثير بمالقة، فكر في خرجة ترد الاعتبار، ويجمع من خلالها الغنائم [2]، معتمدا على مستشاره علي العطار[**] الذي يملك تجارب في فن الحروب وقيادة الجيوش[3]، ولكن شاء القدر أن يؤسر الأمير وينكسر المسلمون، وذلك أثناء رجوعهم من موقعة اللسانة، محملين بالغنائم في شهر ربيع الثاني 888هـ/ماي 1483م[4]، وحسب الرواية المسيحية فإن انهزام المسلمين يعود إلى اهتمامهم فقط بحماية غنائمهم[5]، ومما زاد في انكسارهم استشهاد القائد علي العطار وهو يقاوم إلى الرمق الأخير[6]، وهنا يقول عنه المؤرخ وليام بروسكت (William prescott) "وقع في الأرض بعد أن أصيب بجروح، وبهذا مات بشرف وجنب وطنه المهانة"[7]،وقد حمل نهر شينل جثته الطاهرة ولم تظهر للعيان نهائيا[8][*].

---

(1) أنظر: Joseph Lavallée et Adolphe Guéroult, **Espagne**,Firmin didot fréres , éditeurs ,Paris, M DCCC XLIV,p473 .

وتضيف نفس الرواية: بأنه منذ هذا الانتصار أطلق اسم(الشيخ) على أبي الحسن، و(الصغير) على ابنه أبي عبد الله، و(الزغل) على أخي أبي الحسن حاكم مالقة، وهو أبو عبد الله.أنظر:. ibid,p473.

(*) سبب الانكسار يعود إلى عدم توزيع الغنائم بالعدل ،حيث يقول صاحب الرواية الإسلامية:"... وحملوه إلى مدينة مالقة فجمعوه بها على أن يقسموه على كل من حضر الوقيعة المذكورة،فحصل كله بأيدي الظلمة ولم يظهروا فيه حقا لأحد ممن حضر الوقيعة المذكورة فلم ينتج منه شيء ،وكان ذلك عليهم وبالا والعياذ بالله".أنظر: مجهول: **نبذة العصر**،ص11-12.

(2) أحمد المقري: نفح الطيب،مج5،ص515؛ Joseph Lavallée et Adolphe Guéroult ,Op;cit,p473.:

(**) يعتبر علي العطار،من أحنك المحاربين في الخطط الحربية، حيث ترقى إلى أعلى الرتب في الجيش، وأصبح مدافعا عن لوشة،كما زاده شرفا زواج ابنته من الأمير عبد الله.أنظر: William H.Prescott,**Ferdinand and Isabella the Catholic,** , Philadelphia, 1868,vol 1,pp 10-11.

(3) واشنطن إيرفنغ: **سقوط غرناطة**،ص100.99؛ William H.Prescott,Op.Cit,p11.

(4) مجهول: **نبذة العصر**،ص12 ؛أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج5،ص515.

(5) أنظر: William H.Prescott,Op.cit,p375.

(6) أنظر :واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة**،109؛ Joseph Lavallée et Adolphe Guéroul, Op.Cit,p474.

(7) أنظر: William H.Prescott,Op.cit,p375.

(8) واشنطن إيرفنغ :**سقوط غرناطة**،ص109.

(*) بينما بقي سيفه محفوظا إلى ألان في متحف الجيش الإسباني بمدريد، وهو يشبه سيف أبي عبد الله آخر ملوك غرناطة،أنظر: عبد الرحمن زكي،"صناعة السيف الاسلامي" **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**" (مدريد) عدد2/1980.1979،ص118.

بينما حملت جثة الأمير أبي عبد الله محمد بن علي إلى ملك قشتالة- إسبانيا- ليكرمه، ويكون سببا في هلاك الوطن، حسب رأي أحد المؤرخين الغرناطيين - سقوط غرناطة-

ورأى أعيان غرناطة أنّ من الحكمة، أن يعيدوا السلطان أبا الحسن إلى سدة الحكم فعاد إلا أن الفتنة لم تنقطع ولم تخمد نارها، لأن الأمير أبا الحسن أصابه الصرع وأعياه المرض،فتنازل على العرش لأخيه أبي عبد الله الزغل:(890 -892هـ/1485-1487م) [(1)].

هذا ما جعل ملك قشتالة- إسبانيا- يستغل الفرصة في شهر ربيع الثاني890هـ/ أفريل1485م، ويستولي على العديد من الحصون، جهة مالقة منها حصن قرطبة، وحصن ذكوان[(2)]، وينتزع في شهر جمادى الأولى890هـ/جوان1485م، مدينة رندة[(3)]، ورغم ذلك أشادت الرواية المسيحية بقائدها حامد الثغري،وجنوده المغاربة- قبيلة غمارة-[(4)]، وبسقوطها انهارت كل مقومات الدفاع، وكانت ضربة قاسية للمسلمين حيث أصبحت كل المنطقة الغربية مكشوفة للقشتاليين[(5)]، مما جعل كل المناطق المجاورة لها، تستسلم وتدخل تحت رايتهم بدون قتال[(6)].

ولما سمع محمد بن سعيد المعروف بالزغل بهذا الانكشاف، خرج في19 شعبان890هـ/ 31 أوت1485م لإصلاح حصن المكلين فباغته المسيحيون[(7)]، ولكنهم انهزموا حسب الروايتين[(8)]، ويعود انتصار المسلمين حسب مؤرخ الرواية الإسلامية- والذي كان حاضرا في المعركة- إلى صبر المسلمين وإيمانهم بالله، والتفافهم حول أميرهم[(9)]،مما جعل صاحب الرواية المسيحية، يعزيها إلى شخصية الزغل، الذي أرعبهم في وديان مالقة، وعندما تذكروا الواقعة، فروا هاربين وهم يرددون كلمة " الزغل! الزغل!"[(10)]

---

(1) مجهول: **نبذة العصر**،ص12؛ أحمد المقري:**نفح الطيب**،ص515.

(2) أحمد المقري: **نفح الطيب**،ج5،ص515؛ مجهول: **نبذة العصر**،ص13.

(3) أنظر: واشنطن إيرفنغ:**سقوط غرناطة** ،ص141.139 ؛ مجهول:**نبذة العصر**،ص15.

(4) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص132.

(5) أنظر: عبد الله عنان: **نهاية الأندلس** ،ج4،ص206؛ Joseph lavallée et Adolphe Guéroul, Op.Cit,p475

(6) مجهول:**نبذة العصر**، ص14.

(7) المصدر نفسه.

(8) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص184؛مجهول :**نبذة العصر**،ص14.

(9) مجهول: **نبذة العصر**،ص14.

(10) واشنطن إيرفينغ: **سقوط غرناطة**، ص134.

ورغم قوة مملكة قشتالة واستيلائها على العديد من الحصون، منها حصن اللوز، وتضييقها على العديد من المدن، رأى ملكها؛ أن يكسر شوكة الزغل التي أرعبتهم، بتسريح ابن أخيه السلطان أبي عبد الله المعروف بالصغير :(897.782هـ/1491.1487م)[1].

ولكي يهيأ له الفرصة أشاع ملك قشتالة، أن من يدخل تحت طاعته ومبايعته،فإن الهدنة والصلح يسري عليه، مما جعل العديد من المدن تدخل تحت حكمه[2]، وأكبر ضربة هو ميل أهل ربض البيازين إليه طمعا في الصلح[3]، فوقعت الفتنة بين سكان غرناطة وربض البيازين، وانتهت هذه الحرب بتقسيم المملكة بين الزغل، وابن أخيه– الصغير.[4]، وأثناء ذلك، استولى القشتاليون على لوشة في 26جمادى الأولى891هـ /30ماي1486م[5]، رغم المقاومة الشديدة التي أبلاها الأمير الصغير،وقائد الحامية حامد الثغري[6]، ويعود سبب الهزيمة، إلى عدم مساندة سكان غرناطة ظنا منهم بأنها حيلة مدبرة؛ بين الأمير الصغير وملك قشتالة[7].

وليزيد هذا الأخير في الظنون، لم يسرح الأمير الصغير بل حبسه لينزع بقية مدن الأندلس حسب رأي صاحب الرواية الإسلامية[8]،وفعلا سقطت المدن تلو الأخرى، منها: البيرة، وحصن مكلين، وقلنبيرة، في جمادى الثانية 891هـ/ جوان 1486م، مما جعله يحاصر مدينة غرناطة[9]، ويطلق سراح الأمير محمد بن على المعروف بالصغير، فدخل ربض البيازين متخفيا، في 16شوال891هـ/16أكتوبر1486م،وبدخوله حسب الرواية الإسلامية أمر مناديه أن ينادي: "إن له صلحا صحيحا مع النصارى"[10]،فتحقق ما كان ملك قشتالة يسعى إليه وهي الفتنة،حيث تعصب أهل غرناطة مع أميرهم محمد بن علي المعروف بالزغل، وتعاطف أهل

(1) مجهول: **نبذة العصر**،ص16 ؛ أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج5،ص516.
(2) أحمد المقري : **نفح الطيب**،مج5،ص517.516.
(3) مجهول : **نبذة العصر**،ص16.
(4) المصدر نفسه.
(5) أحمد المقري:**نفح الطيب**،ج5،ص517.
(6) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص219.215.
(7) شكيب أرسلان : **خلاصة تاريخ الأندلس**،ص365.
(8) مجهول:**نبذة العصر**،ص17.
(9) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج5،ص518؛ مجهول:**نبذة العصر**،ص19.18؛
(10) مجهول: **نبذة العصر**،ص20.

البيازين مع الأمير أبو عبد الله محمد المعروف بالصغير[1]،مما جعل هذا الأخير، يطلب مساعدة عسكرية من ملك قشتالة، حسب الرواية المسيحية[2]،وأكدتها الرواية الإسلامية بقولها:"ثم أن العدو دمره الله أمد أمير البيازين بالرجال، والأنفاط والبارود والقمح والعلف والبهائم والذهب والفضة وغير ذلك، ليشد به عضد الفتنة ويقوي الشر، ولم تزل الحرب متصلة بين الفريقين"[3].

ولما وصلت الأخبار حسب صاحب الرواية المسيحية بأن هناك دعما قادما من المسلمين، وبخاصة من سلطان تركيا، ومصر، إلى الشواطئ الغرناطية، فكر في سنة892 هـ/1487م في شن حملة على مالقة للتصدي لهذا الدعم، ومراقبة موانئها[4]، مما جعل الأمير الزغل يخرج لنصرة أهل بلش مالقة في 24 ربيع الثاني892هـ 892هـ19 أفريل1487م[5]،وينهزم بسبب فشل خطته، التي قادها القائد رضوان،رغم اختراقه نطاق الحصار[6].

وأكبر ضربة وجهت للزغل وأتباعه هي مبايعة أهل غرناطة لأبي عبد الله الصغير[7]، مما جعلهم يفقدون روح المقاومة، ومنهم القائد رضوان، الذي أوصى بالاستسلام[8]، مما جعل أغلب القرى بشرقي مالقة، وحصن قمارش، تدخل تحت طاعة ملك قشتالة[9]، وانفتح باب مالقة على مصراعيه لهذا الأخير،لكنه وجد مقاومة شديدة من أتباع حامد الثغري[10]، حيث كتب عنهم صاحب الرواية الإسلامية، بقوله:"... وكان فيهم جملة من نجدة الفرسان فقاتلوا الروم قتالا شديدا وقتلوا منهم خلقا كثيرا، حتى أنه قتل من الروم في يوم واحد اثنا عشر ألفا وسبعمائة، ومع ذلك بقي العدو يفتح عليهم أبوابا من الحرب والحيل والمسلمون قائمون بحراسة

---

(1) مجهول: **نبذة العصر**،ص20 .21؛ أحمد المقري :**نفح الطيب**،مج5،ص519.

(2) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص245.

(3) مجهول: **نبذة العصر**،ص21.

(4) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص248247.

(5) مجهول: **نبذة العصر**،ص22.

(6) أنظر :واشنطن ايرفينغ:سقوط غرناطة،ص267؛ Jonathan Foster, **History of the Dominion of the Arabs in Spain**; Tarnsated form the Spanish, J.A Condé, London ,MDCCLV, Vol ,III, p381.

(7) أحمد المقري : **نفح الطيب**، مج5،ص519.

(8) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص267.

(9) أحمد المقري: **نفح الطيب**، مج5،ص520.

(10) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص275272.

بلدهم ويغلبون عدوهم... حتى نفذ ما عندهم من الأطعمة والزاد وأكلوا ما كان عندهم من المواشي ...وأثر فيهم الجوع أثرا عظيما ومات كثير من نجدة رجالهم..."[1]. وتتفق الروايتان بأن استسلام مالقة، جاء نتيجة الحصار في أواخر شعبان 892هـ/ أوائل أوت 1487م[2].

ولكي يقضي ملك قشتالة على مملكة بني الأحمر، خرج ،في شهر رجب 894هـ/ جوان 1489م، قاصدا مدينة بسطة، من أجل القضاء نهائيا على سلطان الزغل وأتباعه، باحتلال وادي آش والمرية[3]، ولكنه لم يقدر على التقرب من حصونها بل خسر الكثير من رجاله[4]، لأن المسلمين كانوا ينفذون هجماتهم، بالانقضاض على أعدائهم كالصواعق ويعودون إلى أسوارهم منتصرين، ولهذا منع فرناندو الخامس من استفزاز المسلمين،بتضييق الحصار عليهم[5]، ومن شدة الحصار طلب أعيان المدينة، الأمان وتسليم المدينة في 10محرم895 هـ/4ديسمبر 1489م[6]، وتؤكد الروايتان بأن هناك مؤامرة لبيع بسطة،من طرف أعيانها،وتحددهم الرواية المسيحية ؛ بمحمد بن حسن[*]،ويحي النيار[**]، وبواسطة هذا الأخير اقتنع الزغل وسلم المرية ووادي آش، إلى ملكي قشتالة وأراغون [7]،وتضرب لنا الرواية نفسها، نوع أخر من الرجال

(1) مجهول:**نبذة العصر**،ص2524.

(2) أنظر:أحمد المقري :**نفح الطيب**، مج5،ص520؛ Joseph lavallée et Adolphe Guéroult, Op.Cit,p476

(3) واشنطن إيرفينغ :**سقوط غرناطة**،ص343.

(4) مجهول : **نبذة العصر**،26.

(5) أنظر : واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص367؛ Joseph Condé,Op.Cit,p357

(6) مجهول: **نبذة العصر**،26؛ واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة** ،ص389.

(*) محمد بن حسن. تقول الرواية المسيحية : استقبل المعسكر المسيحي وفد المسلمين بقيادة محمد بن حسن،بأحسن استقبال،واستقبلته الملكة إزابيلا، وأغرته ببعض العروض،مما جعله يطلب منهم بعض الأراضي مقابل وقف القتال. أنظر : Jonathan Foster, Op.cit, p381.

(**) يحي النيار: تذكر الرواية المسيحية،بأنه تأثر بالملكة إزابيلا، وتعهد بوضع سيفه في خدمتها،وإقناع ابن عمه الزغل بتسليم وادي آش والمرية، وقد أعلن التخلي عن دينه . باكتشافه حسب رأي صاحب نفس الرواية مزايا المسيحية . واعتناق المسيحية،حيث عُمد على المذهب الكاثوليكي. أنظر :واشنطن ايرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص393؛ Jonathan Foster, Op.cit, p381

(7) أنظر :واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص381

رفض بيع قيمه ودينه وعرضه وهو المسمى؛ علي بن فهر[1](*).

وبهذا صار الزغل عونا لملك قشتالة حيث طوَع له جميع المدن والحصون، فاستولى عليها في10صفر895هـ/30جانفي 1490م بدون مقاومة تذكر، من المرية إلى وادي آش والمنكب،ولم يبق له إلا مدينة غرناطة[2]، وحسب صاحب الرواية الإسلامية – التي استقاها من أفواه الكثير من الناس– أن الزغل وأتباعه باعوا البلاد وقبضوا ثمنها، للانتقام من ملك غرناطة[3].

مما جعل ملك قشتالة وأراغون– إسبانيا– يوجه أنظاره إليها، وهنا تختلف الروايات في طريقة هذا التوجه؛ فالرواية الإسلامية تقول: بان ملك قشتالة نقض الصلح، الذي بينه وبين أبي عبد الله الصغير[4]، بينما الرواية المسيحية، تقول:بأن أبا عبد الله الصغير هو الذي نقضه، بعدم اعترافه بتعهداته للملك الكاثوليكي، وهي في حالة استيلائه؛ على مدينة وادي آش والمرية، وبسطة،يتنازل له عن مدينة غرناطة[5].

ففي سنة895هـ/1490م، بعث ملك قشتالة إلى أبي عبد الله الصغير رسالة يحثه على الدخول في ذمته، مما جعل هذا الأخير يوافق على طلبه[6]،ولكن أعيان غرناطة رفضوا هذا الأمر، بل أجمعوا على قتاله[7]، ويذكر لنا صاحب الرواية المسيحية، أحد الفرسان وهو موسى بن أبي الغسان الذي رفض الاستسلام[8]، بل أكثر من ذلك قال:" لا داعي للقلق بشان العدة

---

(1) أنظر: المرجع نفسه،ص396 .

(*) علي بن فهر: تخبرنا الرواية المسيحية،بأنه رفض أن يتسلم هدية إزابيلا وفرناندو الخامس، مثل زملائه،قائلا: لا يوجد عندي شيء أملكه للبيع، وأنا أنحدر من أصل المسلمين، وقد تخاذل رجالي، ولهذا أصبح الحصن لكما.وعندما أرادت إزابيلا أن تقدم له شيئا ،طلب منها ترك مواطنيه يمارسون دينهم وحريتهم كمسلمين، أما اتجاهه ؛ هو أن يترك يمر إلى المغرب، فحمل أدواته وأمتعته على فرسه البربري، ممتنعا عن قبول أية هدية، أو امتياز، متجها إلى ديار الإسلام. أنظر:واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص396.

(2) مجهول: **نبذة العصر**،ص27–28؛ أحمد المقري: **نفح الطيب**،مج5،ص522.

(3) مجهول: **نبذة العصر**،ص28.

(4) المصدر نفسه.

(5) أنظر: واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص403؛ Jonathan Foster, Op.cit, p386.

(6) مجهول: **نبذة العصر**،ص29.

(7) المصدر نفسه.

(8) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص405404

والعتاد،إذا أحسنا تسيير مواردنا،فإن جنودنا من خيرة المقاتلين بل هم أحسنهم، وهم مستعدون لقتال العدو بصدور عارية"[1].

ونظرا للمقاومة التي أبداها فرسان غرناطة، رحل عنها في 1 رجب 895هـ/ 21ماي1490م ملك قشتالة، ليفكر في طريقة أخرى[2]،وفعلا فكر في ضرب الحصار عليها وتجويع أهلها،بحرق ممتلكاتهم وإفساد زرعهم[3]، مما جعلهم ينتفضون وخاصة بعد مشاركة الزغل[*] في حصارها إلى جانب المسيحيين[4]، فنادوا بحياة أبي عبد الله الصغير، الذي خرج في 1491م، على رأس جيش من باب غرناطة واستولى على عدة حصون وقلاع[5]، بينما صاحب الرواية الإسلامية يحدد خروجه بعام 895هـ، ويقول: انتصر على قرى إقليم البشرة، واسترجع قرية البذول[6].

وفي 12 من جمادى الثاني 896هـ/22 أفريل1491 خرج ملك قشتالة لحصار غرناطة والقضاء على ملك بني الأحمر[7]، على رأس جيش يتكون من سبعة آلاف فارس وعشرين ألفا من المشاة[8]، وتتفق الروايتان بان المسلمين كانوا يشنون هجمات جريئة،مما جعل بعض المدن والقرى تنتفض وتدخل في ذمة ملك غرناطة[9]، وتتفق كذلك، بأن هناك دعم من المرتدين

---

(1) أنظر: Jonathan Foster; Op.cit,p381.

(2) مجهول: **نبذة العصر** ص29.

(3) واشنطن إيرفينغ: **سقوط غرناطة**،ص409،407.

(*) الزغل(Zagal) هناك روايتان : الزواية الأولي تقول:بعد أن شارك مع ملك قشتالة في حصار غرناطة، ضد إخوانه، استقبله أتباعه من المسلمين باحتقار شديد ،وقد حاولوا قتله، مما جعله يفكر في مخرج من هذه الورطة،وهي بيع ممتلكاته والهجرة إلى المغرب،وعندما وصل إليه، اتهمه ملكها بأنه سبب انهيار مملكة غرناطة، فحكم عليه بالسجن والعمى، وصادر أمواله،ثم أطلق سراحه.أنظر: واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**، ص432،431؛ Jonathan Foster; Op.cit,p387. بينما تقول الرواية الثانية:"ولما رأى ذلك السلطان الزغل، وهو أبو عبد الله محمد بن سعد عمّ سلطان غرناطة بادر بالجواز لبر العُدوة فجاز لوهران،ثم لتلمسان، واستقر بها، وبها نسله إلى الآن، يُعرفون ببني سلطان الأندلس". أنظر:أحمد المقري :نفح الطيب،مج5،ص524

(4) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص، 403، 412 .

(5) المرجع نفسه،ص،416،415.

(6) مجهول: **نبذة العصر**،ص30.

(7) أحمد المقري: **نفح الطيب**، مج5،ص524.

(8) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص429.

(9) أنظر: مجهول: **نبذة العصر**،ص29 فما بعدها ؛ واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**، ،ص 433 فما بعدها.

ومنهم المرتد: يحي النيار[1]،وتبين لنا كذلك، بأن هناك شجعانا قاوموا إلى الرمق الأخير منهم : نعيم بن رضوان النصري، وعبد الكريم الثغري[2].

ونظرا لحنكة المسلمين وجرأتهم في القتال،رأى ملك قشتالة أن يحاصرهم بغلق أبواب ومنافذ وشعاب ووديان غرناطة، ببناء سور كبير سماه شنتفي(Santa Fé)[*]. الإيمان المقدس . ورغم ذلك يقول صاحب الرواية الإسلامية:" ولم تزل الحرب متصلة بين المسلمين والنصارى كل يوم ... كل من هذه الملاحم يثخن كثير من أنجاد الفرسان ..."[3].

إلى أن دخل فصل الشتاء في شهر محرم 897هـ/نوفمبر 1491م،فانسدت أبواب البشرات وجبال شلر بالثلج ،والتي كانت تعتبر ممرا يأتي منها القمح والشعير والزيت[4]، وحسب صاحب الرواية الإسلامية، نفذ وقل الطعام ،وأدرك الجوع الأغلبية،مما جعل أعيان المدينة:من الفقهاء والأشياخ في شهرصفر 897هـ /ديسمبر 1491م، يقررون الاجتماع بسلطان غرناطة[5]، ويروي لنا أحمد المقري قولهم قائلا:"... وقالوا: انظروا في أنفسكم وتكلموا مع سلطانكم، فأحضر السلطان أهل الدولة وأرباب المشورة ،وتكلموا في هذا المعنى، وأن العدو يزداد مدده كل يوم، ونحن لا مدد لنا... فانظروا لأنفسكم وأولادكم، فاتفق الرأي على ارتكاب أخف الضررين، وشاع أن الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الأنجاد قبل ذلك في تسليم البلد خوفا على نفوسهم وعلى الناس، ثم عددوا مطالب وشروطا أرادوها،وزادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش؛منها أن صاحب رومة[بابا الفاتيكان] يوافق على الالتزام والوفاء بالشروط إذا أمكنوه من حمراء غرناطة..."[6]

وتؤكد الرواية المسيحية ذلك بقولها:إنهم وحدوا أصواتهم في الإلحاح على الاستسلام

---

(1) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص411 فما بعدها؛ مجهول: **نبذة العصر**،ص32 فما بعدها.

(2) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص433 -437 ؛ مجهول: **نبذة العصر**، 34.

(*) بلدة شنتفي: لعبت دورا هاما في التضييق على المسلمين، ويعود بنائها إلى حرق خيمة إزابيلا بسبب شمعة، وبهذا تحول المخيم في مدة 80يوما إلى قرية.هذا نقلا عن الشيخ نعمة الله الدحداح في كتابه تشنيف الآذان. كما يذكر لنا بأن كريستوفر كولومبس ودعي إزابيلا في هذه المدينة ،عندما أراد أن يقوم برحلة إلى أمريكا. أنظر: محمد عبده حتاملة: **محنة مسلمي الأندلس**، مطابع دار الشعب،عمان الأردن،1397هـ/1977م، ص50 فما بعدها؛
Arthur de Grandeffe,Op.Cit,p295.

(3) مجهول: **نبذة العصر** ،ص3938.

(4) أحمد المقري:**نفح الطيب**، مج5،ص525.

(5) مجهول:**نبذة العصر**،ص40.

(6) **نفح الطيب**،مج5،ص525.

إلا صوتا واحدا، وهو صوت موسى بن أبي الغسان(*) قائلا:" أفضل أن أموت من أجل غرناطة، وأفضل أن يسيل دمي على سيلان دموعي، وأفضل أن يسحق جسدي في ميدان الشرف على أن أفقد ديني وكرامتي"[1].

وبتاريخ 25نوفمبر 1491م/22محرم897هـ، وقعت اتفاقية تسليم مملكة بني الأحمر . غرناطة . بشروط بلغت ستا وخمسين مادة،وقد لخصتها العديد من المصادر والمراجع[2]، وفي الثاني من ربيع الأول 897هـ حسب الرواية الإسلامية، استولى المسيحيون على مملكة بني الأحمر[3]،بينما الرواية المسيحية تحددها ب6 جانفي1492م/ 5ربيع الاول897هـ، وبدوي المدفع الذي أعلن للسكان بانتهاء عهد ملك المسلمين وإلى الأبد، مما جعل أبا عبد الله (الصغير) يتأثر لهذا المنظر،وتنهمر عيناه بسيل من الدموع[4]، فكان رد أمه الأميرة عائشة : " **ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه كالرجال**"[5].

(*) موسى بن أبي الغسان: عندما طرح بنود المعاهدة الوزير أبو القاسم عبد الملك،أجهش أعضاء المجلس بالبكاء إلا أن القائد موسى نطق بكلمات،لابد من ذكرها:" دعوا البكاء للأطفال والنساء، أما الرجال يواجهون الأهوال والصعاب بعقولهم وقلوبهم لا بدموعهم، إنني مستعد أن أقودكم نحو القتال،وأن أموت بشرف، وأن أفتح الطريق للأجيال القادمة، وإن تخاذلتم تخسرون ملك الإسلام، وأنتم تعلمون أن المسيحيين لا عهد لهم، ومن يضمن أنهم سيحافظون على السلام" هذا ما كتبه المؤرخ الإسباني. ربما نقلا عن مصدر عربي.أنظر: Jonathan Foster, Op.Cit,p381

وفعلا غادر موسى بن أبي الغسان، قصر الحمراء،ممتطيا جواده حسب رواية المؤرخ(Condé) ويتممها المؤرخ والقسيس (Antonio Agapida) بأنه هاجم مجموعة من الفرسان المسيحيين بشراسة،ورغم إصابته ظل يحاربهم،وهو يزحف على ركبتيه،ولما شعر بأنه غير قادر على القتال، ألقى بنفسه في نهر شينيل.ويبقى حسب (Irving) لغزا محيرا.!؟ أنظر: واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص465،464.

(1) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص465،464.

(2) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ المتنصرين** ،ع4،ص244 فما بعدها.

(3) مجهول: **نبذة العصر**،ص42 ؛أحمد المقري: **نفح الطيب**،مج5،ص525.

(4) واشنطن إيرفينغ:**سقوط غرناطة**،ص471 فما بعدها.

5) احمد مختار العبادي :في تاريخ المغرب والأندلس،ص353.

هذا بالنسبة للعلاقة بين مملكة بني الأحمر ومملكة قشتالة، ويبقى أن نتعرض للعلاقة مابين كل من مملكة أراغون، ومملكة البرتغال.ونبدأ بمملكة أراغون لأنها الأهم في هذه العلاقة،كما أن العلاقة مع أراغون يغلب عليها الطابع الدبلوماسي . إن صح التعبير . وهذا راجع للطبيعة الجغرافية،فتارة تتقرب من بني الأحمر ،وتارة أخرى من بني مرين،وأغلب علاقاتها مع جارتها قشتالة،ويغلب على هذه العلاقات التحالفات والدعم والإسناد ببعض السفن الحربية،أو عدم التدخل أثناء الحروب، أو خلق صديق جديد من اجل إغاضة الطرف الآخر. وباتحادها مع مملكة قشتالة سنة 879هـ/1474م تنتهي العلاقة.

ثانيا. العلاقة مع أراغون :

منذ أن سوى فرناندو الثالث ملك قشتالة، نزاعه مع ملك أراغون سنة641هـ/1244م على حق الفتوح، بدأت الثغور الإسلامية تتحول تدريجيا، إلى مدن مسيحية فغدت مملكة قشتالة، أكبر المستفيدين من أرض المسلمين، بسبب الحرب الأهلية في أراغون[1]، مما جعل هذه الأخيرة تتجه جهة جزرالبليار ،وتتكمش في خط مستطيل جهة البحر الأبيض المتوسط، وتشترك في هذا البحر مع مملكة بني الأحمر ، لتشكل معها علاقة، تحكمت فيها الظروف*.

وتبدأ العلاقة مع أراغون حينما زاد النفور بين بني مرين ومملكة بني الأحمر بسبب ثورة بني أشقيلولة، فلجأ السلطان محمد الثاني المعروف بالفقيه، إلى جيرانه المسيحيين وعقد معاهدات دفاعية مع كل منهما[2].

وفي نهاية ربيع الثاني701هـ/31 ديسمبر 1301م عقدت معاهدة صلح وتحالف بين السلطان محمد الفقيه وملك أراغون خايمي الثاني(jamie II) (727.690هـ 1327.1291م) ضد ملك قشتالة[3].

وبعد توتر العلاقات بين مملكة بني الأحمر وبني مرين، إثر حوادث سبتة ، رأى كل من ملك قشتالة فرناندو الرابع، وملك أراغون خايمي الثاني، أن الفرصة باتت سانحة للقضاء على

(1) يوسف أشباخ: المرجع السابق،ج2،ص221.220.

(*) انظر الخريطة رقم03،ص155.والخريطة رقم02،ص154.

(2) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص312.

(3) محمد كمال شبانة: المرجع السابق،ص30، نقلا، عن محفوظات التاج الأراغوني.

مملكة بني الأحمر، ففي سنة709هـ/1309م استولى ملك قشتالة على جبل طارق، وفي الوقت نفسه حاصر ملك أراغون بجيوشه وأساطيله ثغر المرية[1].

وانتهت هذه الحرب الفاشلة، بأن عَقدت كل من قشتالة وأراغون صلحا، مع مملكة بني الأحمر وبني مرين، وتبادلت من خلاله علاقات طيبة تشهد عليها المراسلات[2]، ويعتبر عصر أبي الحجاج يوسف، عصر العلاقات، وتبادل الرسائل[*] خاصة مع مملكة أراغون، ففي 18محرم734هـ/29سبيتمبر1333م، أرسل أول رسالة إلى ملك أراغون الفونسو الرابع (Alfonso IV)(727-736هـ/1327-1336م)، رفقة حاجبه أبي النعيم رضوان النصري[**]، ليجدد معه السلم و الصداقة[3].

بينما في7جمادى الأولى741هـ/30أكتوبر1340م،وأثناء معركة طريف، استنجد مللك قشتالة، بملك أراغون بدرو الرابع(Pedro IV)(736-789هـ/1336-1387م)، وصهره ملك البرتغال، لمواجهة جيوش بني مرين، حيث دارت معركة حاسمة انتهت بهزيمة المسلمين في جبل طارق، بينما ارتد الأراغونيون مهزومين من المرية[4].

وفي1صفر745هـ/14جوان1344م وقعت معاهدة ودية بين مملكة بني الأحمر ومملكة أراغون[5]حيث تشهد عليها مجموعة من الرسائل، بعثها الملك أبو الحجاج يوسف إلى الملك بدرو الرابع، تخص رعايا البلدين[6]،ودعمت باتفاقية في27 رمضان745هـ/ 1فيفري1345م، بين كل من مملكة بني مرين، ومملكة بني الأحمر من جهة ومملكة أراغون من جهة أخرى، لمدة عشر سنوات[7].

---

(1) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**،ص62،61.

(2) أنظر :عبد الهادي التازي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب**،ج7،ص129؛ عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص318،

(*) أنظر :محمد كمال شبانة: يوسف الأول ابن الأحمر ،ص455-456.نقلا عن التاج الاراغوني ببرشلونة.

(**) عن أصل عائلة أبو نعيم رضوان.أنظر : ص30.

(3) محمد كمال شبانة:المرجع السابق،ص126، نقلا.عن أرشيف تاج ألفونسو الحادي عشر ،وثيقة:292.

(4) عبد الرحمن بن خلدون:**العبر** ج7،ص346؛ لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج4،ص322؛ أبو العباس أحمد خالد الناصري: **الاستقصا**،ج3،ص136 .

(5) محمد كمال شبانة:المرجع السابق،ص128.

(6) أنظر: محمد كمال شبانة:المرجع السابق ،ص495 فما بعدها.

(7) عبد الهادي التازي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب**،ج7،ص129

بينما في رجب 768هـ/مارس1367م،عقد ملك بني الأحمر، محمد الخامس الغني بالله أصالة عن نفسه ونيابة عن السلطان أبي فارس عبد العزيز ملك بني مرين، معاهدة صلح وصداقة مع ملك أراغون بدرو الرابع، يتعهد كل منهما :بأن يمتنع كل فريق من معاونة أعداء الفريق الآخر، وأن تطلق أراغون حرية الهجرة للمدجنين، مع حرية التجارة لرعايا البلدين[1].

ولما ثارت الحرب بين الجارتين المسيحيتين: أراغون وقشتالة، استعان هذا الأخير بحليفه الغني بالله .في المجال البحري .حيث أمده بأسطول، وسمح له باستخدام القواعد البحرية[2]. لكن بتولي أبي سعيد البرميخو، اتجه نحو بيدرو الرابع ملك أراغون وانضم إليه في حروبه ضد قشتالة، مما جعل هذا الأخير يستجيب لوساطة البابا بعقد صلح مع أراغون[3].

وعندما اشتعلت الحرب بين الجارتين؛ قشتالة وغرناطة في عهد السلطان الأحنف عُقدت معاهدة وتحالف مع ملك أراغون مرتين الأول(Martin I)(798-813هـ/ 1395-1410م)، في ربيع الأول808هـ/سبتمبر1405م، لمدة خمس سنوات، من بنودها:حرية تنقل رعايا البلدين، آمنين بأموالهم وتجارتهم،مع المعاونة ضد الأعداء بالسفن والرجال[4].

كما انتهز أبو عبد الله محمد (الأحنف) الخلاف القائم؛ بين قشتالة، وأراغون، ليعرض على ملك أراغون خوان الثانى(Juan II) (846-884هـ /1442 - 1479م)، صلحا وتحالف ضد قشتالة،ونفذ هذا الحلف بغزو الأحنف أرض مرسية[5].

وقد سعى خوان الثاني في أواخر عهده إلى تزويج ولده فرناندو من زوجة ثانية، وهي الأميرة إزابيلا القشتالية،وقد كلل هذا المشروع بالنجاح، الذي كان إيذانا باتحاد قشتالة و أراغون في مملكة إسبانية موحدة[6]. .

وبزواج فرناندو بإزابيلا تنتهي العلاقة مع أراغون، وتبدأ علاقة من نوع آخر ،وهي علاقة التمهيد للقضاء على مملكة بني الأحمر -وبعبارة أدق- إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.وهذا بدعم مملكة البرتغال أو انحيازها،في أغلب الأحيان وهذا راجع - حسب

(1) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص148.

(2) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص334.

(3) المرجع نفسه،ص334.

(4) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص152.153.نقلا:Archivo de Corona de Aragon

(5) المرجع نفسه،ص163.164.

(6) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4 ،ص170.171.

ما يظهر – إلى دور البابوية في الصراع المسيحي الإسلامي،على منافذ البحر الأبيض المتوسط، وخاصة جبل طارق وطريف، والجزيرة الخضراء، وحتى في أرض العدوة . المغرب الأقصى . وبخاصة سبتة ومليلية.

ثالثا- العلاقة مع البرتغال:

لما انهارت دولة الموحدين ولم يبق سوى مملكة بني الأحمر ، بدأ حينئذ الفونسو الثالث(Alfonso III) ملك البرتغال يفكر في استئناف الفتح في ولاية الغرب . غرب الأندلس . فاستولى على القلاع الواقعة على وادي يانة مثل موره، وصربا، ويامونت[1]،ولم يكن بمقدور ملك مملكة بني الأحمر تقديم المساعدة، ما ساعده على القضاء نهائيا على سلطان المسلمين، في البرتغال سنة646هـ/1248م[2][*].

حيث مضى يفتح أراضي ولاية الغرب الأندلسية، ولكنه تنازل عليها لملك قشتالة لأنها كانت في نطاق الفتوح القشتالية[3]، وبعد خلافات حدودية، أُتفق بموجب معاهدة صلح عُقدت بينهما في بطليموس سنة665هـ/1267م على أن يتنازل ملك قشتالة للبرتغال عن كافة ما يدعيه من حقوق في إقليم الغرب (Algare)[4].

ومنذ ذلك الحين رُسمت البقعة الجغرافية لمملكة البرتغال، في جهة الغرب، والتي لا ترتبط بمملكة بني الأحمر إلا بالمياه الإقليمية للبحر الأبيض المتوسط، ولهذا كانت تقدم المساعدة في العديد من الأحيان لمملكة قشتالة ،وخاصة في الحروب الدائرة رحاها على مضيق جبل طارق، والجزيرة الخضراء، وكانت لها أطماع في أرض المغرب، وخاصة في سبتة وطنجة.

---

(1) يوسف أشباخ:المرجع السابق ،ج2،ص215.

(2) عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** . عصر الموحدين . ق2،ص612.

(*) بينما تحدد المصادر البرتغالية حسب ما كتبه فالح حنظل، تاريخ الاستقلال ب648هـ/1250م حيث يقول:" إنه لما توفي الملك ألفونسو الثالث(AlfonsoIII) سنة1179م، تولى العرش ابنه دون دينز الذي يعتبر عهده نهاية لكافة الحروب مع المسلمين، حيث تم تحرير البلاد بكاملها وأصبحت البرتغال بلدا مستقلا كاملا، ويذكرون اسم القائد البرتغالي (peres paio correia ويعتبرونه فاتح الغرب. أنظر :**العرب والبرتغال في التاريخ**، منشورات المجتمع الثقافي، أبوظبي، 1417هـ/1997م، ص69. انظر الخريطة رقم03،ص155. والخريطةرقم02،ص154.

(3) عبد الله عنان:**دولة الإسلام في الأندلس** . عصر الموحدين . ،ق2،ص612.

(4) أمين الطيبي:" احتلال البرتغاليين مدينة سبتة المغربية مقدماته ودوافعه ونتائجه" **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**، طرابلس،ع5، 1988م،ص463.

وتبدأ العلاقة بينها وبين مملكة بني الأحمر، حين استنجد ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر بصهره ملك البرتغال الفونسو الرابع (Alfonso IV)، لإنقاذ طريف في7جمادى الأولى741هـ/29أكتوبر 1340م، حيث دارت معركة حاسمة، انهزم فيها المسلمون وسميت بمعركة الملوك الأربعة[1]، وسبب الهزيمة يعود إلى دعم مملكة البرتغال حسب رأي ابن خلدون[2].

بينما في770هـ/1369م انتهز محمد الخامس الغني بالله الصراع الدائر في قشتالة بين الفرقاء؛ بدرو الأول وأنيريك الثاني، وعقد مع ملك البرتغال فرناندو الأول (Fernando I) ومع سلطان بني مرين، حلفا مشتركا لمهاجمة مملكة قشتالة، على أن يهاجمها ملك البرتغال من جهة غاليسية، بينما يهاجم سلطان بني الأحمر مدينة الجزيرة الخضراء ويعاونه أسطول بني مرين، وبهذه الخطة استرجعت الجزيرة الخضراء في ذي الحجة 770هـ/ جويلية 1369م[3].

بينما في عهد الملك خوان الأول(Juan I)(786-836هـ/1385-1433م) اهتمت البرتغال ببناء الأساطيل والتفكير في احتلال القواعد والمراكز البحرية، التي تطل على منافذ البحار[4]،ومنها مدينة سبتة المغربية(Ceuta)، التي استولى عليها سنة818هـ/ 21أوت1415م مستغلا ضعف مملكة بني مرين[5].

ويذكر محمد بن الطيب القادري، طريقة استيلاء البرتغاليين على سبتة فيقول:" فقد رأيت في بعض المقيدات مما يظن به التثبت والصدق أن النصارى ...أتوا بصناديق مقفلة يوهمون أن بها سلعا وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهدين في ذلك عند فجر يوم الجمعة من

(1) أنظر: عبد الرحمن بن خلدون :**العبر** ،ج7،ص346؛ لسان الدين بن الخطيب: **الإحاطة**،مج4،ص322؛ أبو العباس أحمد خالد الناصري: **الاستقصا**،ج3،ص136.

(2) **العبر**،ج7،ص346. 347.حيث يوضح بقوله:"... واحتشد الطاغية أمم النصرانية، وظاهره البرتقال صاحب أشبونة،وغرب الأندلس،فجاء معه في قومه.وزحف إليهم لستة أشهر من نزولهم.ولما قرب معسكرهم سرّب إلى طريف جيشا من النصارى أكمنة بها، فدخلوه ليلا على حين غفلة من العسس الذي أرصد لهم. فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان بأنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته. وزحف الطاغية من الغد في جموعه، وعبّأ السلطان مواكب المسلمين صفوفا، وتزاحموا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين..."أنظر: المصدر نفسه.

(3) لسان الدين بن الخطيب:**الإحاطة**،مج2،ص87 ؛ عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية** ص349348.

(4) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص357.

(5) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :**الاستقصا**،ق2،ج4،ص92.

بعض أشهر عام ثمانية عشر وثمانمائة، وإذا الصناديق مملوءة رجالا، وعدد من كان بها أربعة ألاف من الشبان المقاتلة فأخرجوا المسلمين من المدين غدرا، فجاء أهلها مستصرخين إلى ملك فاس..."[1].

والسبب في احتلالها يعود إلى اتفاق أمير سبتة معهم من أجل استغلال المرسى مقابل خراج معلوم[2]، بينما حسب رأي المؤرخ المغربي، يعود احتلال سبتة إلى تواطؤ ملك بني الأحمر (يوسف الثالث) بعقده هدنة مع ملك قشتالة[3]، ولكنه لم ير، رأي صاحب كتاب نشر المثاني الذي يقول: إن عدم استرجاعها يعود إلى تخاذل رؤساء الجند، خوفا من أن يكلفهم السلطان إسماعيل بما هو أبعد من سبتة لفتحها [4].

هذا مما جعلهم يطمعون أكثر، ففي سنة841هـ/1437م، وبمباركة البابا حاول إخوة الملك دوارت (Duarte) احتلال طنجة، ولكنهم لقوا مقاومة شديدة، بل أكثر من ذلك أسروا الأمير فرناندو وعددا كبيرا من البرتغاليين[5]، وحسب شارل أندري جوليان فقد اضطروا إلى الاستسلام تاركين فرناندو رهينة في انتظار البر بوعدهم[6]، غير أن دوارت، ضحى بأخيه من أجل المركز التجاري المهم[7][*]

وبتولي ألفونسو الخامس(Alfonso V) الحكم سار على نهج أسلافه في احتلال القواعد المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وجاءت فكرته أن يحتل القصر الصغير. ميناء صغير يقع

(1) **نشرُ المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني** موسوعة أعلام المغرب . تحقيق، محمد حجي،دار الغرب الإسلامي، بيروت،1417هـ/1996م، ج3،ق1،ص1181.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا**،ق2،ج4،ص92

(3) أنظر:عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب** ،مج7،ص162.

(4) محمد بن الطيب القادري: **نشر المثاني**،ج3،ق1،ص1181.

(5) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا**،ق2،ج4،ص96.95،نقلا عن منويل.

(6) **تاريخ إفريقيا الشمالية**،ج2،ص251

(7) شارل اندري جوليان:المرجع السابق ،ج2،ص251

(*) اهتم البرتغاليون بالملاحة وعلوم البحار وبناء الأساطيل التي كانت سفنها ترفع على سيارتها صورة الصليب، وكان هدفهم الوصول إلى الحبشة والتحالف مع ملكها المسيحي، تمهيدا لاحتلال مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس،وذلك بدعم البابا،الذي ظل يحثهم على تنصير الشعوب وملاحقة المسلمين، وضرب تجارتهم بالالتفاف على منافذ البحر. أنظر:محمد عبده حتاملة: **الاعتداءات الإفرنجية على ديار العرب في الأندلس والمشرق**،دار المكتبة الوطنية،عمان الأردن: 1422هـ/2001م،ص32 .

بين سبتة وطنجة ـ أولا، ليجعل منه قاعدة حربية[1]، وفي سنة869هـ 1464م استولى على طنجة، وأصيلا، وبعض سواحل السوس[2].

وبتاريخ 6 مارس1480م/23 ذي الحجة884هـ أبرمت في طليطلة معاهدة بين إسبانيا والبرتغال، لإنهاء حالة الحرب بين هاتين الدولتين، كما نصت على اعتراف إسبانيا بحقوق دولة البرتغال، في المواقع التي احتلتها في المغرب [3]، لأن الإسبان كانوا يطمعون في احتلال بعض المراكز في المغرب الإسلامي ومنها مدينة مليلة[4].

وبانتهاء مملكة بني الأحمر من الخريطة السياسية، ظهرت مملكتان في شبه الجزيرة الإيبيرية، وهما: مملكة إسبانيا ومملكة البرتغال، اللتان تنافستا في حروب الاسترداد، وفي الاكتشافات الجغرافية، وفي البحث عن منافذ للمحيطات، والوصول إلى الهند واكتشاف أمريكا.

وعليه نقول: هل للمسلمين دور في هذا التحضر الكبير، بنقل العلم والعلوم إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، وللإجابة على هذا التساؤل لابد من تناول هذا الموضوع من خلال التأثيرات الحضارية بين الأندلس الإسلامية والممالك المسيحية.

---

(1) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي:**تاريخ البحرية الإسلامية**،ص359.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: **الاستقصا**،ق2،ج4،ص110.

(3) عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية**،ص362.

(4) شارل أندري جوليان: المرجع السابق،ج2،ص255.

الفصل الرابع

مظاهر التأثيرات الحضارية

أولا: عناصر انتقالها:

1-اليهود

2-المستعربون (*Mozarabes*)

3-المدجنون(*Mudéjares*)

ثانيا- في الجانب الاجتماعي

ثالثا- في الجانب العلمي والثقافي

رابعا- في الجانب الاقتصادي:

أ- الزراعة

ب-الصناعة

قبل الخوض في التأثيرات الحضارية بين الجانبين الإسلامي والمسيحي في أوربا بصفة عامة، وشبه الجزيرة الإيبيرية بصفة خاصة، لابد من التطرق إلى عناصر وطرق انتقالها بين الطرفين لسببين أساسين حسب ما يبدو، هما: أولا أهمية تنوع المجتمع في نقل الأفكار والتأثير الحضاري، وثانيا: وهو الأهم معرفة دور الطرف المؤثر، وكيف يؤثر ويتأثر، ومن خلال هذا الطرح، نتعرض في البداية إلى عناصر وطرق انتقالها ودور هذه العناصر.

أولا. عناصر انتقالها:

هناك العديد من العناصر التي ساهمت في نقل الحضارة الإسلامية،إلى الطرف الآخر، وحتى في العلاقات بين الطرفين الإسلامي والمسيحي، ومن أهم هذه العناصر طائفة ساهمت بقسط كبير في هذه العلاقة وهم اليهود، بالإضافة إلى عنصر المستعربين والمدجنين، والزواج المختلط، والأسرى.

أ . اليهود:

منذ أن بدأ التضييق على اليهود سنة613م والذي وافق 9هـ، اضطر الكثير منهم إلى الهجرة وتظاهر البعض الآخر باعتناق المسيحية[1]، ربما هذا مما جعلهم يتصلون بيهود المغرب لإغراء المسلمين على فتح الأندلس[2]، من أجل الخلاص من اضطهاد القوط ورجال الكنيسة الكاثوليكية[3]، ويذكر ابن عذاري، بأن طارق بن زياد لم يجد في طليطلة إلا اليهود[4].

وبعدما منحهم المسلمون حريات منها: حرية العمل والتنقل والتملك، بالإضافة إلى الحرية الدينية، فضلوا الهجرة إليها[5]، ومنذ ذلك الحين تمركز اليهود في العديد من المدن الإيبيرية منها: قرطبة، وإشبيلية، وليسانة وغرناطة، وطليطلة، وقلعة حماد، وسرقسطة وكذا في مدن الشمال، مثل برشلونة وطركونة[6].

---

(1) حُسين مؤنس: **فجر الأندلس**، دار المناهل، بيروت،1432هـ/2002م، ص543.

(2) أنظر:حسين يوسف دويدار:**المجتمع الأندلسي في العصر الأموي**، مطبعة الحسين الإسلامية،القاهرة،1414هـ/ 1994م، ص48.

(3) يوسف شكري فرحات:المرجع السابق،ص96.

(4) **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ،ج.س.كولان وإ . ليفي بروفنسال،ط2،دار الثقافة،بيروت،1400هـ/1980م، ج2،ص12.

(5) حسين يوسف دويدار: المرجع السابق،ص48.

(6) أحمد شحلان:**التراث العبري اليهودي، في الغرب الإسلامي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،1427هـ/2006م،ص16،نقلاعن(أشتور، تاريخ يهود اسبانيا).

وفي عهد ملوك الطوائف، تبوأ اليهود مكانة مرموقة في مملكة بنى زيري الصنهاجية، حتى أصبحت تسمى بغرناطة اليهود، حيث يذكرهم ابن عذاري فيقول:"...فأمضى باديس وزيرا له وكاتبا وزيرا أبيه إسماعيل بن نغرالة اليهودي على وزارته...، واكتسبوا الجاه والمال في أيامه، واستطالوا على المسلمين..."[1].

وبعد حادثة مقتل ابن نغرالة تغير مفهوم اليهود[2]، من مفهوم التعلق بالسلطة إلى مفهوم التعلق بالعلوم والمتاجرة بها، وخاصة بعد اجتذبت علوم المسلمين علماء من كل الأديان[3]، وهنا يقول منتغمري وات :"وقد كان يهود إسبانيا مدينين للفكر العربي بصورة مباشرة، ومن بينهم ابن ميمون [4].

ومما يدل على تأثرهم بالثقافة العربية حسب رأي آنخل خنثالث بالنثيا، أن المناقشات بينهم، كانت تجري على نفس أسلوب العرب[5]، حيث كتبت موشحات عبرية، اعتمدت على مصطلحات عربية، وكأنها قصيدة عربية[6].

بينما يقال: بان يوسف بن تاشفين اكرههم على دخول الإسلام وهذا في عهد المرابطين، مما جعل عددا كبيرا منهم يلتجئ إلى قشتالة وأراغون[7]، وكان تأسيس ريموند(Raymond) رئيس أساقفة طليطلة لمجمع المترجمين، عملا حاسما في تاريخ نقل العلوم العربية الإسلامية إلى اللاتينية عن طريق اليهود[8].

---

(1) أنظر:**البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تحقيق: ج.س.كولان و إ ليفي بروفنسال،ط3، دار الثقافة ،بيروت، 1983م، ج3،ص264.

(2) أنظر: المصدر نفسه، ص440439.

(3) مونتغمري وات: **في تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ترجمة ، محمد رضا المصري، ط2، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت، 1998م،ص166.

(4) المرجع نفسه.

(5) **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1955م، ص492.

(6) مونتمغري وات:المرجع السابق،ص166.

(7) يوسف شكري فرحات: المرجع السابق،ص97.

(8) أحمد شحلان:المرجع السابق،ص173.172.

وقد كان ابن رشد محور أعمالهم، حيث ترجموا كل مؤلفاته الفلسفية الأرسطية، وجل أعماله الطبية(1)، ومنهم يعقوب مارتن الذي ترجم ابن سينا وابن رشد وابن ميمون إلى اللاتينية، كما نقل إسحاق بن بولكار مؤلفات الغزالي إلى العبرية(2).

ومنذ ذلك الحين شرع الأوروبيون يتواردون على طليطلة وغيرها من المدن الإيبيرية – قشتالة- وبخاصة من فرنسا وإيطاليا(3).

أما في مملكة بني الأحمر فقد تمتع اليهود بحريات واسعة، وبخاصة في التجارة، حيث تحكموا في نقل البضائع بين الأندلس والقارة الأوربية والمشرق الإسلامي(4). كما ميزوا في عهد أبي الوليد إسماعيل بشارة صفراء(5)، وتفضيلهم لمملكة بني الأحمر راجع إلى ابتزاز الكنيسة لهم ، وهذا ربما لعدم امتثالهم لأمر البابا بتحريم الفوائد الربوية(6).

كما اتهموا بتسميم مياه الآبار في أوربا، مما جعلهم يفرون إلى مناطق أكثر أمانا(7)،ويتوزعون في مناطق العالم وينشرون الحضارة الإسلامية حسب ما يظهر. وحسب ما يبدو كذلك يأتي بعد عنصر اليهود، عنصرا آخر أكثر أهمية من الأول، لأن له علاقة بالممالك المسيحية بصفة خاصة، ويعتبر أكبر مستفيد من الحضارة الإسلامية، رغم تنكره لها، وهو عنصر المستعربين.

ب . المستعربون(Mozarabes):

إطلاق اسم المستعربين يدل على مدى الميول والاتجاهات نحو الثقافة العربية، التي كانت تتغلغل في نفوس هذه الطبقة من المجتمع الأندلسي(8)، حيث بقيت نسبة كبيرة من الرعايا

---

(1) أحمد شحلان:المرجع السابق،ص178.

(2) ول وَايريل ديورانت: **قصة الحضارة** . الإصلاح الديني . ج5، مج6،ص 168؛ آنخل خنثالث بالنثيا:**تاريخ الفكر الأندلسي**،ص501.

(3) سيمون الحايك: **والعرب شاركوا في الاكتشاف**، المطبعة البوليسية،بيروت، 1991م،ص123.

(4) ج.س.كولان: **الأندلس**، دار الكتاب اللبناني،بيروت، 1980م،ص97؛أوليفيا ريمي كونستبل ، **التجارة والتجار في الأندلس** تعريب، فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان،الرياض، 1423هـ/2002م،ص368 فما بعدها.

(5) لسان الدين بن الخطيب:**اللمحة البدرية**،ص71. ويضيف بقوله:" وأخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم، وشارة تميزهم ليوفوا حقهم من المعاملة التي أمر بها الشارع في الطرق". المصدر نفسه.

(6) ول وَايريل ديورانت: **قصة الحضارة** . الإصلاح الديني . ج5، مج6،ص154.

(7) أنظر : المرجع نفسه،ص149 فما بعدها.

(8) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتب الوطنية، بنغازي- دار الكتب الجديدة، بيروت، 2000م،ص123.

المسيحيين تشكل وحدات لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول[1]، في ظل الحكم الإسلامي يتمتعون بضروب الرعاية والتسامح[2]، ويذكرهم لسان الدين بن الخطيب، فيقول: "يعالجون فلاحة الأرض، وعمران القرى، يرأسهم أشياخ من أهل دينهم، أولوا حُنْكة ودهاء ومدارة ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم..."[3]، وكانت السلطة الإسلامية تجانب أية محاولة لإرغامهم على اعتناق الإسلام[4].

أما الاضطهاد الذي عاناه المستعربون . المعاهدون . فيرجع سببه المستشرق ليفي بروفنسال إلى عدم تراجع المسيحيين عن القدح في المعتقد الذي ساد البلاد-أي الإسلام -[5].

ورغم ذالك تأثروا بالطابع الإسلامي لدرجة كانوا يؤثرون استعمال لغة العرب وأزيائهم وأسمائهم [6]، ومن حسرة الفارو القرطبي(Le Cardouan Alvaro)، قال" إن أبناء طائفتي يحبون قراءة الأشعار وتراث الخيال العربية؛ وهم لا يدرسون كتابات رجال الدين ليدحضوها،وإنما يدرسونها ليكتسبوا نطقا عربيا سليما ورفيعا... إنهم يقرأون ويدرسون الكتب العربية بنشاط منقطع النظير؛ ويشكلون منها مكتبات هائلة بأثمان باهظة ويعلنون عن هذه الآداب في كل مكان إنها مدهشة...فيا للألم! لقد نسي المسيحيون كل شيء حتى لغتهم الدينية ..."[7].

لأن المسلمين كانوا أكثر تسامحا من غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى[8]، وعن هذا التسامح قال المستشرق الروسي فاسيلي بارتولد (V. Bartold): ومهما يكن من شيء فان المسيحيين الذين عاشوا في ظل حكم المسلمين لم يصبهم ما أصاب المسلمين من الظلم والعدوان [9].

---

(1) ليفي بروفنسال:**حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة، دوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ت ص79.

(2) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس** ع4،ص67.

(3) **الإحاطة**،مج1،ص107.106.

(4) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس** ع4،ص67.

(5) **حضارة العرب في الأندلس**،ص79.

(6) انخل خنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**،ص485.

(7) أنظر: ليفي بروفنسال: **حضارة العرب في الأندلس**، ص80؛ انخل خنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص 486.485.

(8) حسين يوسف دويدار: المرجع السابق،ص39

(9) المرجع نفسه.

وشهد شاهد من أهلها، حيث كان رئيس الأساقفة (تالافيرا) معجبا بالحضارة العربية، وكان دائما يردد بقوله: إن العربي تنقصه العقيدة الصحيحة المسيحية، أما الإسباني فتنقصه لكي يصبح مسيحيا حقاً الأفعال الحميدة التي يفعلها العربي[1].

إلا أنهم كانوا دوما متعصبين ضد الإسلام والمسلمين، ولم يخلصوا لهما، وكانوا دوما يتربصون وينتهزون الفرص لتقديم الدعم للوطن الأصلي، كلما سمحت الفرصة[2].

ورغم ذلك ظلوا يكتبون بلغة العرب، ويتسمون بأسمائهم حتى أوائل القرن الرابع عشر[3]، ونظرا لعدم اهتمامهم بالنطق الصحيح للغة العربية قال أحد الشعراء:

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن قياس قولهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلتُ قافية بكرا يكون لها معنى يخالفُ ما قالوا وما وضعوا

قالوا لحنت وهذا الحرف منتصب وذاك خفض، وهذا ليس يرتفع

وضرَّبُوا بين عبد الله واجتهدوا وبين زيد فطال الضربُ والوجع[4].

وما تزال إلى اليوم وثائق وعقود بيع وشراء، وهبة، وإيجار، ووصية، محررة بخط عربي، محفوظة بدار المحفوظات التاريخية بمدريد[5]، وهذا لتأثرهم بعنصر المدجنين، الذي يعتبر من أهم العناصر التي أدخلت التراث الإسلامي إلى الطرف الآخر، حيث يعرف بالتراث المدجن في شكله الإسلامي.

---

(1) زيغريد هونكة: **شمس العرب تسطع على الغرب**،ط8، نقله عن الألمانية، فاروق بيضون و كمال دسوقي،دار الجيل . دار الآفاق الجديدة،بيروت،1413هـ/1993م،ص535.

(2) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص6867.

(3) آنخل خنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**،ص488.

(4) أحمد المقري: **نفح الطيب**،مج4،ص144.

(5) أنظر: عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص68 .72.

ج . المدجنون (Mudéjares):

بعدما أصبحت المدن تسقط تباعا في أيدي الممالك المسيحية، كان هناك أناس حملتهم ظروف الأسرية، ودواعي العيش على البقاء، تحت حكم المسيحيين، فسموا بالمدجنيين تشبيها بالدجن(*).

ويسبب الحاجة إلى أعمالهم لم يبدأ التضييق عليهم إلى ما بعد موقعة الزلاقة سنة 479هـ/1086م بعدما أصبح الصراع صراع حياة أو موت، والحرب حرب إبادة[1].

وقد شاع استعمال لفظ الدجن منذ أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي بعد سقوط العديد من المدن الأندلسية، وبقيت طوائف كبيرة تحت حكما لمسيحيين[2]، حيث سمح لهم العيش كمدجنين،مما جعلهم يتمتعون بنوع من الطمأنينة، ويحتفظون بدينهم وشريعتهم ومساجدهم ومدارسهم[3]، لأن المسيحيين في البدء لم يكونوا ذوي نيات سيئة، حسب رأي دومنيك ايرفو [4]، بينما حسب رأي جبريلين دودز، لان ثقافتهم الإسلامية لم تكن تشكل تهديدا لثقافة المسحيين ووجودهم، بل أصبحوا مسلمين تابعين[5]، و كانوا يستأثرون بالتفوق في العلوم والفنون والمهن، وكانوا أبرع الأطباء والمهندسين[6]، وكانوا يدخلون لهم العديد من المحاصيل الزراعية، مثل: قصب السكر، والقطن، والأرز والحرير،والتين والبرتقال واللوز[7]، ويزاولون التجارة بشرف وأمانة، ولم يكن بينهم متسولون، وكانوا مثلا للنظام والسكينة، ومن أصلح العناصر بين الآخرين[8].

(*) دجن .الدجن: ظل الغيم في اليوم المطير.وهي جمع داجن وهي الشاة ؛ التي تعلقها الناس في منازلهم،والمثلة بها أن يجدعها ويخصيها، وهي تقع على كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها... أنظر: ابن منظور: **لسان العرب** ،مج 2 ج17،ص1331.

(1) رجب محمد عبد الحليم:المرجع السابق،ص416.

(2) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص.56.

(3) المرجع نفسه،ص57.

(4) دومنيك ايرفو:"**علماء الأندلس**،"الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص1210

(5) جبريلين دودز:" **تراث المدجنين في فن العمارة**" الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص855.

(6) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس** ،ع4،ص.،ص63.

(7) المرجع نفسه.

(8) نفسه.

إلا أنهم تعرضوا إلى الانحلال بسبب هجرة الأغنياء والأعيان والرؤساء، ورجال الدين، فبقيت بدون قيادة ولا تجد من يحفظ وحدتها من الزوال[1]، فاستغلت الكنيسة الكاثوليكية وضعهم، وحثت على استرقاقهم وإدخالهم المسيحية[2].

مما جعل رجال الدين المسلمين يتحركون لإنقاذهم من عقيدة التثليث، وهنا يقول: أبو العباس الونشريسي[*]، كتب إلي الشيخ الفقيه المعظم الخطيب الفاضل القدوة الصالح البقية، والجملة الفاضلة النقية، العدل الأرضى، أبو عبد الله بن قطية، أدام الله سموه ورقيه، بما نصه[3]، ونختصر هذا المكتوب فيما يلي:" الحمد لله وحده، جوابكم يا سيدي رضي الله عنكم ومتع المسلمين بحياتكم في نازلة، وهي أن قوما من هؤلاء الأندلسيين الذين هاجروا ... وخرجوا من تحت حكم الملة الكافرة... وأنهم يرومون إعمال الحيلة في الرجوع إلى دار الكفر ...حتى إن من قال: إن جاء صاحب قشتالة إلى هذا النواحي نسير إليه فنطلب منه أن يردنا إلى هناك..."[4].

فأجاب:" إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك من أرض الحرام والباطل بظلم... ولا تسقط الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنه الله على معاقلهم وبلادهم إلا تصور العجز عنها بكل وجه وحال..."[5].

---

(1) حسين مؤنس "أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، لأبي العباس الونشريسي" **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**"،العدد1-2،مج5، 1377هـ/1957م،ص143.

(2) عبد الله عنان: **نهاية الأندلس**،ع4،ص62.

(*) الونشريسي: منسوب إلى ونشريس بالجزائر،وهو أيضا اسم جبل من جبال بني شقران، اسمه الكامل ، أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد التلمساني الونشريسي. ويقولون عنه في تراجمهم: العالم العلامة حامل لواء المذهب، أخذ عن شيوخ بلدة تلمسان كالإمام أبي فضل قاسم العقباني ... وبسبب مشكل مع السلطان فر إلى مدينة فاس، في أول محرم874هـ ، وكان مشاركا في علوم الفقه، إلا أنه لازم التدريس، وكان فصيح اللسان والقلم، حتى كان بعض من يحضره يقول:" **لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه**".أنظر: أحمد بابا التنبكتي:**نيل الابتهاج**، ج1، 2، ص136.135؛ أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، تق، محمد رؤوف القاسمي الحسني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1991م،ج1،ص68.66 ؛ حسين مؤنس :"**أسنى المتاجر**،ص132.131.

(3) أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني الونشريسي(ت914هـ1508م): **المعيار المعرب والجامع المغرب . عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تخ، جماعة من الفقهاء، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ،1401هـ /1981م،ص119.

(4) المصدر نفسه،،ص120.119.

(5) أنظر: نفسه،ص121.

ومع مرور الزمن جنح الكثير منهم إلى التشبه بجيرانهم المسيحيين، وأدى الاختلاط والتزاوج إلى فقد دينهم ولغتهم، وبالتدريج أصبحوا قشتاليين مسيحيين، ويكتبون شرائع الكاثوليكية[1].

وبعد سقوط مملكة بني الأحمر - غرناطة- أصبح مدجنوا قشتالة يعيشون في أحياء معزولة تحت الحماية الملكية، وأجبروهم على لبس أزياء معينة وحمل علامات خاصة، وبعد أحداث الموريسكيين[*] في غرناطة، أصدر قانون ملكي في12فيفري1502م، يخيرهم بين التنصير الإجباري أو النفي، فتنصروا جميعا[2].

كما أن هناك عناصر أخرى ساهمت في نقل التأثيرات الحضارية ومنها: الزواج المختلط، والحروب وما ينتج عنها من أسرى ورهائن والسبي، بالإضافة إلى التجارة، والمحالفات السياسية والعسكرية، ومعاهدات السلام واللجوء السياسي والمرتزقة[3]

وبفضل هؤلاء انتقلت التأثيرات الحضارية بين الطرفين،وكان الأقوى الطرف الإسلامي، الذي أثر في العديد من الجوانب،وبخاصة في الجانب الاجتماعي والفكري والاقتصادي.

ونبدأ بالجانب الاجتماعي، لأنه يؤثر مباشرة في حياة الإنسان،فيجعله يتقبل الشيء المؤثر، فيتأثر ويؤثر ويقبل على المؤثرات الأخرى ومنها الثقافية والعلمية والاقتصادية.

ثانيا: في الجانب الاجتماعي:

ويتجلى الجانب الاجتماعي في العديد من الظواهر،منها روح التسامح، والقيم الأخلاقية والعادات والتقاليد، وكل شيء له علاقة بالإنسان، كالأكل، والملبس، والطرب والموسيقى، و فن البناء، وزخرفة القصور والعمارة.

ويرجع التأثير إلى طبيعة الشخص المؤثر،وقد حمل العرب الفاتحون ما يمتازون به من أخلاق وقيم، ومنها حسب صاحب رواية فرحة الأنفس :"حسن الهمة في الملبس والمطعم

---

(1) عبد الله عنان:**نهاية الأندلس** ،ع4،ص66.65.

(*) الموريسكيون: أو الموراكة هم المسلمون الذي بقوا في قشتالة وغرناطة ،إثر صدور مرسوم التنصير سنة1502م وكلمة الموراكة تعريب لكلمة (Moriscos) القشتالية التي تعني المسيحيين الجدد أو المسيحيين الصغار. أنظر: عادل سعيد بشتاوي:المرجع السابق،ص6.

(2) أنطونيو دومينقير هورتز وبرناند بنثنت: **تاريخ مسلمي الأندلس - حياة ... ومأساة أقلية**. تر، عبد العال صالح طه، دار الإشراق للطباعة والنشر ،الدوحة،1408هـ/1988م،ص 23.22.

(3) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق،ص411.

والنظافة والطهارة، والحب للهو والغناء ،وتوليد اللحون... والحرص على طلب العلم، وحب الحكمة والفلسفة والعدل والإنصاف..."[1].

مما جعل المؤرخة الأمريكية دوروثي لوثر تقول: إن من حسن حظ الإسبان أن العرب الشرقيين كانوا هم أول من تحكم في ميزان القوى في شبه الجزيرة الإيبيرية، لأنهم يختلفون عن الامازيغ، بما حباهم الله به من ملكة الشعر وحب الجمال وتقدير العلم والتسامح الديني[2]، وتضيف: حتى الامازيغ . مع مر السنين . خضعوا لتلك الحياة الهادئة، وأخذوا ينافسون العرب في بناء القصور ،وجمع الكتب وإحاطة أنفسهم بكل وسائل الترف ومظاهر الجمال[3].

وقد بلغ التسامح إلى أن أصبحت العلاقة وطيدة بين المسجد والكنيسة من خلال الزيارات المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين، بل أكثر من ذلك قلدوا المسلمين في ختان أولادهم، وامتنعوا عن أكل لحم الخنزير [4].

وما زاد في روح التسامح أن تلقب المسلمون بأسماء المسيحيين، ومنهم الأديب أبو جعفر أحمد بن عبد الله المعروف بابن شانجة[5]، وهذا التسامح يرجعه المؤرخ الإسباني غرسية غومس، الى البيت الأموي الذي كان عربيا صرفا- ومن ثم لم يكن اسبانيا- والشيء الذي خفض من عصبيته هي خصومته العنيفة مع العباسيين، مما جعلهم لا يميلون إلى العرب[6]، فاختلط رنين الأجراس بأذان المؤذن[7].

ويضيف المؤرخ الاسباني خوليان ريبيرا، بقوله عن سياسة التسامح – ويسميها بالهادفة التي سار عليها الأمويون في الأندلس- أينعت ثمارها بأن لا يستثنى المسيحيين من تولي

(1) أحمد المقري: **نفح الطيب**،مج3،ص150.نقلا عن ابن غالب.

(2) **إسبانيا . شعبها وأرضها**،ص4746.

(3) المرجع نفسه،ص47.

(4) رجب محمد عبد الحليم:المرجع السابق ،ص431.نقلا عن ابن بسام الشنتريني .

(5) أبو الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني(ت542هـ/1182م): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1417هـ/1997م،ص814.

(6) آنجل جنثالث بالنثيا:**تاريخ الفكر الأندلسي**،ص59

(7) المرجع نفسه.

الوظائف العامة[1]، وكانوا يسمحون لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية[2]، وهنا يقول ديورانت :" كانت الأزياء والأخلاق رائعة، وزاده الشرف والكرم الإسلاميين، فاكتسبا مدح المسيحيين"[3]، فمدحوا سكان غرناطة بأنهم أهل للثقة، إلى حد أن كلمتهم كان يعتمد عليها أكثر من اعتمادهم على عقد مكتوب[4].

كما ضرب لنا النويري الاسكندراني مثلا في المحبة بين المسيحيين والمسلمين في عهد مملكة بني الأحمر ،حيث قال: كان المسلم مجاور للمسيحي بينهم حد الزرع، ولا يعارض الواحد الأخر[5]، ويضيف: حتى قيل لبعض المسلمين المجاورين لأرض المسيحيين: "أما تخشون مكر النصارى وخبثهم؟ فقال: كيف نخشاهم والذي يحبونا يحمينا، ولولا الحباية سقطت الحماية "[6].

ومن العادات والتقاليد نذكر ما خلده الوجود الإسلامي في وجدان الإنسان الإسباني منها بعض التعابير الأخلاقية التي مازالت آثارها باقية إلى اليوم، نقلتها العديد من الكتب والمجلات ومنها قولهم للصديق:" سلمك الله"، وللشحاذ:"ليرزقك الله"،وإذا عزموا على أمر يقولون:" إن شاء الله"، وإذا مدحوا شخصا طيبا يقولون له:" ليباركك الله"[7]، وإذا أعجبهم شيئ رائعٌ يقولون " Ole Ole" أي معناه " الله الله" هذا شيء جميل[8]، ويضيف نفس المؤرخ: كانت معاملتهم للإسبان أرفق وأرحم معاملة لقيها شعب مهزوم على يد فاتحيه[9].

وعن مخلفات وآثار المسلمين في الأندلس قال المؤرخ الاسباني منديث بيدال (Menéndez pidal)، لقد تركت الأمة الأندلسية آثارا واضحة في الحضارة الاسبانية وفي الحياة

(1) **التربية الإسلامية في الأندلس** . أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية. ط2، ترجمة، الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة،1994،ص170.169.

(2) غوستوف لوبون: **حضارة العرب**،ترجمة،عادل زعيتر ،الهيئة العامة للكتاب،القاهرة، د ت، ص276.

(3) **قصة الحضارة . الإصلاح الديني** . ج2،مج6، ص67.

(4) المرجع نفسه،ص68.67.

(5) **كتاب الإلمام**،ج3،ص182.

(6) المصدر نفسه.

(7) سلمى الحفار الكزبري:" **الإسبان المعاصرون.والحضارة العربية في الأندلس**"، الأندلس، كتاب العربي،ص22.

(8) دوروثي لوثر: المرجع السابق، ص50.

(9) المرجع نفسه.

العامة [1]. ومنها كذلك اللباس الذي يعتبر الميزة الأولى في التأثير، وترى زغريد هونكة، بأن نجمه هو زرياب، حيث أصبح مثالا يحتذي به، فعنه تعلم الناس أناقة الملبس وتنويعه مع فصول السنة[2].

ومن أهمها نوع من السراويل التي مازالت اللغة الاسبانية تحتفظ باسمه إلى اليوم باسم (Zarazuetas)[3]،هذا وقد ذكر ابن عذاري السروال في سياق حديثه عن مقتل عبد الرحمن بن شنجول بن المنصور[4]، كما تقلد المسلمون بزي المسحيين في ترك العمائم[5]، ونقلا عن ابن سعيد المغربي يقول المقري:" وأما زيُّ أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم، لاسيما في شرق الأندلس[6]، وحينما يذكر لسان الدين بن الخطيب جند مملكة بني الأحمر يقول:"وزيهم في القديم شبيه بزي جيرانهم وأمثالهم من الروم في إسباغ الدروع وتعليق الترسة وجفاء البيضات[*] واتخاذ عراض الأسنة وبشاعة قرابيس[**] السروج واستركاب حملة الرايات خلفهم..."[7].

أما في مجال الطبخ وفن الذوق والتذوق، فحسب زغريد هونكة يعود ابتكارها إلى زرياب، الذي أدخل معه العديد من صنوف أطايب الطعام، وبعض الخضروات[8]، ومن أهمها(المقانق) الذي يعرف في الأندلس بالمرقاس[9]، وهناك نوع آخر كان مفضلا في جميع

---

(1) عبد الله عنان: **الآثار الأندلسية**، 438.

(2) **شمس العرب تسطع على الغرب**،ص490.

(3) سحر السيد عبد العزيز سالم: "ملابس الرجال في الأندلس في العصر الاسلامي" **مجلة المعهد المصري للدراسات**، عدد خاص،مدريد :من 27الى 29ماي 1993م،ص177.

(4) أنظر:ابن عذاري المراكشي: **تاريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري** . تحقيق: ج.س.كولان وإ. ليفي بروفنسال،ط3، دار الثقافة،بيروت،1983م،ص73.

(5) أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج1،ص222؛ ابن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار**،ج4،ص143.

(6) **نفح الطيب**،مج1،ص222.

(*) البيضات. البيضة: هي ورم عرقوبي في يد الفرس على هيئة البيضة، ويقال فرس يشرب في بياضه، يراد به فرس أبيض الجحفلة، وسائر جسده لون آخر. أنظر:رينهارت دوزي: **تكملة المعاجم العربية**،ج1،ص501.

(**) القربوس. هو القسم الأمامي من السرج، ومعناها باليونانية (كسرييس) أي أساس الرأس. و يضيف :أصبحت هذه الكلمة من لغة البربر، مبررا ذلك بقوله: لأننا نجد عند الإدريسي كلمة تاقربست،اسما لجبل قربوص. أنظر: رينهارت دوزي: **تكملة المعاجم العربية**،ج8،(ف–ق)،ص217216.

(7) **اللمحة البدرية**،ص2827.

(8) **شمس العرب تسطع على الغرب**،ص490.

(9) دايفد وينز: "**فنون الطبخ في الأندلس**" الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص1033.

أرجـاء الأنـدلس اسمه"المجبنـة"و يعرف اليوم في اسبانيا بـا" الموخابنـة" (Almojabana)[1]، كما كان كذلك التأثير الأمازيغي واضحا في وصفة أسمها "الصنهاجي"وهو صنف يحبه أكابر القبيلة[2].

أما فن اللحن ورنين الكلمات فعبر عنه جاك ريسلر بقوله: كان حبُّ الشعر شديدا في الأندلس، وكان الجميع يتذوقون ويحبون رنين الكلمات[3]،لأن السلاطين كانوا يرعون الشعر بنفسهم[4]، لدرجـة أنـه ظـل يتـردد بـلا انقطـاع فـي الـشعر الـشعبي القـشتالي وفـي الأناشـيد المسيحية[5]، والفضل يعود إلى الطائر الأسود (زرياب) [6]، الذي أدخل الموسيقى إلى الأندلس بمعناها العلمـي[7]، لأنـه لم يكن معروفا قبلـه سوى الحداء العربـي البسيط، وترانيم الكنيسة[8]، حيث جعل للغناء تقاليد انفردت بها الأندلس، فكان يبدأ بالنشيد ،ثم البسيط ويختم بالمحركات والأهازيج[9].

وعن طريق المغنين دائمي الترحال، والسبايا من نساء الأندلس، بدأ الغرب اللاتينـي يرث من العرب زخرفـة الألحـان[10]، ويحكـي ابن بـسام الشنتريني نقلا ابـن الكتـاني المتطيب قـال: شـاهدت فـي مجلس العلجـة بنـت شـانجة ملـك البشكنس، عدة قينـات مسلمات، أهداهن إليـه الخليفة سليمان بن الحكم، فأمرت العلجة جارية، فأخذت العود وغنت، فأحسنت وجودت[11].

(1) المرجع نفسه، ص1032.

(2) دايفد وينز: **"فنون الطبخ في الأندلس"** الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص1030

(3) **الحضارة العربية**، تعر، خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت . باريس،1993م،ص170.

(4) المرجع نفسه.

(5) نفسه.

(6) آنجل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**،ص52؛ زغريد هونكة:**شمس العرب تسطع على الغرب**،ص 490 ؛شوقي ضيف " الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية" **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد**، مدريد: عدد، خاص،مج23،من20-22 مارس1985م،ص14.

(7) آنجل جنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**،ص52.

(8) شوقي ضيف:**"الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية"**،ص14.

(9) المرجع نفسه.

(10) زغريد هونكة: المرجع السابق،ص492.

(11) **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، ق3،مج1،ص318.

كما عمل عازفون مسلمون في بلاطات أمراء مسيحيين في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، وحتى رجال الكنيسة كانوا يطربون لسماع الأغاني العربية[1]، مما جعل المجمع الكنسي يحظر استخدام العازفين العرب سنة 721هـ/1322م في مدينة بلد الوليد[2].

وفي القرن الحادي عشر عرفت إسبانيا وأوربا مظهرا من مظاهر الموسيقيين المتجولين وهم يعرضون أغانيهم، رقاصاتهم الشعبية، مرددين فيها ملاحم البطولة وما نقلوه عن عرب الأندلس[3]، كما عرفت أوربا ألوانا جديدة من الغناء الشعبي سمي بالطروبادور[*][4]، وتضيف زغريد هونكة بقولها: عندما يقف اليوم قائد الجوقة الموسيقية . المايسترو. ليعزف سيمفونية، عليه أن يتذكر أن الآلات المرصوفة أمامه أغلبها عربي الأصل[5].

ومازالت الآلات تعرف في الإسبانية بأسمائها العربية، ومنها الدف (Adufe)، والشبابة (Ajapape)، والعود(loud)، والقيثارة (Guitarra)، والنفير (Anafil)، والبندير (Pandera) ، والبوق(Elboque)[6]، وكان الاختراع الأوربي الوحيد في الآلات الموسيقية، هي لوحة المفاتيح لآلة الكمان(الفيول)[7]، وقد بقي ما كتبه ابن سينا والفارابي والكندي، مرجعا للموسيقيين حتى القرن السابع عشر[8].

أما فن العمارة وزخرفة القصور، فيرجع انبثاقه أصلا إلى المسجد الجامع بقرطبة، ففيه تكمن المنابت الأولى للفن الأندلسي التي أخذت في الظهور في عصر الخلافة الأموية، ثم

---

(1) أمين الطيبي:" المسلمون في الأندلس وصقلية" **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**، طرابلس، العدد2،1985م،ص204

(2) أمين الطيبي:" المسلمون في الأندلس وصقلية" **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**،ص204.

(3) محمود أحمد الحنفي: **أثر العرب والمسلمون في النهضة الأوربية** " في الموسيقى " اليونسكو . الهيئة للتأليف والنشر، القاهرة،1970م،ص456.

(*) التروبادور: في لغة البروفانسيين يدل على معنى :(Trobar) وجد وابتكر، فالتروبادور(Troubadour) عندهم اسم فاعل يطلق على الإنسان المبدع الذي فكر فوجد وابتكر، بيمنا يرى أصحاب نظرية الأصل العربي،بأنها كلمة من أصل عربي، بمعنى اهتز وطرب، أو من فعل طرب، بمعنى: تغنى ، في تركيب من صفة وموصوف،وتعني: دور طرب. أنظر: عبد الإله ميسوم: **تأثير الموشحات في التروبادور**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981م ،ص 149فما بعدها.

(4) محمود أحمد الحنفي: **أثر العرب والمسلمون في النهضة الأوربية** "،ص456.

(5) **شمس العرب تسطع على الغرب**،ص492.

(6) أمين الطيبي:" **المسلمون في الأندلس وصقلية**"ص204؛ رجب محمد عبد الحليم :االمرجع السابق، ص435؛ ول وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**،ج5،مج6 ،26، ص218 فما بعدها.

(7) ول وايريل ديورانت: **قصة الحضارة**،ج5،مج6 ،26، ص219.

(8) زيغريد هونكة: المرجع السابق،ص494.493.

ترعرعت في عصر الطوائف، وتفتحت براعمها في عصر المرابطين والموحدين، وأثمرت في عصر بني الأحمر[1].

ويعود الفضل في انبثاقها حسب رأي جاك ريسلر، إلى العرب الذين كانوا يملكون درجة عالية من الذوق المعرفي، والقدرات الاستيعابية، فلم يكن تطورهم الفكري ينتظر سوى الظروف المناسبة لظهوره[2]، ومنهم عبد الرحمن الداخل الذي اهتم اهتماما بالغا بأعمال البناء، فقام بإصلاح الطرق، كما ارتفعت في عهده قصور، ومساجد عدة بمآذنها الرائعة، ففي سنة 169هـ/786م، شرع في بناء مسجد قرطبة الذي وضع تصميمه بنفسه،وكان يشارك العمال في عملهم لمدة ساعة في اليوم[3].

ويعتبر مسجد قرطبة من أفضل روائع العمارة الإسلامية، وأحد النماذج للمسجد المسقوف المرتكز على أعمدة، حيث يمكن تعديلها لتلائم عدد المصليين، فهو مصمم على أسس مشابهة لتلك الأسس أقيم عليها مسجد الرسول(ص) في المدينة المنورة، والمسجد الأقصى في القدس، ومسجد القيروان في تونس، والأزهر في مصر[4].

وباستخدام هذه الطريقة في البناء أمكن إقامة بناء ضخم على أعمدة، مع الاستفادة إلى أقصى حد من المساحة الداخلية، مما أضفى على مسجد قرطبة جمالا أصيلا وطابعا فريدا في فن عمارة الأندلس[5]، كما زادته جمالا الكتابة على الرخام لآيات القرآن الكريم بالخط الكوفي[6]، مما جعل الغرب يتأثر بتزيين السقوف والعمد المستديرة[7]، وتضيف زغريد هونكة مخالفة لأراء المستشرقين الآخرين بقولها: وكما أخذ الإسلام عن الفرس الأقواس المدببة العالية، وأحلها مكانة

(1) السيد عبد العزيز سالم:" العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها " **مجلة عالم الفكر**، الكويت،العدد1،مج8، أفريل– ماي – جوان1977،ص91.

(2) **الحضارة العربية**، ص173.

(3) دوروثي لودر:المرجع السابق ،ص47.

(4) أولغ غرابار(Oleg Grabar):" **نظرتان متضاربتان إلى الفن الإسلامي في شبه الجزيرة الإسبانية**"، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص847.

(5) ج.س.كولان :**الأندلس**،154.

(6) أحمد بن المهدي الغزال: المصدر السابق،ص98.

(7) زغريد هونكة:المرجع السابق،ص481.

مرموقة في فن البناء العربي، كذلك أخذ الغرب عن العرب ذلك، وسموه بالطراز القوطي [1].

ويتفق الرحالة والجغرافيون وعلى رأسهم الإدريسي بروعة وجمال مسجد قرطبة إلى حد وصفه بالتحفة النادرة حيث يقول:" ولهذا المسجد الجامع قبلة يعجز الواصفون عن وصفها، وفيه إتقان يبهر العقول تنميقا"[2]، بينما يذكر محمد الغساني الأندلسي الزيادة في المسجد في عهد المنصور بن أبي عامر 381هـ/991م.بأنهم خدموا فيه الأعلاج والافرنج، لمدة ثلاث سنوات[3]، ربما هذا مما جعل بعض الكتاب المستشرقين ينسب طريقة بناء مسجد قرطبة في استخدام العقود المزدوجة إلى المنشآت الرومانية،كالقناطر المعلقة، وكذلك العمارة القوطية[4].

بينما ينسبها آخر إلى عصر المرابطين حيث يقول: حلت المشكلة بطريقة ذكية في جامع قرطبة وذلك باستخدام العقود المزدوجة المركبة الواحد فوق الآخر، كما ينسب إليهم إدخال الطوب الأحمر،الذي زاد في قوة الارتكاز، ولو أنه أفقد المنظر الرشاقة والجمال[5]

وهنا يقول جيريلين دودز(Jerrilynn Dodds) إن قوة الثقافة أوحت لنا صورة للملك كانت أقوى من آلاف الفتوحات العسكرية،ولعل ذلك ماسعى إليه ملوك قشتالة في إشبيلية ومدن أخرى [6]، ويضيف: بأن الفن تطور في عهد الموحدين، ولكنه في عهد بني الأحمر ازداد تطورا،حيث جنح إلى الزخرفة والتجريد[7]، ويقول أحمد المهدي الغزال عن هذا الفن: وقد شاهدنا ـ أي مدينة غرناطة- من بياض الجبص ولمعانه ما يغلب على الظن أنه من الرخام المحض وهناك أزر من الزليج بالتسطير والقضيب في غاية الرقة.فلو ألزم المهندس في وقتنا

---

(1) زغريد هونكة:المرجع السابق،ص481.

(2) **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس** ص304 فمابعدها.

(3) **رحلة الوزير في افتكاك الأسير**(1690-1691)، تق، نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع،أبوظبي، 2002م،ص50.

(4) ج.س.كولان: **الأندلس**،ص156.155.

(5) ليوبولدو توريس بلباس :"الأبنية الإسبانية الإسلامية" تع،علية إبراهيم العناني، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**،مدريد، العدد 1، 1372هـ/1953م،ص103.

(6) **"تراث المدجنين في فن العمارة"** الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص859 .860.

(7) المرجع نفسه،ص878.

هذا أن يخط مثله بقرطاس لعجز [1].هذا مما جعلهم حسب ما يظهر، يقولون عن المسلمين:" إنهم يفتقدون إلى ديننا ولكننا نحن نفتقد إلى فنونهم"[2].

لأن العمارة المدنية والدينية في الممالك المسيحية كانت تقوم على تراث المسلم الأندلسي، حيث كان الزليج[*] الأندلسي يزين الأبراج المدجنية في بلاد أراغون، وكان العريف المسلم هو الذي يشرف على زخرفة الكنائس والقصور المسيحية في القرون الوسطى[3]، مثل قصر إشبيلية الفخم، الذي أمر بإنشائه بدرو الأول سنة765هـ /1364م، وهو نصف إسلامي،عمل فيه عرفاء: طليطليون، وغرناطيون، وإشبيليون [4]، وهذا خير دليل على أن المسلمين، هم أول من ارتقى بالفنون في أوربا، حيث أنهم جمعوا بين الجمال والإتقان[5].

ويعود تسرب الفن المدجني إلى كل منشآت شبه الجزيرة الأيبيرية، نتيجة بقاء الأعداد الكبيرة من البنائين والمزينين المسلمين،في المناطق التي احتلها المسيحيون[6].

ولكنها دخلت عليها أنماط معمارية أخرى فرضتها أذواق الحكام والنبلاء ورجال الكنيسة في قشتالة[7]، وهذا يعود حسب رأي المؤرخ ازنور(Aznor) إلى بحثهم في بعض الأحيان عن فنانين أوربيين غير المستعربين، وبالتالي يكون مرة عربيا ومرة غربيا[8]، إلا أن قشتالة وأراغون كانتا ميالتين لأساليب الفن العربية لأسباب عدة، منها؛ الجنس، والهجرة، وتأثر الملوك[9]. بينما ترى زغريد هونكة بأن الفن المعماري كله إسلامي، ومن يريد الحكم على هذا، ينبغي له ألا

---

(1) **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد**،ص203.

(2) عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق،ص290.

(*) الزليج. يقول عنه رينهارت دوزي: لفظة مأخوذة من (arulejo) الإسبانية وهي مركبة من (azul) الفارسية لازورد،وهو: لوح من الخزف المطلي.أنظر: **تكملة المعاجم العربية**،ج5،(د.ر.ز) ترجمة، محمد سليم النعيمي، ص346345.

ويضيف.أحمد المقري: يعرف في المشرق بالفسيفساء، وهو ذو ألوان عجيبة يزخرفون به البيوت،بدل الرخام. أنظر:**نفح الطيب**، مج1،ص201.نقلا عن ابن سعيد.

(3) محمد عبد الله عنان:**الآثار الأندلسية**،ص437.

(4) المرجع نفسه.

(5) أنظر: Florian, Op.Cit,p137 .

(6) عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق،ص290

(7) المرجع نفسه.

(8) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق،ص44

(9) المرجع نفسه.

ينظـر إلـى الأحجـار ومـصادرها، بـل يجـب عليـه أن يـدقق ويلاحـظ اقتبـاس الأفكـار وتطورها[1]،وتضيف: حتى في أمور الفكر أوالدين والاقتصاد[2].

وعليه نستنتج بأن العلاقات بين الممالك المسيحية والمسلمين، ليست فقط في المظاهر الخارجية كفن العمارة والموسيقى، بل تعدته إلى أعمق من ذلك، وهي العلوم بأنواعها المختلفة، والتي من أجلها بنيت الجامعات،وترجمت المخطوطات، و قد عرف المسيحيون قدر ومكانة العلم،فتهافتوا عليه بطريقتين التعليم أو الأخذ . كالسرقة . إن صح التعبير . والدليل على ذلك ما قننه محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي،في آداب الحسبة والمحتسب فقال:" يجب أن لا يباع من اليهود،ولا النصارى، كتاب علم، إلا ما كان من شريعتهم؛ فإنهم يترجمون كُتُب العلوم، وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم، وهي من تواليف المسلمين. .."[3]. وهذا ما تؤكده زغريد هونكة حسب ما يظهر بقولها: لدرجة أن عام 689هـ/1291م لم يكن هناك في الأديرة من يستطيع فك الخط، كان هناك الملايين من البنين والبنات، يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون بحبر يميل إلى السواد فوق ألواحهم الخشبية، ويقرؤون مقاطع القرآن حتى يجيدوها، ويجودون ذلك معا، بلحن جميل[4]، بينما الإنجيل لا يجد الناس إليه سبيلا إذا استثنينا الكهنة ورجال الدين، فهم وحدهم يستطيعون قراءته وفهم لغته[5].

هذا ما جعل رجل الدين الفارو القرطبي يأسف على نبذ المسيحيين للغة اللاتينية وتعلمهم العربية[6]، وباللغة العربية انتقلت العديد من العلوم إلى الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية، ومنها إلى أوربا.

(1) زغريد هونكة:المرجع السابق،ص483.

(2) المرجع نفسه.

(3) **ثلاث رسائل أندلسية . في آداب الحسبة والمحتسب** . تحقيق:ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ،القاهرة،1955م،ص57.

(4) زغريد هونكة: المرجع السابق،ص393.

(5) المرجع نفسه.

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور:**حضارة ونظم أوربا . في العصور الوسطى** . دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دت، ص266.نقلا عنDreper

ثالثا. في الجانب العلمي والثقافي:

بدأ التأثير في الجانب العلمي يزداد منذ أن أخذت مملكة قشتالة المسيحية زمام المبادرة واستولت على مدينة طليطلة، التي تعتبر مدينة المسلمين الكبرى، ومنذ ذلك الحين أصبحت مركزا مهما للاتصال بين الثقافتين الإسلامية والمسيحية[1]، وفي تلك المدينة ترجمت أعمال المسلمين العلمية والفلسفية إلى اللغة اللاتينية، وانتشرت في كامل أوربا[2]، وخاصة في النواحي العلمية والأدبية [3] .وترى زغريد هونكة بأن المسلمين هم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع[4].

حيث تسابق الأمويون في قرطبة، وبنو عباد في اشبيلية،وبنو الأحمر في غرناطة في بناء صرح شامخ[5]، بينما اسبانيا المسيحية كانت قابعة في الهمجية[6]،لأنهم رأوا في تلك الحضارة الزاهرة صورة قاتمة سوداء للكفرة من أصحاب محمد(ص)[7]، ولكنهم في الواقع كانوا يخشون نور المعرفة، لان عيونهم اعتادت الظلام، ولكن هذا النور لمس الغرب رغم أنفه[8].

لأن المسلمين نجحوا في القيام بدور الوسيط بين مختلف الشعوب ،وساعدهم على ذلك ما امتازوا به من نشاط ليس له مثيل وتسامح عظيم، لاسيما تجاه اليهود[9].

ولهذا كانت الأندلس في عهد المسلمين كعبة العلم يحج إليها أذكياء الطلاب من فرنسا وايطاليا وغيرها[10]، ويكفي الأندلس فخرا أن مدينة قرطبة، كان أهلها في ذلك العصر يستطيعون المشي في شوارعها بعد غروب الشمس في ضوء المصابيح العامة، في حين ظلت مدينة لندن سبعة قرون بعد ذلك لا يوجد في طرقاتها مصباح عام واحد يضيء ليلا[11].

---

(1) س.ورن هُلستر:**أوربا في العصور الوسطى**، ترجمة، محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988م، ص171.

(2) س.ورن هُلستر:**أوربا في العصور الوسطى**،ص171.

(3) غوستوف لوبون:المرجع السابق،ص586.

(4) زغريد هونكة: المرجع السابق،ص401.

(5) المرجع نفسه،ص475.

(6) ليفي بروفنسال: **حضارة العرب في الأندلس**،ص108.

(7) زغريد هونكة:المرجع السابق،ص475

(8) المرجع نفسه.

(9) سعيد عبد الفتاح عاشور:**حضارة ونظم أوربا**،ص260259.نقلاعن Sedillot

(10) محمد كرد علي:**غرائب الغرب**، ط2، المطبعة الرحمانية، مصر، 1341هـ/1923م،ج2، ص143.

(11) سعيد عبد الفتاح: عاشور:**حضارة ونظم أوربا**، ص266.نقلا عنDreper.

وإذا كان لسان الدين بن الخطيب يقول: قد وجد من قدر الثقافة العربية الإسلامية، ومن هؤلاء الفونسو العاشر ملك قشتالة، الملقب بالحكيم، الذي بني للعلماء المسلمين مدرسة يدرسون فيها العلوم [1] فإن آخر يرد بقوله: خشية أن يتفوق عليه المسلمون، فطور جداول الفلك، وأطلق عليها اسم" الجداول الألفونسية [2]. ومنذ ذلك الحين ،بدأ عصر قبول كل ما هو إسلامي، والنظر إليه باعتباره الحجة النهائية [3].

ومنها العديد من العلوم التي ساهمت في تكوين الفكر الاسباني والبرتغالي،حتى جعلته يفكر في الانطلاق نحو البحث على ما هو أعمق، والكشف على مناطق نفوذ، ومن أهم العلوم التي أثرت في النواحي الفكرية والأدبية والفنية:الأدب و الفلسفة، والجغرافيا والتاريخ، والفلك والرياضيات، والطبيعية، والكيمياء والطب.

ونبدأ بالأدب لأنه الميزة الأولى التي امتاز بها العرب عن غيرهم من الشعوب الأخرى، ونقلا عن المقري يقول ابن سعيد المغربي عن الأدب:" وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ، ومستطرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم فهو غفل مستثقل"[4]، ويؤكدها احد الكتاب الأمريكيين حين يقول: بان المسلمين في الأندلس تميزوا بذوق رائع في الأدب والشعر، والقصص، والروايات[5].

ويعود هذا الذوق والتنوع ، إلى التنافس بين ملوك الطوائف في رعاية الأدب والعلم، كما يعود إلى كثرة المدارس والمكتبات، ونشاط التجارة، ونشأة الطرق الصوفية، مما أدى إلى التبادل الفكري والتنوع في الحضارة الإسلامية[6].

---

(1) **الإحاطة**، مج3،ص67 ،68 ؛ أحمد المقري:**نفح الطيب**،مج4،ص130

(2) أنظر: Florian ,Op.Cit;p137.

(3) خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**،ص481.

(4) **نفح الطيب**،مج1،ص222.

(5) أنظر:

Charles E. Chapman, **A History of Spain** ,The Macmillan company,New york,1918,p103.

(6) كرستوفر دوسن: **تكوين أوربا**، ترجمة، سعيد عبد الفتاح عاشور و محمد مصطفى زيادة، مؤسسة سجل العرب،القاهرة، 1967م ص197.

ولم يجد المسيحيون –الإسبان– ما يشفي غليلهم فاتجهوا نحو الأدب العربي المعروف بالخصوبة والإبداع[1]، حيث عبر عنها واشنطن إيرفينغ بقوله:" تلك الأناشيد التي ما تزال تشكل فخر الأدب الاسباني وبهجته، إن هي إلا أصداء لقصائد الفروسية والغزل التي كانت في الماضي تبهج بلاط الملوك في الأندلس، وتبعث في قلوبهم المسرة"[2].

ومن الموشح والزجل نشأ العامي الكاستيلي المعروف ب " فيلانثكو"(Villancico) المستعمل كثيرا في التراتيل الدينية ومنها تراتيل عيد الميلاد[3]، كما شاع في جنوب فرنسا في نهاية القرن الحادي عشر، حيث قلد الطاربون بوجه خاص الزجالين[4]، فهذا النوع استعمله البروفنسيون وسموه بالتروبادور[5]، ومن أوائل شعراء التروبادور غيوم التاسع دوق أكتانيا المجاورة للأندلس[6].

غيران تأثير الزجل العربي الأندلسي في أوربا لم يلق إلا القليل من القبول، حسب رأي المستشرق الاسباني مندث بيدال[7]، ويضيف: بل ذهبوا أكثر من ذلك حينما زعموا انه مشتق من الأغاني الكنسية[8]، وهنا يوضح دربار (Draper) بقوله: "فالجدة في أشعار التروبادور، ليست في موضوعات هذه الأشعار، وإنما في طريقة صياغتها"[9].

---

(1) محمد الخطيب: **تاريخ الحضارة العربية**،ط3،دار علاء الدين،دمشق،2010م ،ص303.

(2) **الحمراء** . أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الأندلس وإسبانيا" ترجمة،هاني يحي نصري، مركز الإنماء الحضاري ،حلب،1996م،ص345.

(3) عاطف علبي:**الحضارة العربية الإسلامية . دورها في تكوين الحضارة الأوربية** ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،1430هـ/2009م،ص76.

(4) جاك ريسلر: المرجع السابق،ص170

(5) آنخل خنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**،615.

(6) رامون مندث بيدال:" إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام " تر، لطفي عبد البديع، **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**،العدد 1، مدريد،1372هـ/1953م، ص6؛ أمين الطيبي:" المسلمون في الأندلس وصقلية" **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**، العدد2، طرابلس،1985م،ص199.

(7) رامون مندث بيدال: **إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام**،ص7.

(8) المرجع نفسه.

(9) سعيد عبد الفتاح :**عاشور،حضارة ونظم أوربا**،ص27.ويضيف:" التروبادور،ليست في موضوعات هذه الأشعار،وإنما في طريقة صياغتها"ذلك أن العشق الذي يعبر عنه ذلك الشعر يمتاز بالصقل وقوة الخيال،فضلا عن عفته،حتى أنه وجد مثله الأعلى، في الزوجة الوفية المثالية؛ وهذه أمور كلها لم تعرفها أوربا في العصور الوسطى، التي انتهكت المرأة وأذلتها، كما أحاطت فيها الكنيسة بنطاق من العذرية حال دون التغزل فيها والإشادة بها". أنظر:المرجع نفسه.

وهنا يذكر مندث بيدال ،أن بدرو الرابع ملك أراغون، كان يتخذ في قصره شعراء مسلمين جوالين من شاطبة،وكانت بها مدرسة موسيقية عربية ذائعة الصوت(1).

كما ظهر نوع آخر من الشعر في الأيام الأخيرة لسقوط مملكة بني الأحمر، بعد فقدانهم مدينة الحمة، وقد قيل هذا الشعر على لسان ملك غرناطة،لما ينطوي عليه من حرقة وألم، حيث قال:" ويلي على الحمة(*)"، وكان هذا الشعر الرومانسي يتغنى به أيضا في اللغة الإسبانية(2).

كما أن أول ما ذاع من القصص في الممالك المسيحية، المستقاة من أصول عربية، هو كتاب" تعليم رجال الدين" لبدرو ألفونسو اليهودي الذي دخل في المسيحية سنة 499هـ/1106، وتبناه ملك أراغون ألفونسو الأول(3)، ويضيف خنثالث بالنثيا بان كل الدلائل تدل بأنه كتب كتابه هذا أول مرة باللغة العربية، ثم ترجمه بنفسه إلى اللاتينية(4)، وقد ورد في هذا الكتاب مجموعة قصص تضم ثلاثين أقصوصة، حيث جمع فيها حكما للفلاسفة وأمثالا عربية، وأحاديث خرافية على ألسنة الطير والحيوان(5).

وكان الهدف من هذه القصص حسب" بدرو ألفونسو" ويدعى "خادم المسيح" - وهي من أصل إسلامي - ليعرف المرء كيف يتقي الشر في هذا العالم على خير وجه،وينال التوبة في العالم الآخر، ويقف على ما في العقيدة الكاثوليكية من كمال(6).

بينما عرف القس أنسليمو دي تورميدا، (Anselmo de Turmeda) بعد دراسته للأدب الإسلامي،حقيقة المسيحية فاعتنق الإسلام، وتسمى بعبد الله علي بن علي، وألف كتاب "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب"(7)، أما قبل إسلامه فقد ألف كتابا بالقطلونية " التعاليم الصالحة" وكتاب " رباعيات مملكة ميورقة" وكتاب "النبوات"، وكتاب" مجادلة الحمار"

---

(1) رامون مندث بيدال: **إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام**،ص9.

(*) وصفها أحد الشعراء المسلمين بقوله:" هي أرض حجارتها لؤ لؤ، غبارها ذهب، حقولها جنة" أنظر: Richard& Quétin, Op.Cit,p491.

(2) رامون مندث بيدال: **إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام**،ص21.

(3) آنجل خنثالث بالنثيا:**تاريخ الفكر الأندلسي**،ص579.

(4) المرجع نفسه.

(5) رامون مندث بيدال: **إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام**،ص12.

(6) المرجع نفسه،ص14-13.

(7) آنجل خنثالث بالنثيا:**تاريخ الفكر الأندلسي**،ص587.

سنة819هـ/1417م،حيث نشر بالقطلونية،وبالفرنسية والألمانية[1]، وهذا الكتاب حسب ما رآه خنثالث بالنثيا ما هو إلا ترجمة حرفية لفقرات من مجادلة الحيوان لبني آدم الواردة في"رسائل إخوان الصفا [2].

كما يشار بأن للغة العربية أثرا عميقا في لغات شبه الجزيرة الإيبيرية،ومنها الاسبانية والبرتغالية، فعدد الألفاظ العربية، في اللغتين أضخم من أن يتصورها العقل[3]، وهنا يقول أمريكو كاسترو:" أننا ندين للغة العربية، ليس فقط في المفاهيم الموضوعية، بل في كيفية التصرف داخليا عند التعبير عن وجود واقع موضوعي"[4].

أما الفلسفة فأثرها أعمق من اللغة العربية،لأنها تعتبر . حسب رأي كانتور- دخول كتابات أرسطو إلى المسيحية عن طريق اسبانيا يعتبر إيذانا ببدء الثورة الفكرية[5]، وقد ساعد على ذلك كراهية المسحيين للتعاليم التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وسلم)، بعد أن أدركوا أنهم يستطيعون أن يحققوا مكاسب من خلال الدراسة في قرطبة[6].

وعليه أشرف أسقف طليطلة ريموندو(Raimundo Martin)على ترجمة أعمال الفارابي وابن سينا والغزالي وغيرهم[7]، وهذا ليس إعجابا بالثقافة العربية، بل التماسا للحجج لمقارعة الإسلام وأهله[8]،و يعود اهتمام المسيحيين بالفلسفة، لعلاقتها بالدين من ناحيتين مختلفتين: "الدفاع عن الدين، وتوافق العقل مع الإيمان"[9].

ومن أهم الفلاسفة الذين تركوا الأثر في حرية التفكير في الفكر المسيحي ثلاثة هم : ابن باجة وابن طفيل، وابن رشد؛ وهؤلاء جميعا كان تأثيرهم في غرب أوربا أكثر منه في العالم الإسلامي[10].

---

(1) آنجل خنثالث بالنثيا:**تاريخ الفكر الأندلسي** ، ص588.
(2) المرجع نفسه.
(3) سعيد عبد الفتاح عاشور: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**، ص274.
(4) **إسبانيا في تاريخها**، ص256.
(5) **التاريخ الوسيط . قصة حضارة: البداية والنهاية** . ج1،ص209.
(6) المرجع نفسه.
(7) سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**، المرجع السابق، ص275.
(8) آنخل خنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**،ص541
(9) خوان فيرنيت: **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**،ص260.
(10) سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**،المرجع السابق، ص277.

ويعد ابن رشد أكثر جرأة لأنه أطلق لتفكيره العنان،فضرب مثلا فريدا في حرية التفكير، حتى أعتبره المسيحيون أكبر مثل لحرية التفكير[1]، وقد انقسم هؤلاء إلى مدرستين مختلفتين متضادتين؛ إحداهما مدرسة توما الاكويني[*]، والثانية هي؛ مدرسة المتحررين من قيود الكنسية، والذين أطلقوا على أنفسهم اسم الرشدية[2]، واهتموا هؤلاء بالأطروحات التالية: خلود العلم، وحدانية العقل الفعال، وحدانية العقل المنفعل في القرن الثالث عشر[3].

وإذا كان الهدف من دراسة الفلسفة مجادلة المسلمين حسب رأي خنثالث بالنثيا، فإن دراسة الجغرافيا هو الكشف عن عورات المسلمين من خلال معرفة المنافذ البحرية، حسب ما يظهر.

ويعود اهتمام المسلمين بالجغرافيا إلى اهتمامهم بالرحلات، وقد ساعدهم على ذلك معارفهم الرياضية، فعربوا مؤلفات بطليموس وصححوا كثيرا من أخطائها[4]، ويضيف جاك ريسلر: لم يكن بطليموس الأستاذ الحقيقي للجغرافيا في أوربا، بل كان أستاذها الإدريسي، فخرائطه التي تسلم بكروية الأرض، كانت تتويجا لعلم الخرائط [5]، التي ترجمت إلى اللاتينية، فتعلمت أوربا على يده علم الجغرافية في القرون الوسطى[6].

---

(1) سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**، المرجع السابق، ص277.

(*) توما الأكويني:(Thomas d Aqiun) ولد توما سنة1224م او سنة1225م. هو ابن لاندولف الأكويني،في مدينة روكاسيكا بالقرب من نابولي،وعلى الرغم من معارضة عائلته انضم إلى سلك النظام الدومنيكي في سن الثامنة عشر،ثم سافر إلى باريس حيث تتلمذ على يد القديس"ألبرت الكبير" المتحمس لتدريس مؤلفات أرسطو في أوربا الغربية، وبعد أن أمضى عدة سنوات في الدراسة والكتابة وإلقاء المحاضرات في جامعة باريس، عاد إلى نابولي ليدرس في جامعتها.وبعد ذلك أسس معهدا لاهوتيا ،حيث تتلمذ على يديه الكثير من الطلبة. وتوفي توما بعد أن اشتهر بثقافته الواسعة،وترك مجموعة من المؤلفات في المجال الفلسفي واللاهوتي. أنظر: ميلاد ذكي غالي: **الله في فلسفة القديس توما الأكويني**، منشأة المعارف،الإسكندرية،دت،ص128.

(2) مصطفى الشكعة: المغرب الإسلامي. آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية. دار الكتاب المصري القاهرة. دار الكتاب اللبناني،بيروت،1407هـ/1987م، ص178.

(3) إدوار جونو:المرجع السابق،ص114.

(4) جاك ريسلر:المرجع السابق،182.

(5) المرجع نفسه.

(6) غوستاف لوبون:المرجع السابق،ص470.

وقد استمر الرحالة الأيبيريون . الأوربيون . يعتمدون إلى حد كبير على المصادر الإسلامية في ارتياد ما كان مجهولا لديهم من أرجاء الأرض[1].

ويقال إن فاسكو دي غاما درس الخرائط التي وضعها العرب للبحار وأعجب بها إلى حد كبير[2]، كما أطلع كولمبس على كتب كثيرة في الجغرافيا والرحلات[3].

ويعود اهتمامهم بالكشوفات الجغرافية إلى السبب الديني،وهو نشر المسيحية وقهر المسلمين الأفارقة[4]، ولهذا عمد البابا اسكندر السادس بموجب مرسوم إلى تحديد مناطق مجال لكل من البرتغال ومملكة قشتالة، المملكتين المتنافستين بالتوسع السياسي فيما وراء البحار[5].

أما في الرياضيات فنجد أثر المسلمين واضحا في الحساب والهندسة والجبر والفلك[6] والحق إن العرب حسب رأي فليب حتي أتحفوا الغرب بعدة أراء جديدة ومعلومات واسعة النطاق في الجغرافية الفلكية والرياضيات[7]، ففي إسبانيا . قشتالة. عظم الإقبال على العلوم الفلكية بعد منتصف القرن العاشر ميلادي[8]، حيث طلب ألفونسو العاشر من أبراهام العبري أن يترجم إلى القشتالية عمل ابن الهيثم في علم الفلك[9].

وهنا يقول خوان فيرنيت:" ندين لألفونسو العاشر بإصداره الأمر بوضع الجداول الفلكية[10]، وهي من مؤثرات الفلك الإسلامي[11]، ذلك لأنهم استطاعوا تعيين انحراف سمت الشمس تعينا دقيقا، حيث حددوه بثلاث وعشرين درجة وثلاث وثلاثين دقيقة واثنين وخمسين ثانية، وهو الرقم الذي توصل إليه العلماء المحدثون[12]، على أن أهم مؤلفات الفلكيين العرب

---

(1) محمد محمود الصياد:**"في الجغرافيا"** أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية، ص318.

(2) سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**، ص290.نقلا عن (Taylor)

(3) المرجع نفسه.

(4) رينية كلوزييه: **تطور الفكر الجغرافي**، تع، عبد الرحمن حميدة، دار الفكر ،دمشق،1405هـ/1985م،ص56.

(5) المرجع نفسه.

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور :**حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**،ص279.

(7) **العرب . تاريخ موجز** ،ص190.

(8) المرجع نفسه.

(9) خوان فيرنيت: **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، ص274.

(10) المرجع نفسه، ص274.

(11) فليب حتي: المرجع السابق،ص190.

(12) سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**،ص287.

هو كتاب " الزيج[*] الصابيء" للبتاني الذي كان له أثر الكبير في علم الفلك، الذي أمر الفونسو العاشر ملك قشتالة بترجمته من العربية إلى الإسبانية في القرن الثالث عشر[1]، كما تعلم الأوربيون على المسلمين استعمال الإسطرلاب الذي يوجد منه نماذج مختلفة في متاحف أوربا[2].

ومن أمتع المفردات الرياضية وأفيدها لفظة "الصفر" الذي استعاره المسيحيون من المسلمين، وبذلك سهلوا استعمال الحساب في أمور الحياة اليومية[3]، وأضاف آر (Eyre) أن فكرة الصفر تعتبر من أعظم الهدايا العلمية التي قدمها المسلمون إلى غرب أوربا[4]، كما أدخل البابا سلفستروس الثاني(Silvester II) المعروف ب جربرت الأرقام العربية إلى أوربا عن طريق إسبانيا[5]، بينما يقول جاك ريسلر: كان أول من استعملها سنة598 هـ/1202م إيطالي عائد من إفريقيا الشمالية[6].

ويضيف: ورغم حكمة اليونانيين، وتقنية الرومانيين، لم يتمكنوا من اكتشاف نظام ترقيمي[7]، لأن الأرقام الرومانية حسب ديورانت؛ وقفت حجر عثرة في سبيل التقدم، بل أكثر من ذلك ظهرت الأرقام العربية وكأنها بدعة إسلامية، وقوبلت بعدم الاكتراث وبخاصة في شمال الألب[8].

ولم يقتصر دور المسلمين على علم الحساب، بل امتد إلى بقية العلوم الأخرى،ومنها الجبر الذي مازال يحتفظ باسمه العربي(Algèbre) - ومعناها القدرة على إضافة عبارة واحدة

(*) الزيج: هي كلمة فارسية الأصل ترادف كلمة (Kanôn) اليونانية،وهي تستعمل غالبا كمصطلح عام لتسمية مؤلفات الفلك الكبرى المحتوية على جداول.أنظر: ريجيس مورلو:" مقدمة في علم الفلك" ترجمة،بدوي المبسوط، موسوعة تاريخ العلوم العربية،مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،ج1،ص25.

(1) محمد الخطيب:**تاريخ الحضارة العربية**، ط3، دار علاء الدين،دمشق،2010 م،ص212.

(2) سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**،ص288.

(3) فليب حتي:المرجع السابق،ص191.

(4) سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**،ص281.

(5) زغريد هونكة:المرجع السابق،ص81.

(6) **الحضارة العربية**،ص178.

(7) المرجع نفسه.

(8) **قصة الحضارة . الإصلاح الديني** . ج2،مج6،ص126

إلى طرفي المعادلة[1]،أما في الهندسة، فلم يكتفوا بمعلومات الإغريق، بل جددوا وأضافوا[2]،فهم الذين ادخلوا المماس إلى حساب المثلثات[3].

ويعود اهتمام الغرب بالرياضيات إلى الإمبراطور فيديريكو الثاني الذي كان بلاطه يضم مجموعة من العلماء الذين سبق لهم العمل بإسبانيا[4]، ويضيف خوان فيرنيت: أو أنهم كانوا يقيمون علاقات مع العلماء المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية[5]، وحتى مع علماء يهود[6].

ومن العلماء المهمين الذين ظهروا في مملكة بني الأحمر حسب ما ذكره: خوليو سامسو(Julio Samaso) أبو الحسن علي بن محمد البسطي القلصادي[*] الذي كتب بشكل واسع في الحساب والجبر والفرائض، و قام بعمل تحسينات مثيرة للاهتمام على طريقة التقريبات المتعاقبة للجذور التربيعية غير التامة[7].

وبالرياضيات ازدادت معرفتهم للعلوم الأخرى ومنها الطبيعيات والكيمياء والفيزياء، ومن أشهر علماء المسلمين في علم الطبيعة؛ الحسن بن الهيثم، المعروف عند اللاتين بـ (Alhazeön)، حيث برز بشكل خاص في علم البصريات، وكتب عدة رسائل في أضواء الكواكب، وفي الضوء، والمرايا[8]، وكان لكتاباته أثر كبير على علماء الغرب الناشئين لاسيما

---

(1) جاك ريسلر :المرجع السابق،ص178.
(2) المرجع نفسه.
(3) سعيد عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**،ص284.
(4) خوان فيرنيت: **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**،ص269.
(5) المرجع نفسه.
(6) نفسه.
(*) القلصادي(ت891هـ/1486م) هو علي بن محمد بن علي القرشي البسطي، نسبة لبلدة بسطة، رياضي، نحوي رحل إلى غرناطة لدراسة العلوم الرياضية، ولم يكتف بذلك بل رحل إلى المشرق للاستزادة من مناهل علمائه، ثم عاد إلى غرناطة ليتتلمذ على يديه كثير من طلاب العلم، ولكن الفتن أجبرته على الرحيل إلى باجة، حيث أستقر فيها إلى حين وفاته، وهو أول من وضع رموز علم الجبر بدل الكلمات في كتابه" كشف الأسرار عن علم الحروف والغبار". أنظر: شوقي أبو خليل: **علماء الأندلس إبداعاتهم المتميزة . وأثرها في النهضة الأوربية** دار الفكر،دمشق،1420 هـ/2004م،ص71-72.
(7) "**العلوم الدقيقة في الأندلس**" الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص1317.
(8) غوستاف لوبون: المرجع السابق،ص473.

روجر بيكون[1] أما في مجال في الكيمياء[*] فقد ترجم كتاب "غاية الحكيم" للعالم أحمد بن مسلمة المجريطي (ت398هـ /1007 م) . ابن مدريد . إلى القشتالية في القرن الثالث عشر ميلادي، تحت اسم(Picatrix)، في عهد ألفونسو العاشر[2].

وارتبط علم الكيمياء بتوصل المسلمين إلى صناعة القوة الناجمة عن انفجار البارود وقد أدخل إلى الأندلس في القرن (13م/7هـ)[3]، ومن خلال عبد الرحمن ابن خلدون نستطيع أن نستنتج بأن البارود استعمله بنو مرين في انتزاع سلجماسة من طاعة يغمراسن الزياني[4]، وقد توصل بنو الأحمر في غرناطة إلى صناعة المدفع، في عهد الملك أبي الوليد إسماعيل[5]، وأثناء حصار ألفونسو الحادي عشر،مدينة الجزيرة الخضراء(744هـ1343م) دافع أهلها بالأسلحة النارية، وقد أتيح للجراح الإنكليزي جون آردين أن ينقل هذا الاختراع إلى بلاده[6]، وبهذا الاختراع بدأ المسيحيون يطمحون إلى ما وراء البحار.

أما في مجال الطب، فيقول شارل شابمان(Charles Chapman): المسلمون برزوا في هذا المجال أفضل من الأوربيين[7]، ولهذا ترجمت مؤلفاتهم الطبية في جميع أوربا، ولم يتلف قسم كبير منها كما أصاب كتبهم الأخرى[8]،وظلوا على رأس العلم الطبي في العالم على مدى أكثر من خمسمائة سنة[9].

---

(1) عبد الفتاح: **حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**،ص293؛ خوان فيرنيت: **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**،ص234،235.

(*) الكيمياء: اسم هذه الصناعة الكيمياء وهو عربي واشتقاقه من كمى يكمي، إذا ستر وأخفى ويقال كمى الشهادة يكميها إذا كتمها. والمحققون لهذه الصناعة يسمونها الحكمة على الإطلاق وبعضهم يسميها الصنعة.أنظر، فايز الداية:**معجم المصطلحات العلمية العربية**. للكندي والفرابي والخوارزمي وابن سينا والغزالي، دار الفكر المعاصر، بيروت . دار الفكر، دمشق ، 1410هـ /1990م،ص245.

(2) خوان فيرنيت: **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**،ص235.

(3) المرجع نفسه،ص327.

(4) **العبر**،ج7،ص114. حيث يقول:" ونصب عليها آلات الحصار إلى أن سقط جانب من سورها فاقتحموها منه عنوة في صفر سنة ثلاث وسبعين وستمائة[أوت1274م]....".أنظر:المصدر نفسه.

(5) لسان الدين بن الخطيب: **اللمحة البدرية**،ص72.

(6) خوان فيرنيت:**فضل الأندلس على ثقافة الغرب**،ص243.

(7) أنظر: A History of Spain,Op.Cit,p103

(8) غوستوف لوبون : المرجع السابق،ص488.

(9) جاك ريسلر:**الحضارة العربية**،ص195

هذا ويعود ازدهار وانتشار الطب في الأندلس إلى انتقال علماء المشرق في عهد إمارة محمد بن عبد الرحمن،وقد ساعدهم كتاب ديوسقوريديس على دراسة الطب والنبات[1].

وفي القرن العاشر برز جراح كبير هو أبو القاسم الزهراوي، طبيب عبد الرحمن الثالث، المعروف في اللاتينية باسم(Abulcassis) حيث ظل نجمه يسطع على مدى قرون[2]، مما جعل العالم الفيزيولوجي هالر يقول عنه:" كانت كُتب أبي القاسم المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر "[3]، بينما قال عنه آنخل خنثالث بالنثيا: وقد انتفع به الناس كثيرا في تحضير الأدوية،كما ارتفع اسمه في أعين الناس إلى طبقة أبقراط وجالنيوس بكتابه " الجراحة"[4].

ومن بين العلماء في الصيدلة وعلم النبات ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد، الذي زار المشرق واليونان بحثا عن نباتات طبية، حيث ظل يُعد أعظم عالم نباتي[5].

وحين كان المسيحيون يعتبرون وباء الطاعون من علائم الغضب الإلهي، و قد شبهوه بالدخان القاتل المنصب من السماء، أو السم المنبثق من باطن الأرض، كان الوزير والمؤرخ والطبيب لسان الدين بن الخطيب، ينشر رسالته بطريقة علمية ومنطقية عن العدوى و انتشارها بواسطة الاتصال بالمرضى[6]، وعن المرضى قالت زغريد هونكة:"والحق يقال، إن العاطفة الإنسانية التي كانت رائدة عند العرب . المسلمين . في معالجتهم للمرضى، أيا كان نوع المرض وأيا كان خطره، لهي مشرفة كل التشريف ولم يعرف الأوربيون لها مثيلا..."[7]، ثم تضيف بقولها: في الوقت الذي كان الأوربيون يتصرفون هذا التصرف، كان العرب يخصصون المستشفيات، أو أجنحة المستشفيات لمرض الجذام وغير ذلك[8].

(1) آنخل خنثالث بالنثيا:**تاريخ الفكر الأندلسي**،ص462462.
(2) جاك ريسلر: المرجع السابق،ص207.
(3) غوستاف لوبون:المرجع السابق،ص490.
(4) **تاريخ الفكر الأندلسي**،ص466.
(5) جاك ريسلر:المرجع السابق،ص207؛ آنخل خنثالث بالنثيا: **تاريخ الفكر الأندلسي**،ص479478.
(6) زيغريد هونكة:المرجع السابق،ص275؛ جاك ريسلر: المرجع السابق،ص209.
(7) زيغريد هونكة:المرجع السابق،ص274273.
(8) المرجع نفسه،ص274.

وإذا كانت التأثيرات العلمية،قد تكلم عليها أغلب المستشرقين،فأني أظنها صادقة لسببين أساسيين: يعود إلى بناء الجامعات وانتشارها في أوربا، ولا يمكن بحال من الأحوال؛ إخفاء النظريات العلمية. كما يعود إلى الصراع الثقافي بين الدول الأوربية.

أما في الجانب الاقتصادي فلم يدرس إلا من خلال بعض المقالات والشواهد الجغرافية، وخاصة من مستشرقي إسبانيا لإثبات الذات والتاريخ. ولكي نثبت ذلك نتناول هذا الموضوع في الجانب الاقتصادي،وخاصة في الزراعة والصناعة.

رابعا . في الجانب الاقتصادي:

يقول غوستوف لوبون: لم يكد العرب ينتهون من فتح شبه الجزيرة الإيبيرية حتى بدأوا يقومون برسالة تعمير وإحياء الأرض، وتوطيد وثيق الصلات التجارية بالأمم الأخرى، وخاصة بعد أن انفصلت عن المشرق[1].

وهنا تقول دوروثي لوثر: كان عبد الرحمن حاكما ذكيا،حين أهتم بالزراعة، فادخل أشجار الموز،وقصب السكر، والقطن ونخيل التمر، وكان يعتبر فلاحة البساتين من الفنون الجميلة[2]، كما أدخل كثيرا من الصناعات وشجعها، كصناعات الحرير، والورق، وصناعة الجلود[3].

وتعتبر الزراعة وفلاحة الأرض، أهم ركيزة أساسية، مساعدة على الاكتفاء الذاتي، وبالتالي البحث عن التنوع الصناعي، وقد عبر عن هذه النظرية المنصور بالله العباسي أو مثله حسب ما أورده لسان الدين بن الخطيب عندما قال، عن عبد الرحمن الداخل:" ماذا يقال في رجل يركب من إنتاجه ويلبس من ديباجه، وينفق من خراجه" قُلت: ولو شاء لزاد: ويأكل من علاجه، ويتقرب إلى الله بجهاد أعلاجه"[4]، ونبدأ بعلاج الأرض الزراعة. التي يقول عنها عالم الفلاحة الطنغري " والزراعة والغراسة التي بها قوام الحياة وقوت النفوس"[5].

---

(1) **حضارة العرب**، ص273.

(2) **إسبانيا . شعبها وأرضها** . ص47.

(3) المرجع نفسه.

(4) **تاريخ إسبانيا الإسلامية**، ص5.

(5) اكسبيراثيون غارثيا سانشيز:" **الزراعة في اسبانيا المسلمة**"،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص 1367.

أ . الزراعة:

يعود اهتمام حكام الأندلس بالزراعة وخاصة في عهد الإمارة، إلى البحث عن الاكتفاء الذاتي، فاستصلحوا الأراضي، وأدخلوا نظم الفلاحة وأساليب الري الشامية،وذلك لمواجهة الأعداء المسيحيين، والتصدي لأطماع العباسيين والفاطميين[1]. ونستشهد على ذلك بقول المؤرخ الإسباني إكسبيراثيون غارثيا سانشيز الذي كتب يقول:حينما كان الفقر يخيم على المنطقة المسيحية، كان بوسع أهل الأندلس تناول البقول والخضر الطرية على مدار فصول السنة، الأمر الذي أغنى نظام التغذية للسكان بدرجة كبيرة[2]، حيث أصبحت –إسبانيا– بفضل أساليب المسلمين الزراعية الفنية جنة واسعة بعد أن كانت صحراء قاحلة[3].

ويعود ذلك إلى براعة المسلمين في هندسة المياه التي أخذوها عن الرومان حسب رأي، مارغريتا لوبيز غوميز[4]، بينما يقول إكسبيراثيون غارثيا سانشيز: كان سكان الإسبان المسلمين مهرة في تصريف مياه الأنهار،وتوزيعها بواسطة الأسداد والقنوات والسقايات، والناعورات،سواء تلك التي عرضها الغرب قبلهم، أو التي أخذوها من المشرق.

ويشهد على ذلك توماس غليك بقوله: لذا فإن السكان المسلمين الذين استوطنوا تلك المناطق –الممالك المسيحية– سواء أكانوا عربا أم بربرا، استخدموا القنوات، حيث مازالت مصطلحاتها منتشرة إلى اليوم[5]، ومن بين القنوات التي مازالت تحمل أسماء عربية،قناة (Mislata) (منزل عطاء)، وفافارا(Favara)(هوارة –وهي قبيلة من قبائل البربر–، وراسكانيا (Rascanya) وتعني بالعربية رأس القناة[6]، كما أدخل المسلمون طريقة توزيع المياه بالأدوار في منطقة بني البوفار، يتوافق بشكل عام ما هو موجود في جنوب شبه الجزيرة العربية[7].

---

(1) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق،ص466؛ أمين توفيق الطيبي: **"كتب الفلاحة الأندلسية"** مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد6،طرابلس،1989م، ص354.

(2) **" الزراعة في إسبانيا المسلمة"** الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ص1377.

(3) غوستوف لوبون: المرجع السابق، ص274.

(4) **"إسهامات حضارية للعالم الإسلامي في أوربا عبر الأندلس"** الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،ج 2،ص1479.

(5) **" التكنولوجيا الهيدرولوجية في الأندلس"** الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2، ص1346.1347.

(6) المرجع نفسه،ص1352. 1353.

(7) اكسبيراثيون غارنثيا سانشيز: **" الزراعة في إسبانيا المسلمة"**،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2، ص1356.

ومن أهم المحاصيل الزراعية التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس الأرز، وقصب السكر، والقطن والحمضيات[1]، ويعتقد بأن المسلمين أدخلوا إلى الأندلس وصقلية زراعة القمح المعروف دقيقه بكلمة درمك، حيث انتقلت هذه الكلمة إلى القشتالية باسم (Adirguma) [2]، وعندما يذكر لسان الدين بن الخطيب غرناطة يقول عنها:" وهي بحر من بحار الحنطة، ومعدن من معادن الحبوب المفضلة، والحرير والسكر..."[3].

كما أدخل المسلمون إلى الأندلس الذرة. لعلهم جلبوها من السودان. وكذلك نوعا جديدا من العلف هو البرسيم. وهو من أصل فارسي. ومازال يعرف في إسبانيا بـ(Alfatfa)[4].

ويذكر عبد الله عنان بأن المدجنين كان الفضل لهم في إدخال قصب السكر، والقطن والأرز، والحرير والتين والبرتقال واللوز إلى مملكة قشتالة وأراغون[5]، وهذا ما يؤكده الرحالة ابن سعيد المغربي، ويتفق معه ابن فضل الله العمري بقولهما:" و بمالقة شجر التين واللوز، ومن كثرته ونوعيته يصدر إلى جميع المناطق المجاورة"[6]، والدليل ما يذكره ليفي بروفنسال حين يقول أن معظم أسماء الفاكهة والأزهار تشهد على استعارة أسمائها من العربية، والفارسية مثل: المشمش(البرقوق) (abricot)، والزعرور (azerole)، والياسمين(jasmin)، والقطن(coton) والزعفران (zaǒ'fran)، ومازال الزيتون يدعى في الإسبانية aceitun، والزيت aceite[7].

كما نقلوا واهتموا بالتقنيات الزراعية، حيث ظهرت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ميلادي، أكبر وأهم نواة للرسائل الزراعية، مثل: رسائل ابن وافد وابن بصال، وأبي الخير،

---

(1) أمين توفيق الطيبي: "كتب الفلاحة الأندلسية" ص355.

(2) المرجع نفسه،

(3) اللمحة البدرية،ص13.

(4) أمين توفيق الطيبي: "كتب الفلاحة الأندلسية" ص355.

(5) نهاية الأندلس،ع4،ص63.

(6) المغرب في حلى المغرب،ج1،ص423؛ مسالك الأبصار،ج4، ص155.154.

(7) حضارة العرب في الأندلس،91.

وابن الحجاج، وابن العوام(*)، والطنغري[1]، وهذا الأخير عرفنا على فحص غرناطي زُرعت فيه شتى أنواع الحبوب بأساليب وتقنيات زراعية،يقول عنها، اكسبيراثيون غارثيا سانشيز: تذكرنا بتلك المستخدمة في الوقت الحاضر ولاسيما في حالة قصب السكر، وأنواع الحمضيات[2].

ويعتبر ابن وافد(398-466هـ/1008-1074م) النواة الأولى لأصحاب كتب الفلاحة الأندلسية، حيث حظي كتابه (المجموع في الفلاحة) بشهرة كبيرة، والدليل على ذلك، ترجمته إلى القشتالية والقطلونية[3].

أما ابنُ بصال الذي تخصص في علم الفلاحة، فقد جمع معلوماته النباتية أثناء زيارته لمصر وصقلية وخراسان[4]، فرسالته المترجمة إلى القشتالية، حسب رأي اكسبيراثيون غارنثيا سانشيز، تتميز عن سواها من المؤلفات الأندلسية، لعاملين أساسيين أولهما؛ أن مؤلفها يعتمد على تجاربه الخاصة، وثانيتها؛ أنه لا يدرج مسائل غريبة في الممارسة الزراعية[5].بينما ظلت رسالة ابن العوام لوقت طويل المرجع الوحيد في الزراعة الإسبانية[6]،الذي اعتمد على ما جاء في كتب القدامى، وتجاربه في إقليم الشرف(Aljarfe) القريب من اشبيلية[7]، حيث يعتبر أهم ما

(*) ابن العوام(ت580هـ/1184م) هو يحي بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي، عالم النبات والفلاحة، مهندس في توزيع المياه، بحث في الكيمياء والطب والطبيعة.أول من ابتكر طريقة الرّي بالتنقيط ، واستخدم الفخار في قنوات الرّيّ، وتوزيع المياه على الأراضي، واعتمد الطريقة التجريبية في أبحاثه، متخذا حقلا في جبل الأشرف قرب إشبيلية، كي يطبق أفكاره ونظرياته في الزراعة والفلاحة عمليا،وبخاصة عمليات التطعيم. وإسبانيا اليوم تطعم الصنوبر بالصنوبر الحلبي، كما كان يفعل ابن العوام تماما. ومن أثاره (كتاب الفلاحة) الذي ترجم إلى الفرنسية الإسبانية، و(غراسة الكروم)، و(عيون الحقائق وإيضاح الطرائق).أنظر:شوقي أبو خليل:المرجع السابق،ص50.

(1) اكسبيراثيون غارنثيا سانشيز: **" الزراعة في إسبانيا المسلمة"**،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ،ج2 ص1371 .

(2) **" الزراعة في إسبانيا المسلمة"** الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص1376.

(3) اكسبيراثيون غارنثيا سانشيز: **" الزراعة في إسبانيا المسلمة"**،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2 ص1372-1373؛ أمين توفيق الطيبي :"كتب الفلاحة الأندلسية" ص358.

(4) المرجع نفسه.

(5) **الزراعة في إسبانيا المسلمة"**،الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص1372.

(6) المرجع نفسه،ص1374.

(7) أمين توفيق الطيبي: **"كتب الفلاحة الأندلسية"** ص359.

صنفه المسلمون في هذا الموضوع حسب رأي فليب حتي[1]، وهذا يعود حسب ما يبدوا إلى دور الشريعة الإسلامية[2].

ومن أجل الحنطة استعمل المسلمون الطواحين المائية،وحسب توماس غليك؛ فان سجل مرسية يظهر أن الأندلس كانت تحتوى على أكثر من مئة طاحونة، خمسة وثلاثين منها في المدينة نفسها[3]، بينما الإدريسي شاهدها عيانا فكتب يقول:" والماء يشق ربضها، وهي على ضفة النهر المعروف، ويجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب، ولها أرحاء طاحنة في المراكب، مثل طواحن سرقسطة، التي هي تركب في مراكب تنتقل من موضع إلى موضع..."[4].

هذا ويذكر صاحبا كتاب: تاريخ مسلمي الأندلس " حياة... ومأساة أقلية، أن بعد طرد الموريسكيون من مدينة مرسية أعلن أحد النواب (1026هـ/1617م) في البرلمان بقوله:" لقد كان لجلاء 970 أسرة الأثر السيئ في إنتاج الحرير"[5]. كما كتب البطريرك ريبيرا إلى الملك خطابا يبرر فيه طرد الموريسكيين فقال: وأؤكد لجلالتكم إنني عندما أفكر في هذا، فإنه يأتيني رغبة شديدة في أن يقبض الرب روحي قبل أرى تلك المصائب التي لن يستطيع أحد علاجها، والرب يعلم أنني لا أهتم كثيرا بالفقر، بل إنني أفضل أن احتجاج إلى الخبز الجاف من أن أرى

---

(1) **العرب . تاريخ موجز.** ص192.

(2) ابن عبدون الأشبيلي: **ثلاث رسائل أندلسية . في آداب الحسبة والمحتسب**،ص5. حيث قال في آداب الحسبة والمحتسب في باب الحرث:ويأمر الرئيس بالحرث، وبالمحافظة عليه، وبالرفق لأهله، والحماية لهم في أعمالهم، ويأمر وزراءه وأهل القدرة من أهل بلدة الحرث، فيكون له ولهم أنفع، ولأحوالها ارفع، وللناس أمتع وأشبع؛ ولبلاده أطيب وأرخى، ولحماية أنمى وأزكى، فالفلاحة هي العمران، ومنبأ العيش كله، والصلاح جله، وفي الحنطة تُذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجال، وببطالتها تفسد الأحوال، ويخل النظام" . انظر: المصدر نفسه،ص5.

(3) " **التكنولوجيا الهيدرولوجية في الأندلس**" الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج2،ص1360..

(4) **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**،ص285.

(5) أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنثنت:المرجع السابق ،ص257.

وجوه أولئك الهراطقة (*) الذين يعدون من أبناء دائرتي الكنيسة(1).

كما ساعدت الزراعة والعلوم الأخرى على إيجاد فكر صناعي ،يعتبر الأهم لأنه برهن على مدى جدية هؤلاء المسلمون في مجال الإبداع، ويكفي فخرا أنهم عرفوا فكرة استخدام قوة سقوط الماء، الذي ساعد على إدارة الأرحية والطواحين، وهي فكرة علمية تستخدم الآن لإدارة التوربينات لتوليد الكهرباء(2)، حيث يذكر الإدريسي واحدة منها(*) في مدينة المنكب بالمرية(3).

(*) الهراطقة: يقصد بهم المسلمون ، لعدم اعترافهم بعقيدة التثليث، ويسمون كذلك بأعداء المسيح.هذا وقد ذكر لنا المؤرخ المغربي محمد زروق:فتوى أخرى من عالم جزائري آخر يسمى: أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني، حيث يقول . أي الكاتب . وجهت هذه من مفتي وهران إلى مسلمي غرناطة، الذين أجبروا على اعتناق المسيحية،وهنا نلاحظ أن الكاتب ينتقد العالمين الونشريسي ، والمغراوي فيقول:" وهناك من يرى أنه ليس أي تعارض بين فتوى الونشريسي التي تبيح للمستضعفين أن يبقوا في إسبانيا وفتوى المغراوي التي أتت لتعطي حلولا لهذا البقاء.ويضيف: إننا لا نتفق مع هذا الرأي،فالذين ظلوا في الأندلس ليسوا . حسب رأيه . مستضعفين،بل ربما العكس هو الصحيح. أنظر:**الأندلسيون وهجراتهم الى المغرب خلال القرنين 17.16**،ط3، إفريقيا الشرق الرباط ،1998م،ص 151.150. هذا حسب رأيه، أما حسب ظني فإنني أراه متناقضا لأن فتوى الونشريسي، تحث على الهجرة من دار الكفر، أما فتوى المغراوي،فإنها تحث على الصبر لأنه يعرف معاناتهم.وقد نقل لنا العديد من المستشرقين هذه المعاناة ومنهم. هنري تشارلس لي، الذي يقول:"... عاد خيمينث . رجل كنيسة – من إشبيلية منتصرا ومزودا بالسلطات التامة.فعرض على العرب والمسلمين أن يختاروا بين التعميد أو العقاب وإذا رفضوا التعميد. وأُتي في الوقت نفسه إلى غرناطة بقاض ملكي، فحكم هذا على من كانوا أشد نشاطا في أعمال الشغب الأخيرة بالإعدام للبعض وبالسجن للبعض الآخر، بل من ذلك صدر قرار يؤكد أن على كل إسباني يحمي،أو يعين أو يحتفظ ولو بموريسكي واحد بعد31من اكتوبر1526م، أن يدفع غرامة قدرها خمسة الآف دوكادوس.كما أنه يعرض نفسه للتهلكة أو الموت المؤكد"..انظر: **العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة**،ترجمة،حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة،بيروت والنشر ،1409هـ/1988م،ص51فما بعدها. وكذلك محمد عبده حتاملة: **الأندلس . التاريخ والحضارة والمحنة** . عمان الأردن:1420هـ/2000م،ص754فما بعدها.ونترك قريحة الشاعر أبي الطيب الرندي لتجيب:

أعندكم نبأٌ من أهل أندلسٍ فقد سرى بحديث القوم رُكْبان

كم يستغيث بنو المستضعفين وهم أسرَى وقتلى فما يهتز إنسان

ماذا التقاطع في الإسلام بَيْنكُمُ وانتمُ يا عباد الله إخـــوان..انظر: احمد المقري:أزهار رياض،ج1،ص49

1) أنطونيو دومينقير هورتز وبرنارد بنثنت: المرجع السابق ، ص263.

(2) رجب محمد عبد الحليم: المرجع السابق، ص468.

(*) الفكرة. حيث يذكر الإدريسي هذه الفكرة في مدينة المنكب بالمرية فيقول:" وفي وسطها بناء مربع قائم كالصنم، أسفله واسع وأعلاه ضيق، وبه حفيران من جانبيه متصلان من أسفله إلى أعلاه: وبإزائه من الناحية الواحدة في الأرض حوض كبير يأتي إليه الماء من نحو ميل على ظهر قناطر كثيرة معقودة من الحجر الصلد،فيصب ماؤها في ذلك الحوض ... ويذكر أهل المعرفة من أهل المنكب أن ذلك الماء كان يصعد إلى أعلى المنار وينزل من الناحية الأخرى،فيجري هناك إلى رحى صغيرة كانت وبقي موضعها الآن على جبل مطل على البحر".أنظر: **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**،ص291.

(3) أنظر: **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس**،ص291.

وقد ساعدت هذه الطواحين على أن يقدم المسلمون أكبر هدية بعد الصفر إلى المسيحيين وهي صناعة الورق.

ب . الصناعة:

يقول صاحب كتاب إسبانيا شعبها وأرضها: كان عبد الرحمن حاكما ذكيا، حين أدخل كثيرا من الصناعات في البلاد وشجعها، كصناعة الحرير، والورق[1]. ويضيف مارغريتا لوبيز غوميز: وكان المنتوجان الأخيران عنصرين ثوريين حقيقيين في ازدهار الاقتصاد الصناعي للمنسوجات والكتب التي بلغ إنتاجها مستويات عالية من الرقي، إلى درجة أن بعض تلك الأنسجة الحريرية الموشاة،والمخطوطات المنمقة بالصور الملونة ما تزال تحفظ حتى الآن في متاحفنا، كما تحفظ الجواهر والأحجار الكريمة[2]، ومع ذلك كان لابد من انقضاء ثلاثة قرون حتى ينتقل الورق إلى أوربا حسب جاك ريسلر [3].

بينما كان قبل ذلك المعز بن باديس التميمي الصنهاجي[*] في القرن الخامس هجري–الحادي عشر ميلادي يؤلف كتابا بعنوان:" عُمْدةُ الكُتاب وعُدَّةُ ذوي الألباب" يشرح ويوضح فيه كيفية صنع المداد، والأحبار الملونة، والأصباغ، والكتابة بالذهب والفضة والقصدير، وما يمحو الكتابة، والغراء، و صناعة الكاغد (الورق)، وتجليد الكتب[4]. كانت أوربا على ما أظن آنذاك لا تعرف إلا صنع اللون الأسود.

---

(1) دوروثي لودر: المرجع السابق ،ص47.

(2) **"إسهامات حضارية للعالم الإسلامي"** الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس،ج2،ص1480.1479.

(3) **الحضارة العربية**،ص126.

(*) هو المعز بن باديس بن المنصور بن بُلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي: لما توفي باديس خلفه ابنه المعز على عرش الإمارة، حيث كان من الحكام الأدباء، ومربيا فاضلا ، كرم الشعراء والعلماء، مما كان السبب في بروز شخصيات أدبية مثل: ابن رشيق المسيلي: الذي رثاه فقال:

مضى فقيدا، وأبقى في خزائنه هام الملوك، وما أدراك ما ملكوا

ما كان إلا حساما سلهُ قـــــدر على الذين بغوا في الأرض وانهمكوا. أنظر:.عبد الرحمن ابن خلدون : **العبر**،ج6،ص210-2011 ؛ مقدمة صاحب الكتاب، المعز بن باديس التميمي الصنهاجي: **عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب**، تحقيق، نجيب مايل الهروي و تعريب ،عصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية،إيران مشهد،1409هـ،ص13 .18؛ مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،تقديم، محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ،ج2 ص234231.

(4) المعز بن باديس: المصدر السابق،ص5 فما بعدها.

هذا وعندما يذكر الإدريسي مدينة شاطبة يقول:"ويعمل بها الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض، ويعم المشارق والمغارب..."[1]، وبقيت هذه الصناعة بعد سقوط مملكة بني الأحمر في مدينة غرناطة يصنع بطرق تقليدية،حيث ذكر أحمد بن محمد الغزال، وادي شنل فقال:" وبالقرب منه ديار يعمل فيها الكاغد لافتقار صانعه لنواعير تدور بحركات الماء"[2].

ولم تصل صناعة الورق إلى الغرب قبل القرن الثالث عشر، حينما أقيمت مصانع للورق في إيطاليا، وجنوب فرنسا[3]، وإذا كان نقل صناعة الورق إلى إيطاليا يعود إلى المسلمين الموجودين فيها هناك على الأرجح سنة1270هـ/668م، فإن انتقالها إلى فرنسا يعود إلى مسلمي إسبانيا، لا إلى الصليبين العائدين كما أدعى بعضهم[4]، و من خلال الورق انتقلت الكلمة العربية (رزمة) – أي حزمة من الورق– إلى كافة اللغات الأوربية[5].

أما الحرير فيعتبر من المبتكرات التي أدخلت إلى الأندلس حيث انتشرت تربية دودة القز وأشجار التوت في كافة أرجاء البحر الأبيض المتوسط[6]، وعن الحرير يقول لسان الدين بن الخطيب: " وكفى بالحرير الذي فضلت به فخرا وقيتة، وغلة شريفة، وفائدة عظيمة، تمتاره منها البلاد، وتجلبه الرفاق، وفضيلة لا يشاركها إلا البلاد العراقية"[7].

وهذا ما أثبته المؤرخ الإسباني: أنطونيو دومينقير هورتز، والفرنسي: برنارد بنثنت، بقولها: " فقد سجل انحطاط نشاط تربية دودة القز، بعد طرد الموريسكيين من غرناطة،لأنها كانت احتكارا لهم"[8]، و قد لاحظه أحمد الغزال أثناء زيارته إلى غرناطة فكتب يقول:" وفي مجرى الوادي جعلوا دارا لدبغ الجلود، هي من عهد الإسلام،ثم بالقرب منها موضع مستقل لصنع الحرير وأهل المدينة جلهم يستعملون نسيج الحرير..."[9].

---

(1) القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس،ص281.
(2) نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد،ص197.
(3) أمين الطيبي:" المسلمون في الأندلس وصقلية"ص193،194.
(4) فليب حتي: المرجع السابق ،ص187.
(5) فليب حتي: المرجع السابق ،ص187
(6) أمين ألطيبي:" المسلمون في الأندلس وصقلية"ص194.
(7) الإحاطة،ج1،ص99.
(8) تاريخ مسلمي الأندلس الموريسيكيين " حياة... ومأساة أقلية"،ص141.
(9) نتيجة الاجتهاد،ص196.

وتعود جذور الصناعة في الأندلس إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي أنشأ دورا للصناعة منها: واحدة في إشبيلية، وأخرى بقرطبة، وثالثة بقرمونة، ورابعة بجزيرة شلطيش[1]، وفي عهد عبد الرحمن الناصر زاد في إنشاء دور الصناعة في كثير من مدن الأندلس مثل المرية، والجزيرة الخضراء، ولقنت، وقص أبي دانس، ودانية، والزهراء، وشنتمرية بالبرتغال[2].

ومنذ ذلك الحين بدأت الصناعة تزدهر في الأندلس، بعدة أشكال،و كل شكل تمثله حضارة من الحضارات، أو إبداع من الإبداعات، لتوحي للآخرين بقوة الملك، وما مسجد قرطبة، وقصر الزهراء، وتحفة الحمراء إلا دليل على ذلك. وما دامت الصناعة تتطور تدريجيا، وتنقل إلى الآخرين تدريجيا، وتبقى مؤثرة في تلك المنطقة التي ورث أصحابها هذه الصناعة، فإني أحاول ذكرها من خلال الرحالة والجغرافيين.

حيث مازالت التحف الأندلسية مبعثرة في مختلف المتاحف الإسبانية،حسب مشاهدات عبد الله عنان: منها مصباح برونزي رائع الصنع أصله من مصابيح مسجد الحمراء، ومعظم صناعات الموريسكيين مثل البسط والأنسجة[3]،بل أكثر من ذلك نقلت إلى أمريكا اللاتينية ومنها البيرو[4].

ومن المدن الأندلسية التي فاقت صناعتها كل الأرجاء مدينة المرية، وذلك لموقعها المطل على البحر الأبيض المتوسط الذي ساعدها على تنقل مصنوعاتها إلى أراغون وقشتالة، وصقلية، والإسكندرية والدليل ما ينقله لنا الرحالة والجغرافيون ومنهم الإدريسي الذي يقول عن المرية: "ومدينة المرية كانت في أيام الملثم مدينة الإسلام، وكان بها من كل الصناعات كل غريب، وذلك انه كان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز يعمل لها الحلل والديباج،

(1) السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية، 1997م،ج1،ص130.

(2) السيد عبد العزيز سالم: **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**،ص**130**.

(3) **نهاية الأندلس**،ع4،ص511.

(4) خايمي كاثيرين إنريكيت: **الحضارة الأندلسية في البيرو**،ص96. حيث يقول:" فنحن سكان ليما، نعيش منذ القديم بشرفات، وصحن الدار، والزليج، والنافورات، ووسائل الزخرفة، وارتداء النساء للحجاب، والتأثير الغني والمتنوع للطبخ، خاصة الحلويات، وأحيانا العادات والتقاليد وملامح الوجه وألقاب العائلات لها أصول عربية، ويتبنى هذا النموذج الثقافي الذي أصبح خاصا بهم،و يسعى سكان ولاية **ليما** اليوم إلى إعادة الاعتبار له..."أنظر: نفسه، ص97،96.

والسقلاطون[*]، والاصبهاني والجرجاني، والستور المكللة، والثياب المعينة، والخمر والعنابي، والمعاجر وصنوف أنواع الحرير..."[1].

ويضيف ابن سعيد المغربي بقوله:" فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالموشي المذهب، الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق إذا رأوا منه شيئا"[2]بينما اختصت مالقة بالفخار العجيب الذي يصدر إلى كل المناطق المجاورة[3].

كما أدخل المسلمون إلى سكان شبه الجزيرة الإيبيرية، صناعة الزجاج وعرفوهم بها، والتي هي ذات أصل فينيقي، وكان أول من صنع البلور في مختبره بقرطبة هو ابن فرناس[4]، مما جعل مدينة قرطبة تشتهر بصناعة الأواني الزجاجية كالأباريق والنمارق[5]،وهنا يقول ابن سعيد المغربي: ويصنع بها-أي غرناطة- وبالمرية، ومالقة الزجاج الغريب وفخار مزجج مذهب[6].

ومن الصناعات الأخرى التي ازدهرت بوجه خاص في قرطبة هي صناعة دبغ الجلود، ومنها انتقلت إلى فرنسا باسمها الأصلي(Cordonnerie)[7]، وبقيت هذه الصناعة في غرناطة إلى عهد الموريسكيين حيث يشهد على ذلك أحمد الغزال فقال:" وفي مجرى الوادي جعلوا دارا لدبغ الجلود"[8]. بينما عندما زارها قبله ابن فضل العمري كتب عن مالقة يقول:" وتختص مالقة بعمل صنائع الجلد؛ كالأغشية، والحزم، والمدورات، وبصنائع الحريز، كالسكين والمقص، والفخار المذهب الذي لا يوجد مثله في بلد"[9].

(*) السقلاطون: نوع من نسيج الحرير المزركش بالذهب. والذي ينسج منه في بغداد ذو شهرة عظيمة. وقد شاعت هذه الكلمة في كل أوربا في القرون الوسطى.فهي بالألمانية (Ciclat) و بالإسبانية (Ciclaton) وبالفرنسية والإنجليزية (Siglaton) ، وبالفلامنكية (Sigltoen). أنظر: رينهرت دوزي:**تكملة المعاجم العربية**،ج6،ص96

(1) **القارة وجزيرة الأندلس**،ص289.

(2) أحمد المقري: **نفح الطيب**،مج1،ص201.

(3) ابن بطوطة:المصر السابق،ج4،ص218.

(4) جاك ريسلر: المرجع السابق،ص188.

(5) السيد عبد العزيز سالم:" قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية" **مجلة المعهد المصري**، مج29،مدريد،1997م،ص21.

(6) أحمد المقري: **نفح الطيب**، مج1،ص201.

(7) جاك ريسلر:المرجع السابق،ص189.

(8) **نتيجة الاجتهاد**،ص199.

(9) **مسالك الأبصار**،ج4،ص145.

ومن أخطر الصناعات التي أخذها المسيحيون عن المسلمين هي صناعة بارود المدفع، سنة 742هـ/1342م بواسطة ضباط إنكليز خدموا في الجيش القشتالي، ومنه جاء مدفع كريي(Crécy)[1].

وخير دليل قول الإسباني مورينو الذي يقول عن حضارة مملكة بني الأحمر: " إنه منذ عهد سان فرناندو إلى عهد هنري الرابع، كان الكثير من عناصر حضارة قشتالة، وهندستها المدنية، وفنونها الزخرفية الدينية، وكل ضروب الأناقة والمتعة في الحياة، كانت كلها قائمة على الاقتباس من الأندلس"[2].

---

(1) جاك ريسلر :المرجع السابق،ص193.

(2) محمد عبد الله عنان: **نهاية الأندلس** ،ع4، ص 513.

الخـــاتمة

بعد هذه الدراسة التي قمت بها أرى أن لبني الأحمر الفضل الكبير في بقاء الوجود الإسلامي في الأندلس، لمدة قرنين ونصف من الزمن، في وجه المد المسيحي– أو ما يسمى بحروب الاسترداد– ولكن هناك من يلوم عليهم دخولهم في الحماية القشتالية، منذ أن بدأت هذه المملكة في الظهور على مسرح الأحداث. ولهذا يعتبر المؤرخون الأجانب أن ملك قشتالة فرناندو الثالث هو المؤسس الحقيقي لمملكة بني الأحمر . لأنه مهد الاعتراف بها . وهذا للسيطرة الكاملة على المناطق الإسلامية،بعد أن ازداد التنافس حدة بينه وبين ملك أراغون خايمي الأول، مما جعله يفضل محالفة بني الأحمر ليعجل بضم كل المدن إلى ملكه.

بينما أرى بان الظروف حتمت عليها بأن تصبح تابعة للمملكة قشتالة، وهذا راجع لتوجسها من مملكة بني مرين، حيث حاولوا في العديد من المرات التملص من هذه الاتفاقية ولكنهم لم يقدروا على ذلك،لأن سياستها كانت مرتبطة بجيرانها المسيحيين وملتقية في مياه البحر الأبيض المتوسط مع كل من أراغون والبرتغال.

وقد عرفت كيف تستفيد من الحزازات الموجودة بين تلك الدول وتلعب على ثلاث ورقات، وتبدل سياستها حسب ما تراه ضروريا إلى ذلك، فكانوا يحالفوا بها أعداء، ويتمردون على الأصدقاء، ويخضعون تارة وينتفضون تارة أخرى.

والورقة التي اعتمدت عليها كثيرا هي مقدرات وإمكانات سكانها الذين وضعوا سواعدهم في خدمة المملكة، مما كان له الأثر الكبير في ازدهار المملكة وتصبح مؤثرة بين جيرانها المسحيين. ولقد برز العديد منهم في جميع المجالات ومنهم سيد بونة الخزاعي الذي بني ربض البيازين واستقل بحكمه وكان يقدم الدعم والإسناد، بالمقاتلين الشجعان. كما تعتبر عائلة رضوان النصري من خيرة العائلات التي ساهمت في بناء وبقاء المملكة بالتحصينات، وبناء المستشفيات والمدارس، وبقيت هذه العائلة تدافع عن المملكة حتى الأيام الأخيرة لسقوطها.

وقد عرفنا أن رجال مملكة بني الأحمر حافظوا على الموروث الاقتصادي والعسكري، في مدينة المرية ومالقة وغرناطة،حيث هيأت نفسها بتقوية الحصون، وتدريب الجيش وبناء السفن الحربية، فكانت تملك قادة مهرة في قيادة الأساطيل ،ومنهم بنو الرنداحي في المرية، وعبد الله بن سلبطور الهاشمي.

وكثيرا ما اضطرت إلى طلب المعونة من الإخوة المغاربة في الكثير من المرات، مما جعلهم يبقون بقوة عسكرية في غرناطة عرفت ب" جنود الغزاة المغاربة".لكن هزيمة طريف غيرت موازين القوى لصالح الممالك المسيحية.

ومنذ ذلك الحين بدأ الضعف يدب في الدولة المرينية، حيث فقدت كل مقومات الجهاد في الأندلس، وهذا راجع لمحاولتهم ضم أجزاء من المغرب الإسلامي تحت سلطتهم، وبهذا كانوا يفتحون العديد من الجبهات، ويخسرون الآلاف من الأرواح والأموال،مما هيأ الفرصة للتدخل المسيحي في شؤون المسلمين، وتهيأت الفرصة للخيانات والمؤامرات والدسائس والأطماع لحد التعاون مع الأعداء.

وكان الأجدر أن تتعاون تلك الدول الثلاث : المرينية، والزيانية، والحفصية، فيما بينها على حسن الجوار، وتقدم الدعم لمملكة بني الأحمر بالأموال والرجال، وهذا للتصدي للمد الصليبي الذي من ورائه الأديرة ،و بابا الفاتيكان، وقد نبه إلى هذا عدد من المؤرخين الذين عاصروا تلك الأحداث، ومن بينهم ابن عاصم وابن الخطيب.

وبرغم من توصل المسلمين في مملكة بني الأحمر عن طريق إخوانهم المرينيين في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، إلى اختراع نوع من الأسلحة النارية قوته مثل قوة المدفع، في تحطيم الحصون والبيوت،لكنهم لم يهتموا بهذا النوع من الصناعة، ولم يزيدوا في تطويره. بينما المسيحيون اهتموا به اهتماما بالغا لحد مناوشة المسلمين لمعرفة خبايا هذا النوع من السلاح، ومنه نقل بواسطة ضباط إنكليز إلى كامل أوربا ، ومنه جاء مدفع(كرويي)، وبواسطة هذا المدفع استطاعت إزابيلا و فرناندو، إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث لم يقدر رجال غرناطة رغم شجاعتهم وبسالتهم على الوقوف أمام القوة الضارية التي كشفت عورتهم ووضعتهم أمام الأمر الواقع، حين كانت تتهدم الأسوار والبيوت فوق رؤوسهم، مما جعل القس المسيحي أنطونيو أغابيدا يقول:" ها قد مرق الصليب أنف الهلال في التراب".

كما يعتبر زواج الملكة القشتالية إيزابيلا بفرناندو الوارث الشرعي لعرش أراغون ضربة قاسية لمملكة بني الأحمر،لأن هذه المرأة كانت تطمح أن يقترن اسمها بإنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية، ولهذا تدخلت لدى البابا لتقديم الدعم وحمل الكنيسة على أن تتنازل عن ثلث حصتها من العشر لخزينة الحرب، ولهذا سميت بالكاثوليكية.

وقد ساعدهم على ذلك الخلاف الدائر في البيت الغرناطي بين زوجة السلطان أبي الحسن، عائشة ـ وتعرف بالحرة ـ وبين محظيته الإسبانية ـ وتعرف بثريا ـ اللتان تنافستا بكل الوسائل من أجل وراثة العرش، ولكن شاء القدر أن يكون ابناهما سببا في سقوط المملكة في أحضان فرناندو وإزابيلا.

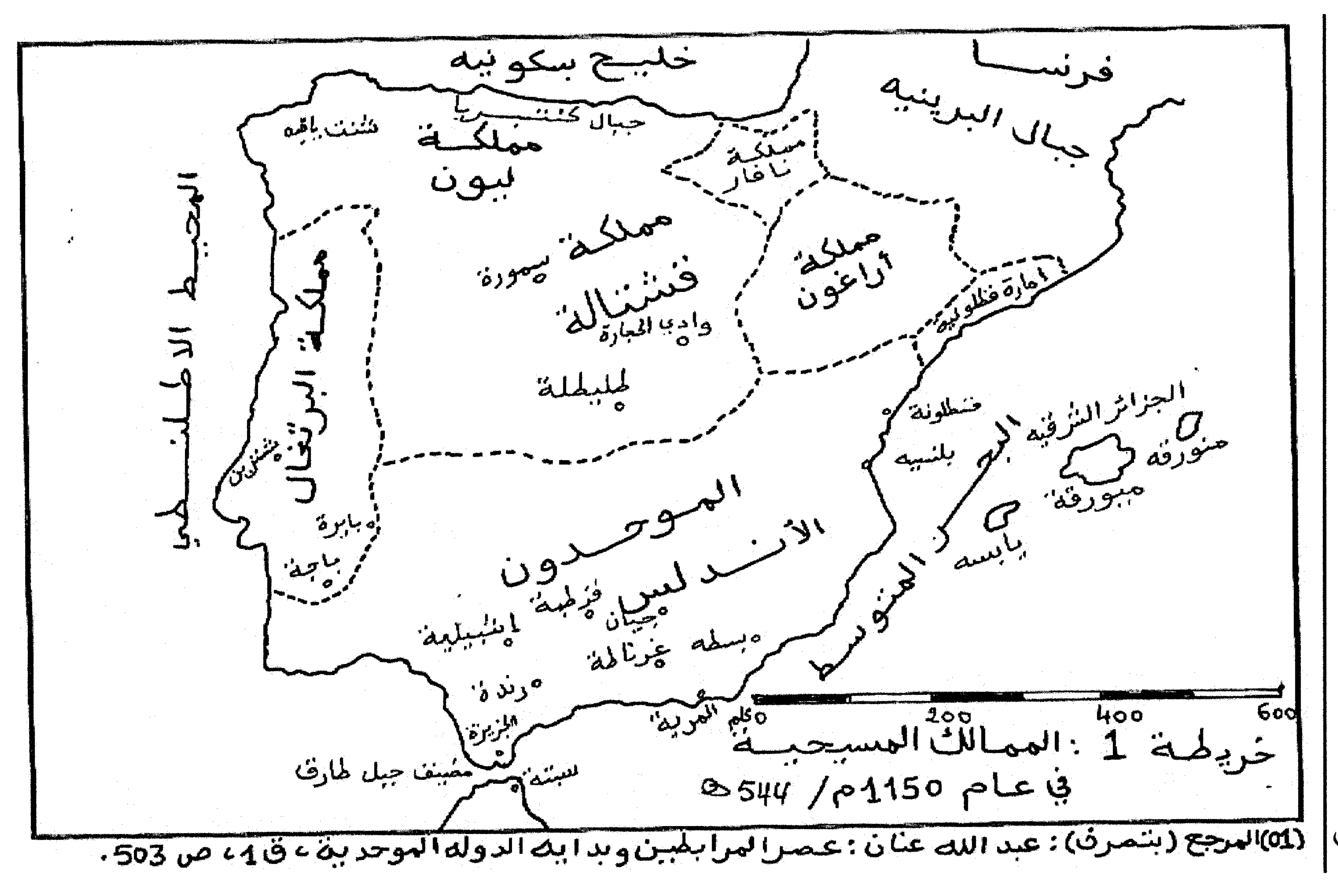
كما أن تسليم غرناطة لم يكن خسارة معركة أو سقوط دولة، بل صفقة مشبوهة قادها بعض أعيان غرناطة،ومنهم: أبي القاسم المليح، ويوسف بن كماشة، والمدعو الفقيه البقيني الذي كان مقربا من السلطان. وبلغت الخيانة بالوزير أبو القاسم المليح أن خاطب مفوض الملكين الكاثوليكيين بقوله:" اقسم بالله أنني لو استطعت أن احمل غرناطة على كتفي لحملتها إلى أصحاب الجلالة، وأرجو أن تكونوا على يقين بأنني خادم شريف ومخلص لهما".

وهنا تتأكد أراء المؤرخين الأجانب بأن سبب انحطاط حضارة العرب في الأندلس، يعود إلى ولائهم للقبيلة والعشيرة . ومازال هذا النظام راسخا في أذهان بعض الأنظمة العربية إلى اليوم . كما يتأكد معها رأي عمر بن عبد العزيز حين شاور أصحابه في إخراج المسلمين منها لانقطاع المدد عليهم، وكان من تداعيات هذا الموقع المنعزل أن وقعت فريسة سهلة في يد الممالك المسيحية في نهاية المطاف وحان لشمسها أن تغيب.

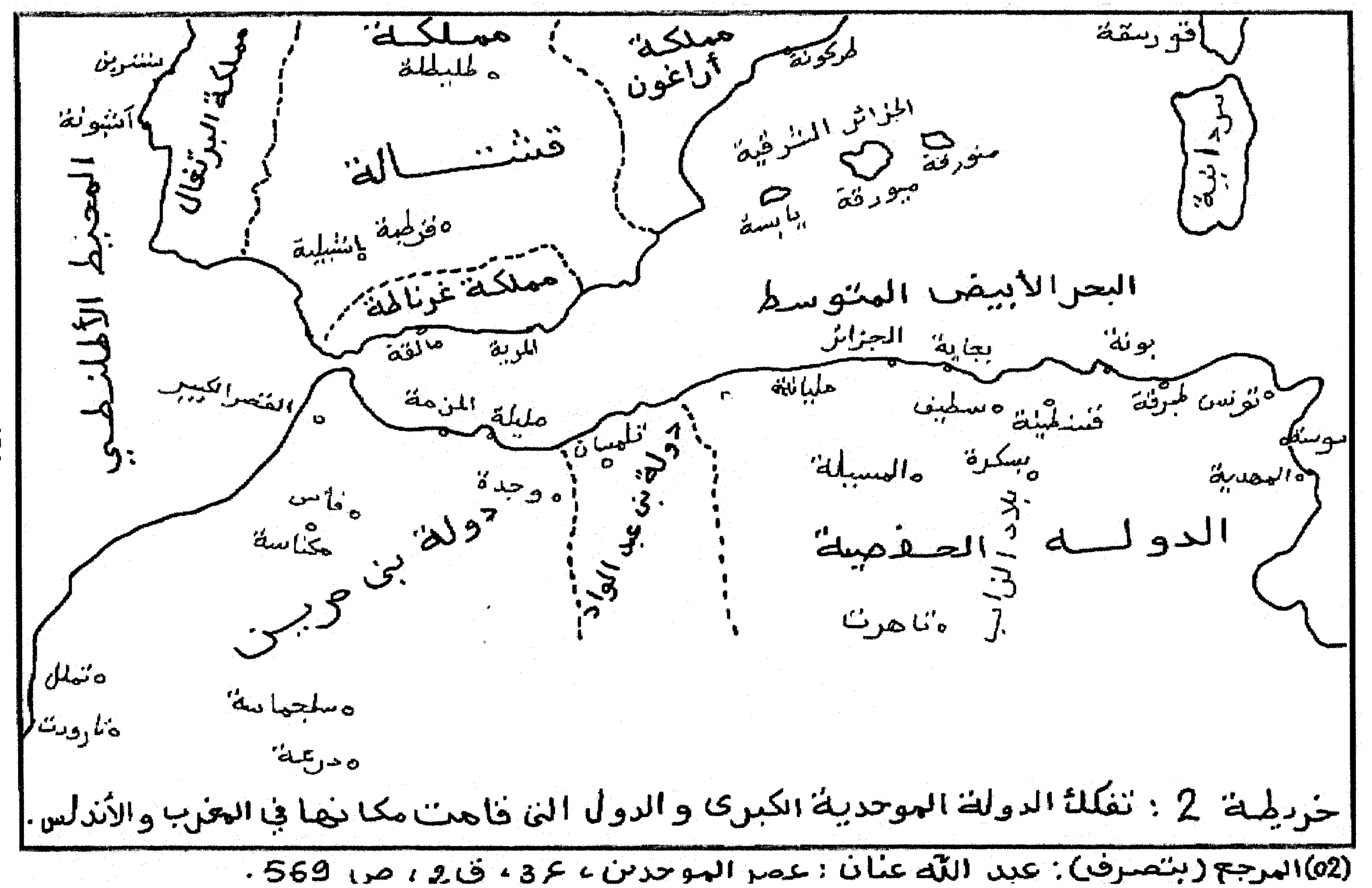
وبعد القيام بهذا الدراسة، تفتحت أمامي أبواب وبقيت أبواب أخرى لم تنل ما يكفي من المعالجة، ولهذا أراها تحتاج إلى دراسات معمقة ومنفصلة. ومنها:

1. دور البابوية في إنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية
2. أثر الفلسفة الإسلامية في التحرر من الكنيسة.
3- الأطماع التوسعية بين الدول الإسلامية وأثرها في سقوطها بين سنة(635-897هـ /1238-1492م).
4. الأندلسيون وهجراتهم إلى الجزائر.

الملاحق

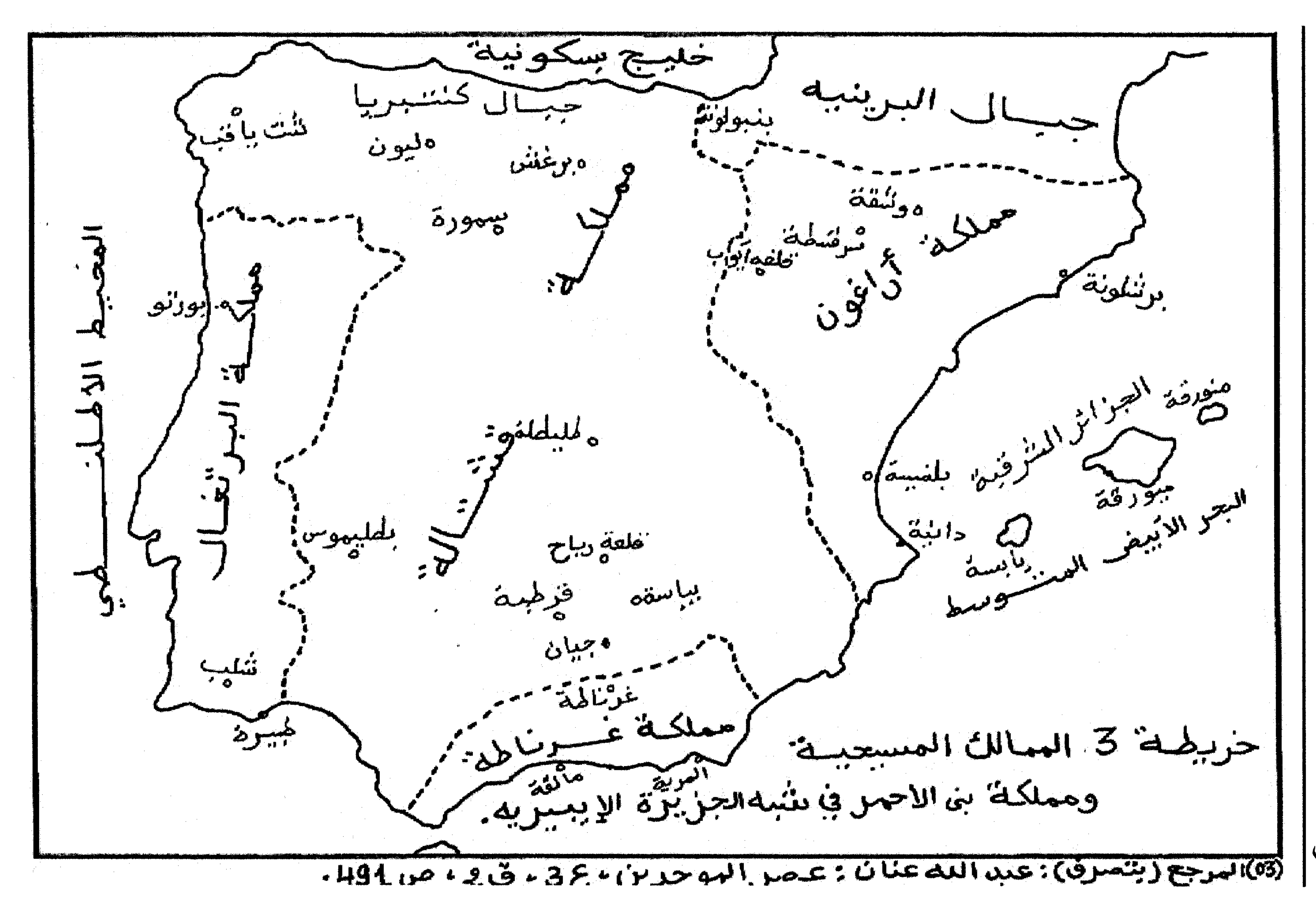


(01) المرجع (بتصرف): عبد الله عنان: عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ق1، ص 503.



خريطة 2 : تفكك الدولة الموحدية الكبرى و الدول التي قامت مكانها في المغرب و الأندلس.

(02)المرجع (بتصرف): عبد الله عنان: عصر الموحدين، ع3، ق2، ص 569.



(03) المرجع (بتصرف): عبد الله عنان: عصر الموحدين، ج3، ق2، ص 491.

قائمة المصادر والمراجع

أولا. المحررات باللغة العربية:

1. المصادر:

ابن الأبار،أبوعبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي البلنسي(ت658هـ/1260م):

الحلة السيراء،تحقيق،حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة،1985م،جزءان.

ابن الأحمر،أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري(ت810هـ/1407م):

تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق،هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد،1421هـ/2001م.

مُستودع العلامة ومُستبدع العلاّمة، تعليق،محمد بن تاويت التطواني منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط،1384هـ/1964م

الإدريسي،أبوعبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي (ت560هـ/1165م):

القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس . مقتبس من كتابه نزهة المشتاق في اختراق الأفاق . تحقيق، إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1983.

ابن باديس، الأمير المعز بن بلكين بن زيري الصنهاجي:(ت454هـ/ 1062م):

عُمدةُ الكُتاب وعُدّة ذوي الألباب في صفة الخط والأقلام والمداد،تحقيق نجيب مايل الهروي وعصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية بإيران، مشهد 1409هـ.

ابن بسام: أبو الحسن علي التغلبي الشنتريني(ت542هـ/1182م):

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت 1417هـ/1997م، مجلدان.

ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: (ت779هـ/1377م):

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق،عبد الهادي التازي،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط،1417 هـ/1997م أربع مجلدات.

ابن بلكين، الأمير عبد الله بن بلكين الزيري(483هـ/1090م):

التبيان،تحقيق،ليفي بروفنسال، دار المعارف،القاهرة،1955م.

التنبكتي،أبو العباس أحمد بابا بن احمد بن عمرالصنهاجي الماسني(ت1036هـ/1627م):

نيل الابتهاج بتطريز الديباج،تقديم،عبد الحميد عبد الله الهرامة،منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس،1989م،جزءان.

الترجمان، عبد الله علي بن علي الميروقي(ت823هـ/1420م):

تحفة الأريب في الرّد على أهل الصليب،تحقيق،محمود عي حماية، ط3 دار المعرف، القاهرة،1404هـ/1984م.

ابن الحاج النميري، أبوالقاسم برهان الدين بن عبد الله الغرناطي(ت774هـ/1372م):

فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،دراسة وإعداد، محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990م.

الحفناوي،أبو القاسم محمد بن أبي القاسم بن محمد الديسي(ت1361هـ/1942م):

تعريف الخلف برجال السلف، تقديم:محمد رؤوف القاسمي الحسني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،1991م،جزءان.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصنهاجي (ت727هـ/1327م):

صفة جزيرة الأندلس . منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق،ليفي بروفنسال،ط2، دار الجيل، بيروت،1408هـ/1998م.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي البغدادي(عاش في ق4هـ/10م):

صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت، 1996م.

ابن الخطيب، أبوعبد الله محمد` بن سعيد السلماني الغرناطي(ت776هـ1375م):

الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي، القاهرة.

أ . مج1،ط2، 1393هـ/1973م.

ب . مج2، 1394هـ/1974م.

ج . مج3، 1395هـ 1975م.

د . مج4، 1397هـ 1997م.

- **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام**،نشر باسم . تاريخ اسبانيا الإسلامية. تحقيق، ليفي بروفنسال،ط2، دار المكشوف، بيروت،1956م.

- **جيش التوشيح**، تحقيق، هِلال ناجي و محمد ماضور، مطبعة المنار،تونس، د ت.
- **خطرة الطيف** . رحلات في المغرب والأندلس . تحقيق، أحمد مختار العبادي دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2003.
- **رقم الحلل في نظم الدول**، المطبعة العمومية، تونس،1316هـ.1898
- **روضة التعريف بالحب الشريف**، تحقيق، عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي،دت.
- **ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتداب**، تحقيق، محمد عبد عنان،مكتبة الخانجي القاهرة،1400هـ/1980م، جزءان.
- **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق، إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، بيروت،1983م.
- **كناسة الدّكان بعد انتقال السكان**، تحقيق،محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1463هـ /2003م.
- **اللمحةُ البدرية في الدولة النصرية**،صححه ووضع فهارسه، محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية،القاهرة،1347هـ/1928م.
- **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق،محمد كمال شبانة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية،1463هـ/2002م.
- **نُفاضةُ الجراب في عُلالة الاغتِراب**، نشر وتعليق، أحمد مختار العبادي، مراجعة،عبد العزيز الأهوائي،دار النشر المغربية،الدار البيضاء ،د ت.

ابن الدلائي، أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري(ت478هـ/1085م):

نصوص عن الأندلس من كتاب الأخبار وتنويع الآثار، و البستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق، عبد العزيز الاهوائي، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مدريد،د ت.

ابن خلدون،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي(ت808هـ/1405م):

ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ضبطه ووضع حواشيه،خليل شحاتة،ومراجعة، سهيل

زكار، دار الفكر، بيروت،1412هـ/2000م،7 أجزاء.

رحلة ابن خلدون، علق على حواشيها،محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية،بيروت،1425هـ/2004م.

ابن خلدون، أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي الاشبيلي(ت780هـ/1378م):

بُغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،تحقيق، عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية بالجزائر، الجزائر،1400هـ/1980م،ج1.

ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني(ت1092هـ/1681م):

المؤنس في أخبار افريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، 1286هـ/ 1869م.

ابن رضوان المالقي،أبو القاسم محمد بن عبد الله الأندلسي(ت783هـ/1381م):

الشهُب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق، علي سامي النشار،دار الثقافة دار البيضاء،1404هـ/1984م.

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي(حي اوائل ق8هـ/14م):

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط،1972م.

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الدار المنصور،الرباط،1392هـ /1972م.

الزركشي،أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤ(ت894هـ/1489م):

تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق،محمد ماضور،ط2،المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

الزُهري،أبو عبد الله بن أبي بكر الأندلسي(ت في ق6هـ/12م):

كتاب الجغرافية، تحقيق،محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،دت.

ابن سعيد،أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي(ت685هـ1286م):

المُغرب في حُلى المغرب، تحقيق،شوقي ضيف،ط4، دار المعارف، القاهرة 1993م،جزءان.

السلاوي،أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ1897م):

الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، دار البيضاء،1954م-1955م، 5أجزاء.

ابن عاصم،أبو يحي محمد بن محمد القيسي الغرناطي الأندلسي(ت857هـ/1452م):

جنةُ الرضا في التسليم قدر الله وقضى، تحقيق، صلاح جرار،دار البشير عمان الأردن،1410هـ/1989م،ج1،ج3.

عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي الفاسي الأندلسي(ت647هـ/1250م):

المُعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه، خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت،1419هـ /1998م.

ابن عبد الملك المراكشي،أبو عبد الله محمد الأنصاري التلمساني(ت703هـ/1303م):

الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة بيروت،1983م.

ابن عبدون التجيبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد (حي ق6هـ/12م):

ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحِسبة والمُحتسب، تحقيق، ليفي بروفنسال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة،1955م.

ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي(حي أوائل ق8هـ/اوائل ق14م):

البيان المُغربُ في أخبار الأندلس والمغْرب:

الأجزاء (1، 2، 3)، تحقيق،ج. س.كولان و ليفي بروفنسال،بيروت،دار الثقافة،(ج1،ط3، 1983م).(ج2،ط2، 1400هـ/1980م).(ج3،ط3، 1983م)

ب – ج4، تحقيق، إحسان عباس،ط3،دار الثقافة،بيروت،1983م.

ج . **قسم الموحدين** . تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1406هـ/1985م.

العزفي، أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين اللخمي السبتي(ت633هـ/1235م):

إثبات ما ليس منه بُد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدّينار والدّرهم والصاع والمُد، المجمع الثقافي، أبو ظبي،1999م.

الغزال، أبو العباس احمد بن المهدي(ت1191هـ/1777م):

نتيجةُ الاجتهاد في المهادنة والجهاد" رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس"

تحقيق،إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،دت.

الغساني ، الوزير أبو عبد الله محمد الأندلسي الفاسي(1119هـ/1707م):

رحلة الوزير في افتكاك الأسير(1690.1691م)، تقديم،نوري الجراح، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي- المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 2002م.

ابن فضل الله العمري، أبو العباس شهاب الدين أحمد الدمشقي(ت 749هـ/1348م):

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار:

الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا، تحقيق،محمد عبد القادر خريسات وآخرون، ،مركز زايد للتراث والتاريخ، العين الإمارات 2001م، ج4.

- **المسالك والآثار و الأقاليم**، تحقيق، عبد الله بن يحي السريحي، المجمع الثقافي، أبو ظبي،2003م،السفر الأول.
- **طوائف الفقراء . الصوفية**، تحقيق،بسام محمد بارود، ،المجمع الثقافي أبوظبي،2000م

القادري، محمد بن الطيب:

نشرُ المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني . موسوعة أعلام المغرب تحقيق، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1417هـ / 1996م، ج3،ق1.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ/1283م):

-**آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت،دت.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي المصري،(ت821هـ/1418م):

صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة،1340هـ/ 1922م.

مجهول،(حي ق7هـ/13م):

- **ذكر بلاد الأندلس**، تحقيق وترجمة،لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد،1983م، ج1.

مجهول،(حي897هـ/1492م):

نُبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر. تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب،ضبطه وعلق عليه، الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد،2002م.

مخلوف، أبو الفضل محمد بن محمد(حي في ق14هـ/19م):

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة 1349هـ/1930م.

ابن مريم، أبو عبد الله محمّد بن محمّد المديوني التّلمساني: (ت 1014هـ/1605م):

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق، محمّد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1226هـ/1908م.

المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1632م):

- **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق:مصطفى السقا وآخرون،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1358هـ/1939م،5 أجزاء.
- **نفحُ الطِيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**،تحقيق،إحسان عباس،بيروت:دار صادر ،1408هـ/1988م،8أجزاء.

النباهي،أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد ألجذامي المالقي(حي أواخر ق8هـ/14م):

تاريخ قضاة الأندلس وسماه: كتاب المرقبة العُليا فيمن يستحق القضاء والفتيا تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة،ط5،دار الآفاق بيروت،1403هـ/1983

النويري،محمد بن قاسم بن محمد الإسكندراني(ت775هـ/1372م):

كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية ، تحقيق،عزيز سوريال عطية، مطبعة حيدر أباد،الهند 1390هـ /1970م،ج3.

الونشريسي،أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني(ت914هـ/1508م):

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس

والمغـــــرب، تـــخ:جماعـــة مـــن الفقهـــاء، دار الغـــرب الإســـلامي،بيروت 1401هـ/1981م،13جزء.

ياقوت الحموي،أبوعبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي(ت626هـ/1229م):

مُعجم البُلدانِ، دار صادر ،بيروت،1397هـ/1977م،5 أجزاء.

2. المراجع:

أ- كتب مطبوعة:

أحمد محمد خلف الله وآخرون:**أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية**، اليونسكو:مركز تبادل القيم الثقافية . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة،1970م.

أبو خليل شوقي:**علماء الأندلس إبداعاتهم المتميزة** . وأثرها في النهضة الأوربية . دار الفكر ،دمشق،1420هـ/2004م.

أبورميلة هشام:**علا قات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** دار الفرقان، عمان الأردن،1404 هـ/ 1984هـ.

أرسلان شكيب:

الحلل السُندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مكتبة محمد المهدي،فاس . الحبابي المطبعة الرحمانية، القاهرة،1355هـ/1936م،جزءان.

- **خلاصة تاريخ الأندلس**، مطبعة لمياء، القاهرة،1343هـ/1925م.
- **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط** ،دار الكتب العلمية، بيروت،دت.

بشتاوي عادل سعيد:**الأندلسيون المواركة**، مطبعة انترناسيول برس، القاهرة،1403هـ/ /1983م.

التازي عبد الهادي:**التاريخ الدبلوماسي للمغرب** . عهد بني مرين والوطاسيين . مطبعة فضالة، المحمدية،،1408هـ/1988م.مج7.

الجيوسي سلمى الخضراء :محررة،مركز دراسات الوحدة العربية. **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** ،مركز دراسات الوحدة، بيروت،1998م،ج2.

حتاملة محمد عبده:

-**الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، مطابع الدستور التجارية

عمان الأردن، 1420هـ/2000م.

- **الاعتداءات الإفرنجية (الصليبية) على ديار العرب في الأندلس والمشرق**، مطابع دار الشعب، عمان الأردن،1422هـ/2001م.

- محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها،مطابع دار الشعب عمان الأردن،1397هـ/1977م.

حـتي فليب: **العرب تاريخ موجز**،ط6، دار العلم للملايين، بيروت،1991م.

الحايك سيمون : **والعرب شاركوا في الاكتشاف أو كريستوف كلمبس**، المطبعة البوليسية، بيروت ،1991م

الحجي عبد الرحمن علي:**التاريخ الأندلسي، من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**،ط2، دار القلم، دمشق- الدار الشامية، بيروت . دار البشير،جدة 1469هـ/ 2008م.

حنظل فالح: **العرب والبرتغال في التاريخ**، منشورات المجتمع الثقافي،أبو ظبي،1418هـ /1997م.

خطاب محمود شيت:**قادة فتح الأندلس**، مؤسسة علوم القران، بيروت- منار للنشر والتوزيع، دمشق،1424هـ/2003م

الخطيب محمد:**تاريخ الحضارة العربية**،ط3، دار علاء الدين، دمشق،2010م.

ديودار حسين: **المجتمع الأندلسي**(422.138هـ/1030.755م)، مطبعة حسين الإسلامية،القاهرة،1414هـ/1994م.

رزوق محمد:**الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 17.16**،ط3، إفريقيا الشرق، الرباط ،1424هـ/2003م.

رستم سعد:**الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم**،ط2، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق،2005م.

راشد رشدي وريجيس مورلون: موسوعة تاريخ العلوم العربية . علم الفلك النظري والتطبيقي . مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،1997م،ج1.

رمضان عبد المحسن:**الحروب الصليبية في الأندلس**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة 2001م.

زكار سهيل:**مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية . المغرب والأندلس والبحر المتوسط .** دمشق،1416هـ/1995م.

سالم السيد عبد العزيز– العبادي أحمد مختار:**تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت،1969 م.

سالم السيد عبد العزيز:**قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**،الإسكندرية،1997م،جزءان.

السامرائي خليل إبراهيم، وآخرون:**تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، دار الكتب الوطنية، بنغازي . دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت،2000 م.

الشطشاط علي حسين: **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء،القاهرة،2001م.

شبانة كمال:**يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة(733–755هـ)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1423هـ/2004م.

شحلان أحمد:**التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط،2006م.

الشكعة مصطفى:**المغرب والأندلس** . أفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية، دار الكتاب المصري، القاهرة . دار الكتاب اللبناني، بيروت،1407هـ /1987 م.

طرخان إبراهيم علي: **دراسات في تاريخ أوربا في العصور الوسطي .** دولة القوط الغربيين . مكتبة النهضة العربية، القاهرة،1958م.

الطوخي أحمد محمد:**مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1997م.

الطيبي أمين التوفيق: **دراسات وبُحُوث في تاريخ المغرب والأندلس**، الدار العربية للكتاب، تونس،1997م.

– **تاريخ المغرب والأندلس**، الدار العربية للكتاب، تونس،1997م،جزءان.

عاشور سعيد عبد الفتاح:**حَضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى**، دار النهضة، بيروت العربية،د ت.

– **أوربا العصور الوسطى ـالنظم والحضارة** . مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1959 م،جزءان.

العبادي أحمد مختار:

- **في تاريخ المغرب والأندلس**،**الإسكندرية**، دار المعرفة الجامعية القاهرة،1425هـ/2005م.
- **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، ،منشأة المعارف، الإسكندرية 2000 م.

عبد الحليم رجب محمد:**العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف**، دار الكتاب المصري، القاهرة . دارالكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتب الإسلامية، د ت.

عبد الحميد رأفت:**الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى**، دار قباء، القاهرة 2001م.

العسكري،سليمان: محرر كتاب العربي . **الأندلس** . وزارة الإعلام مجلة العربي الكويت،2004م.

علبي عاطف:**الحضارة العربية الإسلامية دورها في تكوين الحضارة الأوربية** مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،1430هـ/2009م.

علي كرد محمد: **غابر الأندلس وحاضرها**، المكتبة الأهلية بمصر، القاهرة،1341هـ /1923م.

-**غرائب الغرب** ،ط2، المكتبة الأهلية بمصر، القاهرة ،1341هـ /1923م، جزءان.

عمران محمود سعيد:**حضارة أوربا في العصور الوسطى**، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1998م.

عنان محمد عبد الله :**الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال** " دراسة تاريخية وأثرية"ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1417هـ/1997م.

أ- **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي، القاهرة:

من الفتح إلى بداية عهد الناصر،العصر-القسم الاول،ط4، 1417هـ /1997م.

ب- **دُول الطوائف**،العصر الثاني،ط4، 1417هـ/1997م.

ج-**عصر المرابطين والموحدين في الأندلس**،العصر الثالث- القسم الأول والثاني،ط2، 1411هـ/1990م.

د- **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، العصر الرابع،ط4، 1417هـ /1997م.

غالي ميلاد ذكي: **الله في فلسفة توما الإكويني**، ،منشأة المعارف، الإسكندرية ،دت.

فرح نعيم: **الحضارة الأوربية في العصور الوسطى**،ط 3، منشورات جامعة دمشق، دمشق،1421 هـ /2000م.

فرحات يُوسف شكري:**غرناطة في ظل بني الأحمر**،دار الجيل،بيروت،1993م.

قاسم عبده قاسم:**ماهية الحروب الصليبية**(الإيديولوجية الدوافع . النتائج)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،القاهرة،1993م.

قاسم طويل مريم:**مملكة غرناطة في عهد بني زيري**، مكتبة الوحدة العربية،الدار البيضاء –دار الكتب العلمية'،بيروت،1414هـ/1994م.

كُحيلة عبادة بن عبد الرحمن رضا:**الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،1995م

الكيالي سامي: **في الربوع الأندلسية**، مكتبة الشرق، حلب،1963م.

مقامي إبراهيم:**فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر الثالث عشر**، مطبعة جامعة القاهرة و الكتاب الجامعي، القاهرة،1994م

مؤنس حسين:**فجر الأندلس**، دار المناهل،بيروت،1432هـ/2002م.

- **موسوعة تاريخ الأندلس**، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة 1415هـ /1996م،جزءان.
- **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار رشاد، القاهرة،2004م.

الميلي مبارك بن محمد:**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،تقديم،محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية،الجزائر ،2004م،جزءان

ميسوم عبد الإله:**تأثير الموشحات في التروبادور**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،1981.

ب . الدوريات والمجلات:

بيدال رامون مندث:" **إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام**" تعريب، لطفي عبد عبد البديع، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،(مدريد) ،ع1،س1 /1372هـ/ 1953م، ص24.1.

بلباس ليوبولدو توريس:" **الأبنية الإسبانية الإسلامية**" تعريب، علية إبراهيم العناني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية،(مدريد)، ع1،س1، س1/1372هـ- 1953م،ص128.97

زكي عبد الرحمن:" **صناعة السيف الإسلامي**"، مِجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد(مدريد)،مج20/1979.1980،ص113.104.

سالم سحر السيد عبد العزيز:" **بنو سراج وزراء بني نصر،بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية**"،مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد (مدريد) ع خاص،مج 28 /1996م،ص59.7.

-" **ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي**"، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد،(مدريد)عدد خاص ،مج27، 27الى 29ماي 1993م،ص159..178

سالم السيد عبد العزيز:" **العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها**" عالم الفكر،ع1،مج8 /أفريل-ماي-جوان1977م،ص89-166.

-"**قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**" مِجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية فيٍ مدريد،(مدريد)،مج1997،29م،ص22.9.

ضيف شوقي:" **الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الاسبانية**" مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد(مدريد)مج2،ص26.9.

الطيبي أمين توفيق:"**المسلمون في الأندلس وصقلية**" مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ،(طرابلس)،ع2/ 1985 ص206.186

-" **أرجوزة ابن ليون التجيبي في الفلاحة**" مجلة كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس)،ع6 1989م،ص366.354

-" **احتلال البرتغاليين مدينة سبتة المغربية مقدماته ودوافعه ونتائجه**"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس، ع1988،5م،ص462. 485.

عنان محمد عبد الله:" **وثيقة أندلسية قشتالية**"، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد،(مدريد)ع 1-2،مج 2 /1373هـ-1954م ،ص4538.

مؤنس حسين:"**أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر** "صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ع2.1،مج5 /1377هـ / 1957م،ص192.129.

ج . القواميس والموسوعات:

ابن منظور، أبو الفضل محمّد بن مكرم الإفريقي ثمّ المصري (ت 711هـ/1311م): **لسان العرب**، تحقيق، عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف،القاهرة،دت.

دوزي رينهرت بيتر آن:

تكملة المعاجم العربية،ترجمة،محمد سليم النعيمي وجمال خياط ،دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد.(ج1398،1هـ/1978م)،(ج2، 1401هـ/1980) (ج3، ج1981،4م)،(ج1982،5)،(ج6، 1401هـ/1982م)،(ج7، 1991م)، (ج8، 1997م)،(ج9، 1999م)،(ج10، 2000م.

الدّاية فايز:

مُعجم المُصلحات العلمية العربية . للكندي والفارابي والخوارزمي وابن سينا والغزالي، دار الفكر المعاصر، بيروت . دار الفكر، دمشق،1410هـ/1990م.

الخوند مسعود:**الموسوعة التاريخية الجغرافية** . معالم. وثائق. موضوعات. زُعماء . دار النهضة ،بيروت،1994م، ج2.

ثانيا- المحررات باللغات الأجنبية:

1. المعربة:

أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**،ترجمة، محمد عبد الله عنان،ط2 ، مكتبة الخانجي، القاهرة،1417هـ/1996م،جزءان.

أنطونيو أغابيدا:**أخبار سقوط غرناطة**، تحرير ،واشنطن إيرفينغ،ترجمة،هاني يحي نصري الانتشار العربي،بيروت،2000م

إنيريكيث خايمي كاثريس:**الحضارة الأندلسية في البيرو**،جمعها، خوسي بيراوون أرانيبار،

ترجمة، مصطفى فرحات ،دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011م.

إيرفينغ واشنطن :**سقوط غرناطة** . آخر الممالك المسيحية، ترجمة،إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

-الحمراء ○—**Al-HAMBRA**– " أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الأندلس واسبانيا، ترجمة القسم1،يحي نصري، والقسم2، عبد الكريم ناصيف، مركز الإنماء الحضاري، دمشق،1996م.

بالنثيا آنخل خنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الاسبانية، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،1955م.

بروفنسال، ليفي:**حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة، ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت،دت.

بروي إدوار وآخرون:**تاريخ الحضارة العام** – القرون الوسطى . نقله إلى العربية يوسف أسعد داغر وفريد م.داغر،ط2، منشورات عويدات،بيروت . باريس 1976 م.

تشارلس لي هنري:**العرب والمسلمون في الأندلس بعد سقوط غرناطة**، ترجمة،حسن سعيد الكرمي، دار لبنان للطباعة والنشر،بيروت،1409هـ/1998م.

جُوليان شارل أندري:**تاريخ أفريقيا الشمالية**،ط2، تعريب، محمد مزالي والبشير سلامنة الدار التونسية للنشر، تونس،1983م.

جُونو إدوار: **الفلسفة الوسيطية**، ترجمة، علي زيعور،ط3، دار الأندلس،بيروت 1982م.

دوسن كريستوفر:**تكوين أوربا**، ترجمة،محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور مؤسسة سجل العرب، القاهرة،1967م.

دوزي رينهرت: **المسلمون في الأندلس**، ترجمة، حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،(ج1998،1م)، (ج1994،2)،(ج3، 1995م).

ديفز هـ.و: **أوربا في العصور الوسطى**، ترجمة، عبد الحميد حمدي محمود الإسكندرية،1958م.

ديورَانت وِل وَايريْل: **قصة الحضارة** –الإصلاح الديني– ترجمة، عبد الحميد يونس

، دار الجيل، بيروت . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،دت، (ج2من مج6-23).

ريبيرا خوليان:**التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية** ترجمة،الطاهر أحمد مكي،ط2، دار المعارف، القاهرة،1994م.

ريسلر جاك:**الحضارة العربية**، تعريب،خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت . باريس،1993م.

فيرنيت خوان: **فضل الأندلس على ثقافة الغرب**، نقله عن الاسبانية، نهاد رضا وفاضل السباعي، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،1997م.

لودر دوروثي: **اسبانيا شعبها وأرضها**، ترجمة، طارق فودة و عزالدين فريد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة . نيويورك،1965م.

كاسترو أمريكو :**اسبانيا في تاريخها.** المسيحيون والمسلمون واليهود،ترجمة، علي إبراهيم المنوفي وحامد أبو أحمد، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،2003م.

كانتور نورمان .ف:**التاريخ الوسيط قصة حضارة:** البداية والنهاية، ترجمة وتعليق، قاسم عبده قاسم،ط5،عين للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، القاهرة، ،1997م ، جزءان.

كونْستبل أوليفيا ريمي:**التجارة والتجار في الأندلس**، تعريب، فيصل عبد الله،العبيكان الرياض،1423هـ/2002م.

كولان ج.س:**الأندلس**، ترجمة؛ إبراهيم خورشيد وآخرون ،دار الكتاب اللبناني،بيروت- دار الكتاب المصري، القاهرة،1980م

لوبون غوستوف:**حضارة العرب**،ترجمة،عادل زعيتر، الهيئة العامة للكتاب،القاهرة، ،دت.

كلوزييه رينيه: **تطور الفكر الجغرافي**، تعريب،عبد الرحمن حميدة ،دار الفكر،دمشق 1405 هـ/1985م

هِلستر ورن.س:**أوربا في العصور الوسطى**، ترجمة، محمد فتحي الشاعر،مكتبة الانجلو مصرية، بور سعيد،1988م.

هورتز أنطونيو دومينيقير. وبنث برنارد:**تاريخ مسلمي الأندلس الموريسكيون**

"حياة... ومأساة أقلية" ترجمة، عبد العال صالح طه ومحمد محي الدين الأصفر، دار الإشراق، الدوحة،1408هـ/1988م.

هونكة زغريد:**شمس العرب تسطع على الغرب**، نقله عن الألمانية،فاروق بيضون وكمال دسوقي،ط8، دار الجيل . دار الأفاق الجديدة،بيروت،1413هـ/1993م.

ويلتر ج:**الهرطقة في المسيحية تاريخ البدع الدينية المسيحية**، تعريب، جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2007م.

وات مونتغمري:**في تاريخ اسبانيا الإسلامية**(مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيا)، ترجمة، محمد رضا المصري، ط2 ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت، ،1998م

2. اللغة الأجنبية:

Ben el Awam Abu Zacaria,
- Libro de Agricultura,Trducido Al Castelland y Anotad,Don Josfe Antonio Banqueri,Madrid,1802, Tomo primero.

Burke Ulick Ralph,
-History of Spain-From the Earliest Time to the Death of Ferdinand the Catholic, Second Edition ,New york and Bombay, 1900 ,Vol,II.

Chapman Charles,
- A History of Spain –Founded on the Historia de Espana y de la Civilizacion Espanola of Rafael Altamira- the Macmillan Company, ,New York ,1918.

Condé Josph,
- Histoire de Domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal,Alexis Eymery Libraire,Paris,1825,Tome Troisiéme.

De Grandeffe Arthur,
-Nouvau Guide En Espagne,Imprimerie et librairie des Chemins de fer,Paris,1864.

DE M(A .G),
-Histoire D'Espagne,Cinquiéme édition,Librairie de j.lefort Imprimeur,Lille-Paris,1886.

De Pragey Girault,
-**Sur L'Architecture des Arabes** et Mores en Espagne,Paris,1811.
Fatio Alfred Morel,
-"La lettre du roi Sanche IV a Alonso perez de Guzman;" **Bulletin Hispanique**,(Bordeaux-paris),N^{0}1,Janvier-Mars.1900,Tome II.
Florian,
- History of the Moors of Spain, Translation from French ,Harper &Brothers, Ney-york ,1841
Foster Jonathan,
Dominion of the Arabes in Spain, translated from the spanish of: J.A. Condé, , London MDCCCLV.Vol III.
Lavallée, Joseph et Adolphe Guéroult,
Espagne, Firmin didot Fréres,éditeurs,Paris,M DCC XLIV.
Irving Washington,
-**Spanish papers**, New york-London,1895.
Lowell James Russell,
-Relaciones del Reino de Granda,Imprenta y estereotipa de M rivadeneya, Madrid,1868.
Richard & Quétin,
Guide du Voyageur en Espagne en Portugal , Nouvelle édition, Librairie de l.maison, Paris –Bailly-Bailliée, Madrid,1853.
Tailhan (R P.J) ,
-**Espagnols Chrétiens**-du haut Moyen-âge Imprimerie victor goupy,paris,1870.
Prescott William,
-**Ferdinan and Isabella the Cathlic**, ,Philadelphia ,1868,voL I.

الفهارس

1- فهرس الأعلام

2 – فهرس البلدان والأماكن

3-فهرس الأمم والقبائل والجماعات

(ي)

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

الفصل الثالث: العلاقات العسكرية والسياسية

الفصل الرابع: مظاهر التأثيرات الحضارية